

أنيس منصور

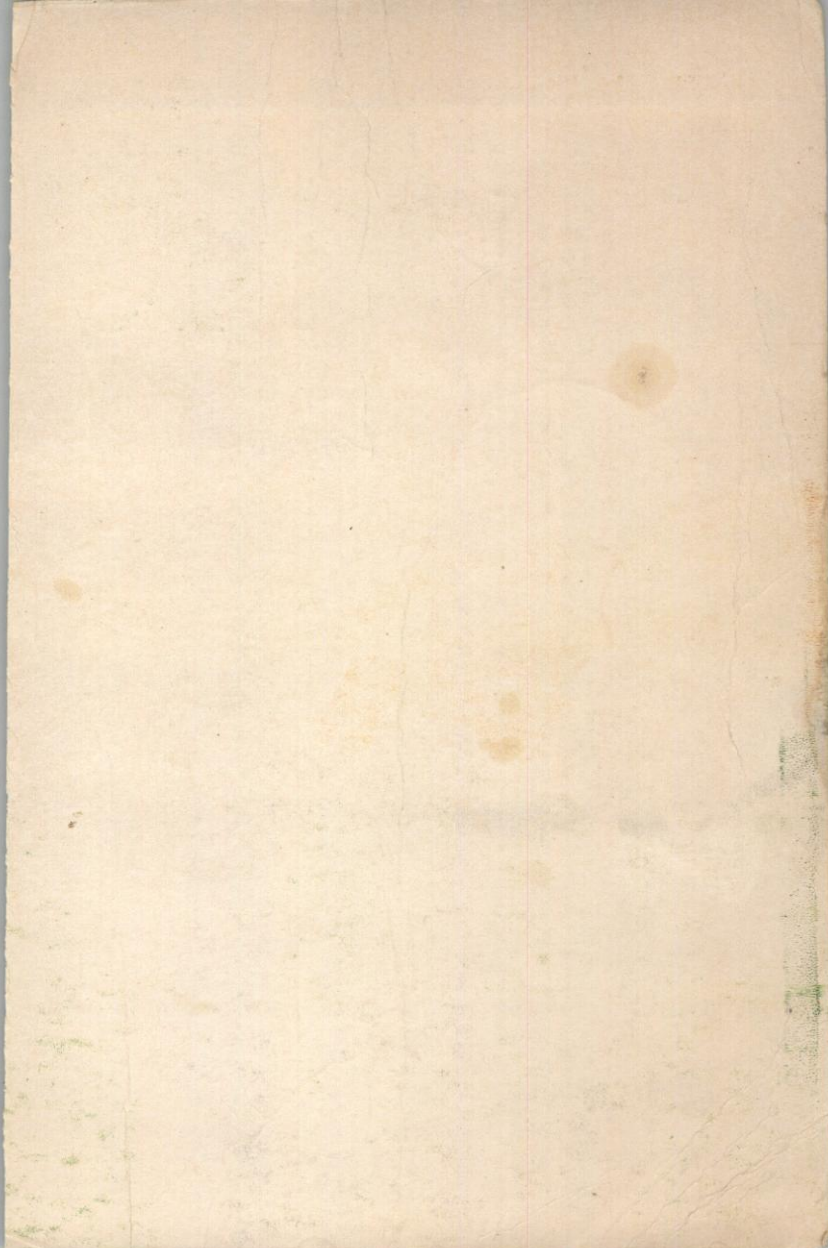
نحن أولاد الفجر

مقالات

أفكار

عدد ممتاز



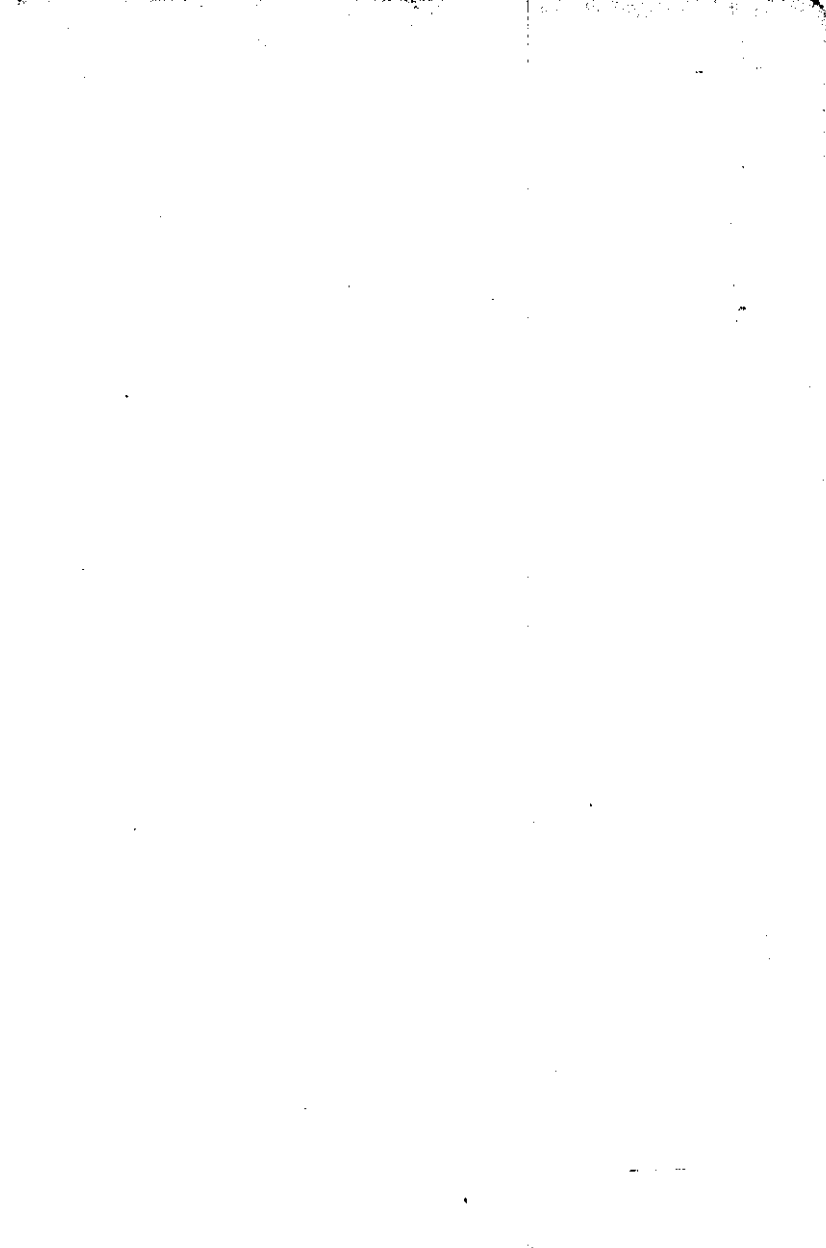


اقرا

تصديراؤك كند شهر

[٤٨١] - نوفمبر ١٩٨٢

رئيس التحرير أنيس منصور



أنيس فتوة

نحن أولاد الفجر



دار المعارف

من أجل صحتك

فجأة وجدتني أمام الدكتوراة لفتية السبع في التلفزيون . هي تقول وأنا أسمع وأندهش . هي تقول وأنا لا أعرف ما الذي تقوله لضيفاتها الثلاث : براؤو عليك شاطره وأنا أقول : والله أنت اللي براؤو عليك لأنك انفردت ببرنامج يعلم الناس كيف يأكلون ويشربون ويوفرون للدولة . دون أن تكونى قادرة على إقناع أحد بذلك !

نظرية الدكتوراة لفتية السبع في البرنامج الذى رأيته هي : فى استطاعتك - أى كل ست بيت - أن توفر أربعة ملايين جنيه إذا أمسكت السكين وقسمت الرغبة الواحد إلى أربعة أقسام . انتهت النظرية .

الشرح : من عادة بعض الأطفال أن يأكلوا وجه الرغبة . وأن يتركوا ظهره . وبذلك يستهلكون رغبةً فى الوقت الذى لم يأكلوا سوى نصف رغبة . فإذا أراد الطفل أن يأكل رغبةً فإنه يلجأ إلى رغيضين يترع وجه كل منهما ويلقى بظهرهما .. فإذا أراد أربعة من الأطفال أن يطبقوا هذا الأسلوب فى أكل الخبز استهلكوا ستة عشر رغبةً ، إذا أكلوا ثمانية أرغفة .. وفى استطاعة كل أم أن تدرك كم هي خسارة كل أسرة إذا اتبع جميع الأطفال ذلك . ولهذا السبب تعنى كل أم أن تحسم

هذه المشكلة .. وأن تمسك السكين وأن تضغط على الرغيف فيلتصق وجهه بظهره ، أو وجهه بقفاه ثم تقسم الرغيف إلى أربعة أقسام . كل قسم له ظهر وقفا .. أو وجه وظهر .. وترغم الأطفال على ذلك !

هذا ما فهمته . ولا أظن أن أحدا قد فهم ذلك . وأنا وحدي أتحمّل مسؤولية الخطأ في تفسير وتطبيق هذه النظرية اللغوية - نسبة إلى الدكتوراة لفتية !

الأشخاص : أما اللائي أنت بين الدكتوراة لفتية السبع في هذا البرنامج فشئ أعجب . أنت بسيدة من أبناء الشعب ، ولكي تؤكد الفئة التي جاءت منها جعلتها ترتدى الجلباب والطرحة . ولأنها من الشعب فقد ظهر عليها خير مصر . فهي سيدة مليانة الجسم والوجه - هذا ما استطعت أن أتبينه من الأجزاء التي أظهرها التلفزيون من جسمها . وهي سيدة مريحة لأن أبناء الشعب كذلك . ثم جاءت بسيدة أخرى أقل امتلاء وأقل مرحا . بل إنها أميل إلى الحزن . ولا بد أنها تمثل الطبقة المثقفة . أو الطبقة الأقدر على الأكل والشراء .. ثم أنت بسيدة ثالثة نحيفة مريضة ولا بد أنها تمثل الطبقة التي تريد ولا تجد أو التي تجد ما لا تريد . وهذه السيدة الثالثة هي أحق الناس بالعناية وإليها وحدها يجب أن يتجه البرنامج . وقد اتجه بالفعل بنظرية لفتية ثانية : أن الإنسان يستطيع أن يستغنى عن السكر ولكنه لا يستطيع أن يستغنى عن الملح ..

والذي ينظر إلى هذه السيدة الثالثة يجد بطلان هذه النظرية لأن هذه السيدة استطاعت أن تصل إلى مبنى التلفزيون وتصعد السلم الواحد وراء الآخر وتجلس في الأستديو ساعة بعد ساعة ، مع أنها لم تذق طعام السكر أو الملح أو الخبز .. فهي نموذج للجوع الذي يؤدي إلى الصحة !

وينتهى البرنامج على وعد بقاء آخر إن شاء الله .. والشئ العادي في البرنامج هو حركات رأس ويدي الدكتوراة السبع . فهي أساليب يلجأ إليها سيدنا في كتاب

القرية وهو يعلم الصغار : ألف وباء وجيم ودال .. أى فيتامينات (أ) و (ب)
و (ج) و (د) . الضرورية للصحة مثل ضرورة الأحماض الأمينية للدم الذى هو
الحياة .

شكرا يا دكتورة فقد كانت أعصابى مرهقة . وكنت فى حاجة إلى من يرفه
عنى . وقد أضحكتنى دون أن يكون فى نيتك شىء من ذلك !

لكى تكون عبقرىا !

هل الإنسان يولد قائداً عسكرياً أو « يصير » قائداً عسكرياً عظيماً ؟
جاء هذا السؤال فى الصفحة الأولى من كتاب عن القائد الألمانى روميل .
الذى وصفه أعداؤه الإنجليز بأنه ثعلب الصحراء .

والكتاب عنوانه « شىء جديد فى حياة روميل » من تأليف الجنرال جيمس
برادوك . يقول إن الذى يقرأ التاريخ يجد عددا كبيرا من القادة . ولكن الممتازين
جداً قليلون . وحتى هؤلاء الممتازين مختلفون فى أسباب عظمتهم . فبعض هؤلاء
العظماء جنود محترِفون . راحوا ينتقلون بين الفرق والمعارك والمناصب حتى ظهرت
عظمتهم

مثلا : القائد الألمانى لودندورف والقائد الإنجليزى مونتجمرى ..
ولكن هناك قواداً أدركوا فى سن مبكرة جداً ، أنهم قادة عظماء . وأن القدر
قد ادخرهم لمواقف حاسمة فى التاريخ . وأنهم على يقين من ذلك . فاتجهوا إلى
حيث العظمة والقمة ، وكأنهم يمشون فى طريق معروف تماما لديهم : نابليون
مثلا ! وكان نابليون يقول إن هناك نجمة فى السماء ترشده إلى النصر . وأن هناك
صوتا يهمس فى أذنه ويحدثه بكل شىء قبل أن يقع !

وهناك رجال اضطروا إلى القتال في منتصف العمر .. فاجأتهم الحرب .
أوباغتهم العظمة . مثل كرومويل في بريطانيا ..
ولكن عددا قليلا جدًا من العبقرية العسكرية ظلت مدفونة .. أو ظلت
خفية تنتظر الفرصة أن تنبئ . فلما جاءت رأي العالم أعاجيب المعارك والخطط .
والقائد الألماني روميل هو أروع مثل على ذلك . فلم تظهر عبقرية إلا في
الصحراء .. ولم يبلغ قمة عظمتها العسكرية إلا على الرمال الساخنة وتحت الشمس
وفي أقسى الظروف ..

وما يقال عن القادة يقال أيضا على كل المواهب الأخرى في العلم والطب
والفن والهندسة .. فإذا كان الإنسان موهوبًا ، فأنت لا تعرف متى تظهر موهبته -
هل في أول الطريق هل قبل نهايته .. هل أداء الإنسان لعمل يحبه ، لا بد أن يولد
فيه شرارة العبقرية .. إنها قصة كل بيت هذه الأيام ، ومئات الألوف من الشبان
يمتحنون .. وآباؤهم يتساءلون : ياترى ما هو مستقبل هذا الولد ؟
يجيب مؤلف كتاب روميل : بأنه لا إكراه في العبقرية .. فحياة روميل هذه
حادثة منظمة .. وعبقرية في حالة تربص وتحفز طويلة .. فلما جاءت الفرصة كان
أعظم القواد في الحرب العالمية الثانية .
والمعنى : أيها الآباء اصبروا على أولادكم فما يزال أمامهم طريق طويل !

حفاوة لا تنسى

لحظة لا يمكن أن توصف عندما دخل الرئيس السادات قاعة الكونغرس الأمريكي . ليس وقوف الجميع هو الذى هزنى . ولا الابتسام العريض من الجمهوريين والديموقراطيين ولا من عتاة اليهود فى المجلسين . ولكن التصفيق الطويل الشديد .. فقد كنا فى الشرفات . وقفنا وصفقنا . وسحبنا أيدينا إلى جوارنا وجلسنا . ولكن استمرار التصفيق بين أعضاء الكونغرس جعلنا نقف من جديد ثم غمضى فى التصفيق . وجلسنا . فقد تجاوز التصفيق حدود المجاملة . ولما وجدنا الأمريكان من حولنا فى الشرفات وتحتنا فى المجلس مازالوا يصفقون نهضنا من جديد نشارك فى التصفيق وكان الرئيس السادات يشير إلى الجميع أن يكفوا عن التصفيق وأن يتفضلوا بالجلوس . ولكن الجميع ظلوا يصفقون كأنهم لا يرون مايفعله السادات . وكأنها فرصة أعطيت للتعبير عن الحفاوة بالبلد الذى استطاع الحرب واستطاع السلام .

فإذا كانت أمريكا هى الدولة التى تستطيع أن تربط وتخل ، فصر أيضا هى الدولة التى تخل والتى تربط فى الشرق الأوسط .. وقد وصلت مصر إلى هذا الفهم فى نفس الوقت الذى وصلت أمريكا إلى الثقة بكل كلمة قالها السادات . وهذه

هى البداية الحقيقية للعلاقات الجديدة النامية بين البلدين .

فقد اجتاز انور السادات مرحلة خطيرة عسيرة من حياته ومن حياة مصر عندما صدق الناس ، فصدقه الناس . فقد جاء على مصر حين من الدهر لاتصدق مايقوله الحاكم لكثرة ماقال وكال ، كذبا وتهويلا وتهويشا . وكانت النتيجة هى التى نعرف عنها كثيرا ، ونعرف منها أكثر ، وقد عانى السادات طويلا من الوقوف أمامنا يقول ويقسم أنه لايكذب ولكن أحدا لا يصدقه . فهو جديد علينا . وأسلوبه فى العمل جديد أيضا . وهو يريد أن يكسب الشعب . وقد اختار أسلوبه الصبر والصمت . الصبر علينا وعلى غيرنا ، والصمت وهو يعمل ، حتى كانت حرب أكتوبر قمة العمل الصامت ، والنفس الطويل . وكانت حرب أكتوبر مفاجأة لنا ، ومفاجأة أكبر لغيرنا ..

بهذه الحرب والانتصار فيها والإعداد لها ارتسمت بوضوح شخصية أنور السادات . ولما تدعمت العلاقة بينه وبين كيسنجر وزير خارجية أمريكا آنئذ . اتفق الاثنان على شىء واحد : أن أحدهما لا يكذب وأن يبقى بما يعد وأن يعمل من أجل السلام . وأهم من ذلك : أن يعمل من أجل أن تفهم أمريكا حقيقة مايجرى فى الشرق الأوسط دون تحيز لإسرائيل . ودون تحل عن التزاماتها ..

ولم يخف السادات أن بلاده قد انتهت حيلها من الحرب والاستعداد للحرب ، وأن اقتصادها على الحديدة وأن الخدمات دون ذلك .. وأنه سوف يعمل بسرعة من أجل تصحيح هذه الأوضاع المنهارة الفاسدة . وهو ونحن فى حاجة إلى وقت . والفلوس فى حاجة إلى أمان . أما الأمان فهو الجو الذى نعيش فيه . وأما الخدمات فهى مايجب أن نخطط لها بسرعة .

وأهم من ذلك أن نعمل جميعا . فإذا كان العسكريون قد عبروا بنا ، فعلى

المدنيين أن يعبروا الشوارع وأنابيب المياه وأسلاك الكهرباء والتليفون والقطاع العام والخاص .

إن نصفين ممثلي ٢٢٠ مليون أمريكي وأقوى وأغنى دولة في العالم ليس لما أنجزه السادات فقط ، ولكن تشجيعا له حتى يحقق السلام للشرق الأوسط والرخاء لمصر !

تصحيح المسار

أمسك الرئيس السادات القلم وقام بتصحيح جديد لكل تاريخ مصر الحديث .

لقد كان شعارنا منذ وقت طويل هو : انظر وراءك في غضب .
ثم بعد الغضب : انظر وراءك في استنكار واحتقار لكل ماجرى في مصر
أما التصحيح الجديد للرئيس السادات فهو : انظر وراءك في تقدير .. أو حسن
تقدير لكل ماحدث .. وضرب السادات لذلك مثلا : مايجرى أثناء المعارك
الجوية : نار ودخان وتراب واضطراب وقرارات للقادة العسكريين تتم بسرعة وفي
فزع .. ثم ماذا يحدث بعد ذلك للمعلقين أو للنقاد . إنهم يجلسون على مقاعد مريحة
بعيدة عن أرض المعركة وعن ضوضائها .. ثم ينتقدون ماأصاب العسكريين .. إنهم
ينظرون وراءهم في غضب واحتقار . مع أن الظروف تغيرت وتبدلت .. إن هذا
الذى يفعله المعلقون والنقاد هو منتهى الظلم لكل ماحدث قبل ذلك ..

والسادات يريد أن نرضى عن أنفسنا في كل الظروف . وأن نحترم كل من فعل
شيئا من أجل مصر .. أحمد عرابي ومصطفى كامل وسعد زغلول وجمال
عبد الناصر . فقد فعلوا الكثير من أجل مصر . ويبقى أن نفعل شيئا نحن أيضا .

وأول مانفعله هو أن نحترم مافعلوه . وفى ذلك احترام لأنفسنا . احترام لماضيها .
وتقدير لحاضرنا وتطلع إلى مستقبلنا . فالذى يظلم هؤلاء جميعا سوف يتجنى على
أنور السادات نفسه ..

وينتظر أنور السادات هذه الفرصة ليؤكد أنه كان طرفا وكان مشاركا فى كل
قرار . وأن هناك أخطاء كثيرة لا يتصل منها .. وإنما هو جاء يصلح هذه
الأخطاء .. فهو لا يعدل عن الثورة ولا يثور عليها .. وإنما هو يصحح مسارها ، تماما
كما يحدث لسفن الفضاء ، عندما تنطلق بعيدا عن الأرض . فلا بد من تعديل
للمسار حتى تتخذ لها مدارا صحيحا حول الأرض ..

وقد توجه الرئيس السادات بهذه الدراسة التاريخية إلى أبناء المستقبل .. إنه
يؤكد لهم أنه هو أيضا كان شابا ساخطا غاضبا ناثرا . ولكنه لم يتوقف عند حدود
الغضب .. ولم يكسر القوانين ولم يرفض كل شيء لم يسترح إليه .. وإنما ثار
وكانت ثورته منظمة .. وهو اليوم يحمد للشباب عذرا . ولكنه فى نفس الوقت
يدعوهم إلى أن يتلمسوا الأعذار للآخرين .. وفى نفس الوقت أيضا أن يقرءوا
تاريخ مصر المجيد .. فالذى لا تاريخ له لا ذاكرة له . ولا وزن له .. فكل الشعوب
تقف على تاريخها وتنهض به وتنهض منه .. وتعلو به وتعلو عليه .

لم يكن السادات فقط صورة لتحالف قوى الشعب - فلاحين وعمالا وجنودا
ومثقفين كما وصفه براءة رفعت المحجوب - وإنما كان أستاذا لمادة التاريخ فى كلية
العمل الوطنى ، من أجل مصر العظيمة !
منتهى الحكمة والإنصاف للآخرين !

شقة .. بالبركة !

في كل مرة أبحث عن الشيخ إبراهيم العياشي ، أجده قد انتقل إلى بيت جديد . وأندهش كيف أن هذا العالم السعودي المريض يهتدى إلى هذه الشقة بهذه السرعة بينما لا يفلح كثير من الشبان في العثور على بعض ما يجد ؟ إن هذا الرجل ليس غنيا . فهو لا يدفع أضعاف ما يطلبه صاحب البيت . ولكنه يهتدى والسلام إلى أماكن عجيبة في مصر .. وجد شقة في المعادي ، وتركها ، ثم وجد شقة أخرى في مصر القديمة ، وبعدها كان في شقة على النيل في إمبابة ، وبعدها يوم جاءني يبلغني أنه انتقل إلى مكان آخر !

والشيخ إبراهيم هو واحد من مؤرخي المدينة المنورة . ومن أكثر الناس تخصصا فيها وفي حياة الرسول في المدينة وفي الهجرة النبوية .. وله دراسات ضافية عن مسجد الرسول وعن بيت الرسول وزوجاته وعدد من الصحابة .. كما أنه رسم خرائط للمعارك الإسلامية الشهيرة : بدر وأحد والخندق . وأمضى من عمره أكثر من عشرين عاما يرسم خريطة واحدة . وكانت هذه الخريطة هي المأساة الحقيقية في حياته .. ففي حياة الرجل عدد من المآسي : يكفي أنه تخصص في دراسة التاريخ - وهي تجارة غير رابحة .. ويكفي أنه تخصص في تاريخ المدينة بالذات .

ولا أحد في المدينة يلتفت إلى مثل هذه الجهود الضائعة . ويكفى أنه طبع هذا الكتاب على حسابه وأن الناشر قد سرقه بعد أن اضطره إلى اختصار كتابه إلى الربع !

أما مأساته الحقيقية التي هدت حيله وقوست ظهره حتى اليوم فهي أن زوجته كانت الصورة الشريرة لزوجة الفيلسوف سقراط . فقد أحرقت الخريطة التي أضاع عمره فيها ، أضاعه مشيا على قدميه مئات الأميال ينقب عن الوديان والجبال ويراجع الكتب التاريخية ليعرف بالضبط مواقع المعارك التي خاضها وقادها الرسول عليه السلام .

وأحرقت الزوجة مع هذه الخريطة زوجها . وانكسر الرجل جسما ونفسيا ، ولم يقم له رأس ولا اعتدل له عود ، رغم أنه ما يزال في الستين من عمره وكان في صحة جيدة ..

وحاول الشيخ إبراهيم العياشي في زيارته المتعددة للقاهرة أن يجد بنات الحلال . وقدمن له صورا فوتوغرافية ، وراح يتفحصها كما يتفحص الخيول والإبل ، بعين مدربة .. ولكن القانون السعودي بجميع مواده قد وقف ضده : ممنوع الزواج من أجنبيات إلا بإذن الملك !

وكان لابد أن يترك الشقة ، فقد سقطت سيجارة على السرير واحترقت الملاءة .. وجاء صاحب البيت يقول له : ادفع ١٢٤ جنيا وإلا فالدفع والطرد معا .. ولكن كيف حسبوها هكذا ؟ إنه لا يعرف . ودفع الرجل ٥٤ جنيا وترك الشقة .. وقبلها بيومين ترك الشقة أيضا فقد كان الباب يدق في ساعات متأخرة من الليل .. والدقات ناعمة أو خربشة .. ويفتح الباب وتكون فتاة لا تكاد تراه حتى تصرخ ، والرجل لا يفهم .. وأخيرا عرف من البواب أن فتيات يسألن : من الساكن الجديد ؟ فيقال لمن : سعودي !

ويسرعن ذهابا وإيابا ! وحمل الشيخ إبراهيم العياشي متاعه ورحل .
وسأله : كيف تعثر على هذه الشقق ؟

قال : إنها البركة !

فإذا كنت في حاجة إلى شقة فسوف أنشر عنوان الشيخ إبراهيم العياشي لعلك
تهتدي إلى شقة أنت أيضا !

بل ذكاء وبلاغة

سمعت هذه القصة الغريبة في السعودية ، وهم يروونها للدلالة على عدالة الملك
نراجل عبد العزيز أولبراعة الناس الذين يقتفون الأثر .

يقال إن لصا قد نهب الناس في إحدى المناطق . فهو يسرق ليلا وينام في
الجبال نهارا . ولا أحد استطاع أن يعرف من هو . ولجأوا إلى جماعة من الذين
اشتهروا بمعرفة الأثر .. أى الذين ينظرون إلى أقدام الناس على الأرض فيعرفون من
مجرد ملاحظتها طولهم وعرضهم ووزنهم وأمراضهم وربما القبيلة التى يتنسبون إليها .
وتمكن قصاصو الأثر من معرفة هذا الشخص . أو تكوين صورة عامة عنه .
وأجمعوا على أن هذا اللص هو الذى سرق جمل فلان وأغنام فلان .. وهو الذى
نهب وخطف وتسلب .. وارتكب أكثر من مائتى سرقة فى شهرين .

وفى إحدى الليالى أقامت القبيلة عرسا . ونظر قصاص الأثر ويسمونه : المرسى
إلى أقدام الناس على الرمال . وجاء قصاص آخر وثالث ورابع وقالوا : إن اللص
موجود هنا !

وتفرق قصاصو الأثر فى كل مكان . ينظرون إلى وقع الأقدام . حتى اهتمدوا
إليه . واعترف الرجل بأنه اللص الذى ارتكب مئآت السرقات . وذهبوا به إلى

القاضي . واعترف . ونظر القاضي إلى يديه ورجليه وهز رأسه وهو يقول : إن قطع يد واحدة لا يكفي !

ووقف الرجل أمام الملك عبد العزيز قال : أنت سرقت ؟
قال : نعم .

- كل هذه السرقات ؟

- نعم .

- ولماذا ؟

- لأنني لا أجد طعاما . ولأن عندى سبع بنات .. ولا أستطيع أن أتركهن يتسولن فى كل مكان .

- ولماذا لم تتسول أنت ؟

- حاولت فقالوا لى : كيف تكون فى هذه الصحة الجيدة وتتسول . اذهب

واعمل . وذهبت ولم أجد عملا .

- إذن لابد أن تقطع يدك اليمنى

- سأسرق باليسرى .

- ستقطع اليدان .

- سأسرق بضمى .

- وسأقطع إحدى رجلك .

- سأزحف على بطنى .

- سأقطع رقبتك .

- أظال الله عمرك .. الآن فقط استرحت . وسوف تتحمل أنت إطعام بناتى .

فاجعل عمرى قصيرا يا طويل العمر !

- وإذا جعلتك تعمل .

- سوف أتعذب من جديد .

- وما الذى يعذبك ؟

- ضميرى وسأفانى فى عمل من أجل بناتى ! اقتلنى أبقاك الله .

- سأقتلك .. سأجعلك تعمل ويقول عنك الناس فى كل لحظة : هذا هو

الرجل الذى سرق مائتى مرة .. وكان من الواجب أن نقطعه مائتى قطعة !

- افعل ذلك حتى لا ينهك الناس بالتهاون فى تطبيق الشريعة .

- سأفعل حالا .. خذوه يعمل !

.. ولم يقل أحد أن هذه القصة دليل على ذكاء أبناء البادية ، أو بلاغة

الفقراء ! .

الصمت العظيم

عندما كنت في جامعة هيدلبرج بألمانيا الغربية سألتني بعض المستشرقين : وكيف حال الأستاذ عبد المطلب !

وأول ما خطر على بالي : هو المطرب المرحوم محمد عبد المطلب .

وقلت وأنا لست على يقين مما فهمت : أنه بخير !

وجاء السؤال : ولا يزال قويا .

قلت : لا بأس به .

- وما هي آخر مؤلفاته ؟

- مؤلفاته ؟ تقصد أعماله الفنية - لا أعرف بالضبط ، ولكن كانت له أغنية

تعجبني وتضحكني هي : أغنية ساكن في حى السيدة وحيبي ساكن في الحسين ..

وعلشان أنول كل الرضا ، يوماني أروح له مرتين .. إنها مضحكة لأن المسافة بين

السيدة والحسين ليست كبيرة لدرجة أن يعتبرها نوعا من التضحية من أجل

الحبيب .. أو نوعا من العذاب من أجل المحبوب . ولكن ربما كان عذره أن هذه

المسافة كانت كبيرة جداً في أيام الحمير - أى أيام كان يركب الناس الحمير

أولا يحدون الحمير فيمشون على أرجلهم !

وله أغنيات أيضا .. إنه رجل فى غاية النشاط والإخلاص .. ونحن معجبون به
جداً . ولا توجد مكتبة تخلو من بعض الوثائق التى حققها ..
كان هو عبد المطلب آخر .. وقيل لى إنه الأستاذ رشاد عبد المطلب .
ولم أكن سمعت بهذا الاسم قط . ولكن عندما وجدت المستشرقين يمتدحونه
كثيراً .. شعرت بشىء من الامتنان لهؤلاء الألمان .. وبكثير من الخجل فهم يعرفون
من لا أعرف ، وهم يعرفون عالماً باحثاً . وأخجلنى ذلك . وأغرقنى شعور بالتقصير
أمام هذا العالم المصرى الجليل .. ثم تظاهرت بأننى تذكرته .. وأننى عرفته .. وأننى
قابلته . وأن الحياة شاقة ومرهقة . فلم أعد قادراً على ملاحقة أخباره . فهو مشغول
بكتبه وأنا أيضا .. وهذه هى الحياة .. ولما عدت إلى القاهرة رحت أسأل عن رشاد
عبد المطلب .. واتصلت به وجاء صوته فى التليفون رقيقاً مهذباً خجولاً .. يكاد
يعتذر لى عن أنه لم يأت بنفسه لكى يعرفنى وأعرفه .. وأخرجنى الرجل المذهب ..
ورأيت . وقابلته ، وجلست إليه ، فشكراً لهؤلاء المستشرقين الذين هدونى إلى واحد
من العلماء المصريين العاملين فى صمت وبعبدا عن الأضواء والميكروفونات
المصرية من أى نوع . ولكن هذا الصوت وهذا الشعاع مهما كان خافتاً فإن هناك
عيوناً وآذاناً أخرى ترصده وتحفظ به لكل الأجيال . ودعوت الأستاذ رشاد
عبد المطلب إلى مناقشة أمام الميكروفون وتحدث الرجل وأمتع الملايين . وتوارى
الرجل إلى حيث كان يعمل فى قسم المخطوطات بالجامعة العربية . وتوارى أكثر
يعمل فى صمت .. ثم اختفى تماماً عندما توفى .. ولم يتبناه أحد إلى ذلك .. فكأنه لم
يمت .. وإنما غاص فى أعماق الأرض والنسيان وكل جريمته أنه اختار الهدوء .
واختار الظلال لعله أن يكون قادراً على أن ينفع العلم والحقيقة .. فبات منسياً وكأنه
لم يكن - وهذه هى الحقيقة وهذا للعلم فقط !

الملك السيف

إذا جلست مع جماعة من السعوديين فأنت ضامن شيتين : حبهم الشديد لمصر ، وحزنهم العميق على الملك فيصل .. فهم يرون أن الملك فيصل كان قمة الدبلوماسية والشهامة العربية .. وكانت تربطه بأبناء مملكته صلات شخصية . وكان يعرف الكثير عن الكثيرين . وما من شخصية سعودية إلا تروى لك قصة أو نادرة أو قرارا حكما . ورغم كثرة الناس الذين كان يلقاهاهم الملك فيصل فإنه يعرفهم بالواحد . ويعرف أولادهم وإخوتهم وكان يحسن الكلام باللهجات البدوية المختلفة . وكان البدو يتجهجون عليه ويطالبونه بما يريدون . وكان هو وحده الذي يستطيع أن يجيبهم إلى كل ما يريدون أو ما يطمعون .

ورغم هذه الصلابة في ملامح وجهه . فإنه رجل رقيق . ورجل لطيف . ويحب الدعابة . ورغم أنه قليل الكلام ، فإن القليل الذي كان يقوله كان كثير المعاني والدلالة . وقد يسكت الملك ساعات يستمع ، ويحيل إلى محدثه أنه مشغول عنه ولكنه يطلق العبارة أو الحكمة في النهاية . فتكون موجعة . فلا يملك محدثه إلا أن يتلع لسانه ويسكت عن الكلام ساعات وأياما !

ومن مظاهر المرونة والتسامح عند الملك فيصل موقفه من د . كيسنجر وزير

خارجية أمريكا . فهو أول يهودى يقابله الملك ويتحدث إليه ويناقشه . فالملك يعرف ما هي العلاقة بين اليهود فى العالم والمؤامرات والدسائس والثورات على الأديان .. وما بين اليهودية والصهيونية والشيوعية والقوضوية والرأسمالية . وللملك فيصل عبارة مشهورة : إن الشيوعية نفسها ثورة صهيونية .. وإن اليهود يريدون خراب الدنيا كلها .

وتقول جولدا مائير فى كتابها « حياتى » : إن د . كيسنجر عندما قابل الملك فيصل دار بينهما هذا الحوار :

قال الملك لكيسنجر : أنت تعرف أن جولدا مائير يهودية .

- أعرف .

- ومن روسيا الشيوعية .

- إذن أنت تعرف العلاقة الواضحة بين اليهودية والشيوعية .

- ليست ضرورية هذه العلاقة !

- ثم أعطاه الملك فيصل نسخة من « بروتوكولات حكماء صهيون » التى هى

برنامج العمل السياسى السرى لليهود من أجل الاستيلاء على العالم .

وتقول جولدا مائير فى كتابها : ولم يشأ د . كيسنجر أن يأخذ معه هذه الهدية .

ويؤكد الذين شهدوا هذا اللقاء أن كيسنجر قد أخذ هذه البروتوكولات ..

وهكذا كان الملك فيصل دبلوماسيا ناعما وقاطعا كالسيف !

مشكلة البحث عن البداية ..

مشكلة أن يكتب أحد تاريخ ثورة يوليو ١٩٥٢ . لأنه لابد أن يعرف البداية . ولا يمكن أن تبدأ ثورة يوم إعلانها . فالثورات مثل البراكين لا يرى الناس منها ولا يسمعون إلا الانفجار والدخان والنار . وهو شيء هائل . ولكن هذه الأدخنة والنيران قد تكونت بعيدا عن العيون منذ وقت طويل حتى أتت لها الفرصة المناسبة والمكان الأفضل فانفجرت .

وكذلك الأنهار التي تصب منها في البحار . قد قطعت طريقا طويلا بين الصخور وتحت الأرض ووسط الغابات والأحراش . ثم تجمع سيل من هنا وجدول من هناك ورافد من الناحية الثالثة .. والتقى الجميع بين ضفتي هذا النهر الذي ينساب بقوة نحو الوديان أو هادرا نحو المحيط .

فن مشاكل تاريخ أية ثورة : معرفة من أين تبدأ .. أى ما هي الأرضية التي تحركت فوقها وضدها ؟

وهل هي ثورة كثيرين ضد الأقلية .. أو هي ثورة الأقلية ضد الأغلبية .. أو هل هي تاريخ أفراد من أجل الجماهير .. إن الثورة تبدأ عادة « بالغضب » العاطفي .

وبعد ذلك تتحول إلى سخط مدروس ثم إلى « تمرد » على وضع معين ..
وبعد ذلك « ثورة » على كل الأوضاع . وحتى لا تصبح مجرد ثورة عاطفية ،
يجب أن يكون لها برنامج علمي مدروس .. أى يجب أن تكون لها خريطة
للمستقبل .. أى يجب أن تقوم بوضع الضوابط على النهر الهادر فتقيم عليه الجسور
والحواجز والترينيات وتتحكم فى قوته .. أى لابد لها أن تعترض جريانه من المنبع
إلى المصب حتى يستفيد الناس إلى أقصى درجة ..

والمؤرخون مذاهب .. أناس يبدعون ثورة ٢٣ يوليو بمصر الفرعونية .. أو بمصر
الإسلامية أو بمصر العثمانية أو بمصر الملكية .. أو بمصر المحتلة .. أو بثورة ١٩١٩ ..
ومذهب يرى أن التاريخ هو تاريخ أبطال .. وأن عربة التاريخ تجرها خيول ..
والخيول رجال مثل عراي وسعد زغلول وعبد الناصر والسادات ..
ومذهب يرى أن هؤلاء الأبطال قد ولدتهم الجماهير .. وأن الجماهير هى الأم
التي تحمل فى أحشائها أجنة التطور . والتطوير .. فلولاً الجماهير ما كان الأبطال ..
لأن البطل ليس نباتاً شيطانياً .. أو لا يلد نفسه بنفسه .. فالبطل هو قلب الناس
وعقلهم وهو الصوت والضوء وهو الأب والمدرس وصاحب الرسالة .. وهو علامة
الطريق إلى التحرر : من الجوع والخوف والمرض والجهل والقهر ..

ومشكلة المشاكل فى كتابة تاريخ الثورة .. أننا لسنا بعيدين عن الثورة بدرجة
كافية فالبعد يضمن للمؤرخ الأمان ووضوح الرؤية . فالثورة ما تزال تأخذ وتعطى
وما تزال تتحرف وتصلح مسارها .. ومادامت الثورة تعيش بنا ونعيش بها وعليها
ضدها .. فنحن قد ألصقنا عيوننا بها ، ولذلك لا نراها على راحتنا ولا نراها
أوضح ..

ولذلك فكل ما نستطيعه الآن هو تجميع سجلاتها ووثائقها وتبويبها وترتيبها .

أما معناها ودورها الحقيقي وعيوبها ومزاياها . فلن يتضح إلا بعد عشرات السنين -
وهكذا أفلحوا في كتابة الثورة الفرنسية والأمريكية !
ولم يفلحوا في كتابة الثورة الروسية .

مزيد من البكاء !

عثر الأمريكان والسعوديون على كنوز الملك سليمان فى منطقة « الحفر » بالقرب من المدينة المنورة . وقد كان الناس يعتقدون أن كنوز الملك سليمان هى شىء خرافى .. أى أنها كثيرة جدا لدرجة أن أحدا لا يصدقها أو هى أسطورة لعبت بالمؤرخين والشعراء والأثريين .

ولكن سليمان كان يملك من كل شىء ، الكثير جدا . فهو غنى جدا قوى جدا وكانت فى بيته ألف امرأة ويقال إن فتاة واحدة رفضت أن تكون عشيقة له بالقوة . هى الفتاة « شالوميت » التى يدور حولها سفر « نشيد الإنشاد » إنها أول فتاة فى التاريخ فضلت الحب مع راعى غنم ، على الزواج بالإكراه من أقوى الملوك .. هذه الفتاة تشبه « بياتريتشه » محبوبة الشاعر الإيطالى دانتي الليجيرى .. وهى أيضا رفضته فجعلها محورا للكوميديا المقدسة . ويقال إن الملك سليمان هو الذى نظم سفر « نشيد الإنشاد » ويقال أيضا هو الذى نظم سفر « المزامير » .. ويقال المزمر رقم ٧٢ فقط ..

وقد ذهبت بلقيس ملكة سبأ إلى سليمان .. جاءت من اليمن محملة بالبخور والذهب والفضة . ورأت سليمان وعظمة سليمان وهو يتحدث إلى الطير ويسأل

الهدهد .. وهو يستخدم الجن فيأتون لها بعرشها . ولا بد أنها سقطت على الأرض
لهول ما رأت وما سمعت .. وأنجب منها سليمان ولدا ، أصبح أول ملوك الحبشة .
ويقال إن بلقيس اتفقت مع ملوك مصر ضد سليمان ، ويقال خدعت ملوك
مصر لصالح سليمان ..

وكان الملك سليمان مسرفا في كل شيء فابتعد عن الناس حتى أغرق شعبه
وبلاده في الديون والانهلال كما ظهر في فيلم « ملكة سبأ » بطولة جينا لولو بريجيذا
وبول بريزر .. وبعد وفاة سليمان تقطعت بلاده اثنتى عشرة قطعة ..

ولكن بقي لسليمان في تاريخ اليهود أنه هو الذى أقام « هيكل سليمان » الذى
انهدم مرتين ولم يبق منه إلا الحائط الغربى الذى يسمونه « حائط المبكى » أو المبكى
حيث يقف اليهود ليكون على من راح منهم في جميع العصور .. ولم يعد الآن مبرر
للبيكاء فقد اغتصب اليهود من بلاد العرب ومن العالم أضعاف ما كانوا يملكون
أوزيرعمون أنهم كانوا يملكون ..

وسوف يتجدد بكاء اليهود عند حائط المبكى ، لأن كنوز الملك سليمان قد
ظهرت أخيرا في أرض عربية ! .

وجه الحقيقة

الذين أيدوها ظلموها ، والذين ضاقوا بها ظلمونا : ثورة ٢٣ يوليو وجمال عبد الناصر ومصر ..

والذين يعرفون الكثير قالوا قليلا ، والذين يعرفون القليل كتبوا كثيرا في صحف لبنان ..

ولم يعرف أحد الحقيقة . فأكثر العارفين ماتوا . أو كأنهم ماتوا . وكان لابد أن يتساءل الناس : كيف حدثت ثورة يوليو ، وكيف انتكست في يونيو ، وكيف عبرت في أكتوبر .. هل هم نفس الناس ؟ كيف ؟ ولماذا ؟ وظهر لثورة يوليو دراويش وملحدون ..

فأين الحقيقة .. أين وجهها إن كان لها وجه بعد الذى قيل ؟ ومن الذى يكشف عن الحقيقة ؟ ومن هو ؟ ولماذا هو ؟

وإذا كانت نكسة يونيو جريمة وعارا فمن الذى نلوم ؟ من الذى يصلب فداء للملايين ؟ وما اسم المحكمة التاريخية التى يقف أمامها الجميع .. وهل هو متهم واحد ؟ هل هم عشرون متهما ؟ ثم ما هى التهمة ؟ وهل هى تهمة الخطأ ؟ هل هى الخيانة ؟ هل هو الإهمال الشديد الذى يصل إلى حد الجريمة ؟ هل الذى أشعل

ثورة يوليو هو نفسه الذى هدم المعبد على المصلين .. هل شمشون الجبار ؟
إننا لم نتوقف عن أن نضرب وجوهنا بأيدينا .. لم نكف عن البكاء على
الماضى .. حتى نسينا أنه يمكن استدراك كل شيء .. وحتى نسينا أن الشعوب التى
لها ماضى هى الشعوب التى لها مستقبل .. وأن الشعوب التى أقامت حضارات
تستطيع أن تقيمها مرة أخرى .. وأن الذى جرى لمصر وجرى فيها وجار عليها لم يهد
حيلها ، وبكسر ظهرها ، وإنما عوق حركتها ولوى طريقها وآخر وصولها فتقدمتها
شعوب أخرى .

ثم إن هناك بديهية فلسفية تاريخية : إننا جميعا شهود على كل ما حدث .
فالذى يلوم أحدا يجب أن يلوم نفسه .. فإن قال إنه كان خائفا أن يصاب بمكروه .
وأنه لذلك لم يقل كلمة الحق ، فهذا دليل ضده وليس له ..

فلا يستطيع أحد أن يقول : إنه برىء .. ولا أنه نظيف اليد واللسان لأن الكل
شريك بالنظر والسمع والصمت عن كل ما حدث !

وبهذه الدرجة العالية من حرارة الغيظ أو الضيق ، لا يمكن أن يكتب أحد
التاريخ . فهو فى حالة لا تسمح له بأن يكون متزنا . وإنما يستطيع أن يكتب
التاريخ وأن ينصف الأموات من الأحياء والأحياء من الأموات ، كل من هدأت
نفسه ، وأمن على يومه وغده .. ولذلك لا يستطيع ذلك أحد قبل عشرات
السنين ، عندما لا يجد الكاتب حرجا فى أن يقول ما يقول دون تدخل من أحد
أو خوف من أن يتدخل أحدا ..

وقد كان الرئيس السادات منصفًا عندما طلب من كل المثقفين ألا ينظروا
وراءهم فى سخط أو غضب وإنما فى شيء من الرضا ، والإنصاف .. فقد كان
ما كان ولا يمكن تغيير الماضى .. وإنما يمكن فقط تصحيح النظرة إليه .. وهى مجرد

نظرة ، لأنه سوف تكون هناك نظرات كثيرة متفاوتة القرب والبعد والوضوح والغموض والحرارة والبرودة ..

وإن كان الأسلم دائما أن نبعد عن الثورة بعض الوقت لنراها أوضح .. تماما كما تفعل سفن الفضاء ، إنها تبعد عن الأرض مئات الكيلومترات لتصور أعماقها بوضوح !

قالوا :

- أفضل لك أن تحب اثنتين كثيرا ، من أن تحب واحدة قليلا !
- عندما تواجهني صورتان للذيلة : أختار التي لم أرها من قبل !
- أحمر الشفاه يسمونه « هدية البخيل » : لأنه يسترده بعد ذلك .

بنوك .. وبنوك !

قالوا للسياح التماسويين : لابد من تحويل مبلغ خمسين جنيها قبل أن تسافروا إلى مصر . وبسرعة تحولت هذه المبالغ . وعندما وصل السياح إلى القاهرة لم يجدوا المبالغ قد تحولت . ولم يصدق السياح . لأن نظام البنوك في أوروبا كلها مثل الساعة - أى فى الضبط والربط والدقة والسرعة ، ولما عاد السياح يسألون البنوك المصرية قال الموظفون : لم تحول لنا البنوك شيئا !

وقد أدى ذلك إلى اضطراب فى حياة هؤلاء السياح .. ولكنهم لم يصدقوا البنوك المصرية . والمعقول هو أن الموظف المصرى لم يبذل مجهودا فى البحث عن الفلوس التى تم تحويلها .. ولم يكن عند السياح وقت لبيدوده ذهابا وإيابا من الفندق إلى البنك ..

ثم عادوا إلى بلادهم فى غاية الأسى والأسف . على ما أصابهم ورحوا يظالبون بفلوسهم التى تحولت فعلا إلى القاهرة . ولكن القاهرة لا ترد ..

وفى استطاعتك أن تتخيل هذه الصورة المؤلة : فهؤلاء السياح يريدون استرجاع أموالهم . ولكنهم لا يستطيعون ، وهم يترددون على السفارة المصرية . والسفارة تعد السياح وتوعد الموظفين فى مصر ، والسفارة . أى سفارة ، إن كنت

لا تدري ، فهي لا تملك أى شىء غير الخطابات المتكررة المتفاوتة النبرة . والتي تشير دائما إلى أن مثل هذه الإجراءات تسمى إلى سمعة مصر .. وأن الذى تبنيه مصر فى العالم كله . يقوم وبمنتهى الإصرار موظفون بتشويهه وهدمه أولا بأول . وخلاصة خطابات القنصلية المصرية فى فيينا : ياناس اتقوا الله فى مصر وشعب مصر ومستقبل مصر !

ولكن لا حياة لمن تناديه فى بنوك مصر أو فى الوزارات المختلفة .. وعشرات ومئات من الناس من هذا النوع تتكرر مصائبهم على مدار السنة صيفا وشتاء . لأنه من المفروض أن مصر مصيف ومشى فى نفس الوقت .. وكثير من السياح لا يتكلمون أو يتكلمون بصوت منخفض . ولكن يقررون شيئا خطيرا : ألا يعودوا إلى مصر !

وألا يصدقوا ما يقال لهم عنها .. وخصوصا إذا كان الذى يقول هو أى إنسان مصرى فى الداخل أو فى الخارج !

ولا أعرف المكان الذى أقف فيه لكى ألوم أحدا ، أو أحاسب أحدا .. من المؤكد أننى لن أقف ضد البنوك الأوربية وألومها على سرعة تحويلها لفلوس السياح .. ولا ألوم السياح لأن وقتهم لا يتسع للوقوف أمام شبائيك البنوك فى الطابور .. ولا ألوم السفارة المصرية .. ولا شركات السياحة .. ولا أعرف إن كان من العدل أن ألوم صغار الموظفين لأنهم يطبقون لوائح مينة .

إن اللوم كله يقع علينا لأننا لم نتحمس بصدق وأمانة كافية لفتح أبواب مصر وجيوبها للذين يريدون أن يجيئوا إلينا لأنهم صدقوا ما أعلنه عن مصر المفتحة للجميع . من الواجب علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا ، حتى يصدقنا الناس !

وضربتنا الشمس !

- لقد دلتكم الشمس أيها الشرقيون :

كان ذلك ردا على نظرتي المندهشة إلى الناس الذين يتحركون في الشوارع الأوربية بسرعة ، صفارا وكبارا . ونحن لا نفعل ذلك لأننا لسنا في حاجة إلى كل هذه الحرارة التي يشدونها . فهم يحرون ويقفزون ويشربون الخمر طول الوقت . وإذا لم يتحركوا تجمدت أطرافهم . وإذا لم تكن مكاتبهم ومصانعهم وسياراتهم في حرارة الفرن لم يستطع أحد أن يقوم بأى عمل .. وهذه الحاجة إلى الدفء جعلتهم يرتدون الملابس الثقيلة ويصنعون الأبواب الغليظة ويخترعون أجهزة التكييف للبيت والمكتب والمصنع والمحلات التجارية .

وكذلك الشوارع رصفوها لتصبح قادرة على استقبال المطر وتصريفه .. وعجلات السيارات وزجاج السيارات كل ذلك اخترع له الإنسان في البلاد الباردة ، ما يجعله قادرا على مقاومة الأمطار والأحوال والظلام .

فهم في أكثر الدول الأوربية لا يرون الشمس أو لا تراهم . ولذلك استخدموا الأنوار الصناعية والتدفئة الكهربائية .. وهذه الحاجة المستمرة إلى الضوء والدفء حركت عبقرية الإنسان .

أما عندنا في الشرق فالشمس تشرق وتغرب ولا نراها وإنما نحاول أن نواجهها
بالبساتير والنوافذ الخشبية .. أى بصناعة الظل وتبريد الهواء . أى بالتخلص من
الطاقة الحرارية الزائدة ..

وربما كان ابن خلدون أول من تنبه إلى أثر الشمس والحرارة والرطوبة في تخلف
الشعوب الشرقية والأفريقية .. وكان الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو هو أول من تنبه
إلى اختلاف المزاج ، بسبب اختلاف درجات الحرارة . فهو يحكى أنه شاهد
إحدى الأوبرات في باريس . ثم راح يشاهدها في لندن . وكان الاختلاف في
حفاوة الناس بها في العاصمتين دليلا على أن الذوق والمزاج هو ابن درجات
الحرارة ، فصفق الناس بالحرارة ، وانكشيت أيديهم وألستهم بالبرودة .

وعندما ذهب ابن بطوطة إلى جزيرة سرينديب - سرى لانكا - لاحظ أن
جماعة من أصدقائه قد جلسوا إلى جوار الحائط حتى اقترب منهم عدد من القروء
فزقوا ملابسهم وأكلوا طعامهم ، ولم يتحرك واحد يدافع عن نفسه . ولما سألهم
قالوا : ضربتنا الشمس !

وقد ضربتنا الشمس في الشرق حتى أرقدتنا وداست فوقنا !
فإذا كانت الشمس أمنا فهي قد دلتنا حتى أفسدتنا - كما تفعل الأمهات
عادة !

عصر الجريمة العلمية

وأنت أمام التليفزيون ترى كل أحداث الدنيا .. وأنت لاتفكر كثيرا كيف نجىء إليك هذه المعلومات ، كما أنك لاتفكر كيف يجىء إليك النور أو الماء أو الصحف . ولا داعى لأن ترهق رأسك . فهناك أناس يعملون من أجل ذلك .

وعندما نستخدم الأقمار الصناعية سوف تشعر بدقات قلب العالم كله فى اللحظة التى تدق .. وتكون مجاورًا فى المكان والزمان لجميع سكان الأرض .. بل إنك ترى وتتفعل معهم دون أن تعرفهم أو دون أن تشعر بهم ..

وقد اقتربت الأرض كلها لحظة وطئت قدم أول إنسان سطح القمر فى نفس اللحظة تركزت عيون وآذان ثلاثة آلاف مليون إنسان على جزمة رائد الفضاء .. وبعد هذه الرعشة العلمية المثيرة .. بدأ ٥٠٠ مليون إنسان يتساءلون : إننا أحوج مانكون إلى هذه القلوس التى تنفقها أغنى شعوب الأرض .. إننا لا نجد الطعام ولا نجد المأوى ولا الدواء وليس لنا مستقبل . صحيح أن الجوع هم الذين هزوا تاريخ الإنسانية .. وهم الذين كانوا مناجم الغضب .. ثم ماتوا وقودًا للثورات والحروب .. فالعلم الحديث يجعل من العالم كله أسرة واحدة تعيش وتغضب على هذه العيشة فى لحظة واحدة . والعلم هو الذى وقف فى وجه المرض وفى وجه

مصاعب الطريق . وهو الذى مزق الجبال وشق الأرض ونفخ فى النباتات وهو الذى صيغ اللام وجعلها ذات حجم واحد وشكل واحد وهو الذى ضاعف اللبن فى بطون الإناث من الإنسان والحيوان .. وهو الذى يقلب الأرض ويرصد الجو ويسر أغوار البحر ..

ولكن العقول التى اخترعت المييدات الحشرية هى التى ابتدعت المييدات الإنسانية أيضا : الطائرات والصواريخ والألغام والقنابل والميكروبات والأشعات التى ترسم ظل الخلة على الأرض .. والتى تتحسس المعادن تحت الأرض والمياه العذبة والمياه المالحة .. والعلم الحديث هو الذى جعل الإنسان عاريا أمام غيره من الناس .. هو الذى وضع أجهزة التصنت فى بيوت الجيران . فأصبح كل مايقولون ومايفعلون ملموسا عند الآخرين حتى لم يعد أحد آمنا على شيء .. فالتاس أمام الناس عراة . لأكرامة لهم ولاقدسية لخصوصياتهم ..

وبنفس حماس الإنسان فى القضاء على الميكروبات حاسه الرائع المروع فى القضاء على الإنسان أيضا : وإليك الحروب دائما .. إليك عصابات التهريب وعصابات السرقة .. وعصابات التآمر على رؤساء الدول .

ولم يكتف الإنسان بتسليط الإنسان على غيره ، وإنما أخذ يدرّب الحيوانات لكى تساهم فى مذبحه الإنسان .. حتى الحيوانات تعلمت أن تكون قاتلة دون أن تدرى ... فما الذى تراه فى كل مكان ؟

أنت ترى النور قد زاد .. والمسافات قد ذابت .. من أجل أن يرى الإنسان غيره من بنى الإنسان ليقضى عليه بمنتهى الوعى والعلم .. أنت إذن فى عصر الجريمة العلمية وفى عصر المجرمين الذين هم على علم وفن ..

وكل أموال الشعوب قد اتجهت إلى المشاركة في الجريمة العلمية أو في القضاء عليها...

فالشعوب كلها تجوع لكي تموت وتميت في النور - منتهى الانتحار الحكيم أو الحكمة الانتحارية !

أم كلثوم . !

وحدها انتقلت !

تماما كما انتقلت من الريف إلى المدينة ، ومن فاطمة إبراهيم السنبلاوين ، إلى أم كلثوم العالم العربى .

والموت والمجد يمشيان فى طريقين مختلفين .. الموت يولد معنا ليستردنا فى النهاية . أما المجد فهو ظلنا على الأحياء من بعدنا . فالمجد هو انتقام الإنسان من الموت .. ولذلك فأم كلثوم هى أعظم وأروع انتقام من هذا الذى يفرق الجماعات ويهدم اللذات . الموت اختار فاطمة إبراهيم والمجد اختار أم كلثوم .

الموت ماهو ياسيدتى !

هو ألا يكون لك صدى !

والحياة ماهى ياسيدتى !

أن تكون للناس قلوب !

ومثلك لا يموت مادامت تتوالد ملايين القلوب من القلوب .

وإذا كان أكثر العظماء يموتون دون أن يروا فخامة الجنازة ، ويشموا باقات الورود ، ويسمعوا عصف الآهات ، فإن أم كلثوم رأت الدموع ولمست القلوب ،

برقيات ومقالات وجبلا من الورود وصورا وحزنا كالسحاب الكثيف فوق الخليج والبحر والمحيط ..

وقد كنت حزينا على الفنانين الذين ماتوا فأغرقناهم بالدموع بعد أن ماتوا .. ولو بكينا لهم وليس عليهم ، لأسعدناهم ولهانت ويلات الدنيا وأهوالها ، ولكننا لانفعل .. لأننا عشاق الأحزان المتأخرة ، والولائم بين القبور . ولا أعرف ما الذى أقوله اليوم .. أغالب الفزع على فقد أم كلثوم والحزن عليها .. وأعلم أن الملايين معى لا تملك لها شيئا ! . فمركتها عنيفة مع كرات الدم الحمراء والبيضاء والصفائح وسنواتها السبعين وجرحها العميق .. ولكن ما الذى نفعله إذا كان الحزن لا يحىء إلا بعد الأوان ، والبكاء إلا بعد أن يتأكد كل شيء ..

اسمحي لى ياسيدتى أن أستعير من أحمد رامى أغنيتك على سعد زغلول فى ذكراه :

إن يغب عن مصر سعد فهو فى الذكرى مقيم
ينضب الماء ويبقى بعده النبت الكريم

وأن أستعير من أمير الشعراء ماقاله فى مصطفى كامل لأنثره على بقاياك :
المشرقان عليك يتتحيان قاصيهما فى مآتم والدانى
لو أن للذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت فى القرآن

الجنة تلك ياست يامن جعلت حياة التعساء والأشقياء جنة تجرى من تحتها أنهار الرحمة والمحبة .. ياقلب مصر ومعهدا الموسيقى والفناني وجيشها الجميل لغزو القلوب وتعميرها بالحب والسلام !

الموت .. كمدا

سمعت هذه القصة في مناسبات مختلفة .. ولكن المعنى المؤلم لها واحد لم يتغير .
يقال إن « قاضيا » في محكمة دخلت له ورقة من محافظ الإقليم يطلب فيها أن يتولى
بالرحمة أحد المتهمين . وقد حدث ذلك كثيرا في ذلك الوقت . فلم يكن القاضي
والقضاء مستقلا ، مقدسا في استقلاله ، فإكان من القاضي إلا أن ألقي بالورقة في
سلة الزبالاة . وطوى أوراقه ورفع الجلسة وأشار إلى المحامي والمتهم والحاضرين أن
يخرجوا ..

ورن الجرس وجاء الساعي . وطلب إليه القاضي أن يأتي له بفنجان قهوة .
وأصر القاضي على أن تكون القهوة « سادة » . ولما نبه الساعي إلى أنه يشربها بسكر
زيادة .. قال القاضي : صحيح . ولكن اليوم وغدا وبعد غد يجب أن تكون سادة .
وقال الساعي : كفى الله الشر .. هل هناك شيء لا سمح الله .. مات أحد ..
ولكن القاضي أصر على القهوة السادة . وجاء الساعي بالقهوة السادة . وسأله
القاضي : هل تسمع أغاني أم كلثوم ؟

قال : طبعاً .

— هل تذكر الأغنية التي تقول فيها : ما أحلى الوصال ..

- طبعاً ..

- قل معي .. قل ..

الزجس مال ..

على القرع قال :

ما احلى الوصال ..

يا بلد بامية !

ويقال إن هذا القاضى لم يعقد جلسة بعد ذلك .. لقد اختفى تماماً لأن السامى قد أبلغ عنه ..

وظلت الأسرة تبحث عن عميدها وفقيدها سنوات طويلة ..

قالوا : قتلوه ..

قالوا : سجنوه ..

ولكنهم ما قتلوه وما سجنوه ولكن أدخلوه مستشفى الأمراض العقلية . وذهب أحد أبناء القاضى الفقيد إلى المستشفى وطلب أن يرى الذين دخلوها ولم يخرجوا منها .. وراح يتفحص وجوههم واحدا واحدا .. ولكنه لم يجد والده بينهم . وذهب إلى مستشفى آخر .. وتصفح الوجوه .. وتمسحت عيناه بكل الملامح التى تشبه ملامح أبيه .. حتى اهتدى إليه ، ولينه ما عرف الحقيقة .. لقد تغير الرجل تماماً . كأنما أعطوه إلى شيطان أو أدخلوه فرنا « سحريا » فأعيد « عجن » الرجل « ونخيفه » حتى أصبح وجهه وجسمه كالرقيف المكرمش المحروق .. هذا إذن أبوه .. أو هذا الذى كان !

وعاد الابن يؤكد لأمه وإخوته أن والده قد مات ألف رحمة تنزل عليه وأن والده مات كريماً شريفاً . والحمد لله الذى لم تمسه يد بالتعذيب أو بالتشويه .. إلى آخر الأكذوبة التى هى كفن حريرى على قاض طيب ليته مات !

أسرار التفوق

في اليابان عندهم حل لكل مشكلة . وربما كانت أكبر مشكلة تواجهها اليابان هي أنهم لا يجدون المشاكل بدرجة كافية . ولذلك يبحثون برجالهم بمسحون الأسواق العالمية لعلهم يجدون مشكلة عويصة لتشغيل الأيدي والعقول الكثيرة عندهم ..

وقد لوحظ أخيرا أن اليابان تنفق على « البحث العلمي » أقل مما تنفقه أية دولة أوروبية . ومع ذلك فاليابان هي عملاق الصناعة المتطورة جدا في العالم كله .. وهي مصدر الخوف والفرع لأوروبا وأمريكا . حتى أصبحت اليابان هي مشكلة أوروبا وأمريكا : كيف يواجهونها ؟ كيف ينافسونها ؟ كيف يتفوقون عليها ؟

أما كيف وصلت اليابان إلى التقدم العلمي الهائل بأقل نفقات ممكنة . فهذه هي عبقرية العقلية الصناعية الاقتصادية اليابانية . ومن مظاهر هذه العبقرية أن الشركات الكبرى في اليابان إذا ما وجدت اختراعا أوروبيا أو أمريكيا جديدا . فإنها تشتري عددا كبيرا من هذا الاختراع الجديد .. وينسحب عدد كبير من المهندسين والمخترعين يدرسون . ثم يستدعون مئات الشبان الذين تخرجوا حديثا في الجامعات . ويعطون كل واحد نموذجاً لهذا الجهاز الجديد ويطلبون منه أن يكتب

تقريبا عن كيف يمكن تطوير الجهاز الجديد ليكون أصغر وأقل تكلفة وأرخص سعا وأجمل شكلا في أسرع وقت ممكن .

ويرجع مئات الشبان إلى بيوتهم فيكون الجهاز قطعة قطعة ويدرسون ويقررون ويعودون إلى الشركة باقتراحاتهم الجديدة وأفكارهم المبتكرة . وكل شاب يعلم أن هناك مئات الألوف مثله يحاولون نفس الشيء . وأنه لابد أن يصل إلى شيء جديد . وإلا فلن نجد عملا ولن نجد لقمة العيش ..

ولا يكاد يمضى وقت قصير جدًا حتى تكون الشركة قد حصلت على مئات الأفكار الجديدة . والاقتراحات العلمية المدروسة . والشركة لم تنفق مليا واحدا على تطوير الاختراع الجديد . وإنما استدعت الشباب وحشدت قواهم الخلاقة من أجل أعظم منافسة إبداعية في التاريخ الحديث . وتكون الشركات اليابانية كلها قد حلت مشكلة ملايين الطلبة والخريجين وملأت عقولهم بكل شيء نافع لليابان والعلم الإنسانى . وأفرغت أيديهم وجيوبهم من الطوب . ووفرت عليهم إهدار قواهم في اللف والدوران في الشوارع .

وقد نشرت إحدى شركات الراديو اليابانية المحاولات المختلفة لتطوير شكل الراديو الصغير الذى يوضع في الجيب .. وقد بلغ عدد الأشكال المقترحة ١٤ ألف شكل كل هذه الأشكال درست من جميع الوجوه الاقتصادية والنفسية والتسويقية . حتى استقر رأى مجلس المستشارين في هذه الشركة على الشكل الذى اختارته ..

وهناك شيء يخيف الشاب الجامعى اليابانى : إنه يخشى أن تعرف الشركات الأخرى أنه حاول وكتب تقريرا ولم يقبلوه منه . ولذلك يعرض أن يحصل من الشركة التى قدم لها تقريرا على أن اقتراحاته العلمية كانت ممتازة . وأنها استفادت

منه . مثل هذه الشهادة تفتح له أبواب شركات أخرى كثيرة . وهكذا تساعد اليابان نفسها على خلق عبقریات إبداعية لا نهاية لها وتتفوق بشبابها على شباب العالم كله ! ..

البحث عن كتب جديدة

فى إحدى مكتبات فىنا سألت البائعة : عنلك كتب جديدة ؟
فأشارت دون أن تنطق إلى جانب من المكتبة . وأدركت أن سؤالى بائع .
ولابد أن يكون بائعاً جديداً فى هذه الساعة من الصباح . فعدت أسأله : إن هذه
ليست كتباً جديدة أنها طبعات جديدة لكتب قديمة .
ولم تتخل عن موقفها بالشعور بسخافة سؤالى فقالت : مجرد أنها طبعات جديدة
معنى ذلك أن أناسا يطلبونها كما لو كانت كتباً جديدة . فالكتاب الجيد لا عمر له ..
- صحيح .. فعلاً أنا لا أقرأ لطفه حسين الآن .. ولكن هناك شاباً يسمعون به
لأول مرة ولذلك يجب أن تكون هناك طبعات جديدة .. صحيح .

- ماذا تقول ؟

- إننى أحدث نفسى .

وراحت تلعب بشفتيها وسرحت عيناها . فسألتها : إن كانت تقول لى شيئاً .

فقالت :

- أنت كاتب .

قلت : نعم .

فراحت تحرك شفيتها مرة أخرى وسألتها : هل تقولين شيئاً ولا تقولينه في نفس الوقت .

قالت : إننى أعذر إلى زوجى .

- هل هو كاتب ؟

- نعم .

- وماذا تقولين له وهو غائب عنا ؟

- أقول إننى كنت أتصوره المجنون الوحيد في الدنيا .. ولكنى اكتشفت الآن أن عالم المجانين لا حدود له !

- وهل لهذا علاقة بالسؤال عن كتب جديدة ؟

- نعم .. فأنت عاشر واحد يسألنى بإصرار عن كتب جديدة .. دون أن يحدد بالضبط إن كان المطلوب هو : الكتاب الجديد .. أو الكاتب الجديد ، ودون أن يسألنى بالتحديد عن المجال الذى يبحث عنه هل هو فى الأدب فى الفن فى الفلسفة فى العلوم فى الموسيقى فى السياسة .. المهم هو الجديد فى أى شىء .. وتكون النتيجة واحدة . أن تخرج أنت أيضا دون أن تشتري .

وخرجت .. وبعد لحظات حاولت أن أرد اعتبارى وأعود إليها أشتري أى شىء حتى لا أكون مثل أسلافى من الكتاب الذين جاءوا وسألوها وتناقلوا عليها وخرجوا ولم يعودوا . وعدت . فقابلتنى عند الباب لتضع هذا السكين فى أذنى وأبعد من ذلك قليلا : جئت لتشتري أى شىء .. لا داعى لذلك .. أرجوك لأن بيتنا مليء بكتب كثيرة لا داعى لها .. بل إن بيتنا هو « اللاداعى له » بين كل البيوت ! وتذكرت ما قاله أبو ليلى لقيس : جئت تطلب نارا أم جئت تشعل الحى نارا ؟ .

فأنالما أذهب إلى مكتبة وإنما اقتحمت مشكلة عائلية دون أن أدري ، فذهبت

معتذرا أقول لها : آسف يا سيدتي . وأى وجه للتشبه بيني أنا وبين الشخص الذى لا ادعى له فى حياتك أو لا ادعى لحياتك معه ؟

- لا يوجد أى وجه للتشبه .. ولكن الكلام وطريقة الكلام .. والنظر إلى الكتب كأن الدنيا من ورق وحبر ، ولا توجد فيها سماء ولا نجوم ولا هواء ولا موسيقى ولا عيون حلوة ولا وجوه جميلة ولا ابتسامة لامعة ولا أذرع مرحة بك .. دود يمشى على ورق أخضر ليأكله .. سوس يمشى فى خشب أبيض يمسحه .. كلام مثل إشارات من حرير تلتف على أعناق الأبرياء .. ما هو الأدب : إنه الجريمة الأنيقة . ما هو الشعر ؟ هو الإعدام الفخم .. من أنت ؟ من هو ؟ أبناء سلاح العسل والسم .. هل أثرت فىك .. هل أوجعت قلبك على إنسانة فى النخس ؟ وانسحبت مضروبا ألف رصاصة فى كل مكان من جسمى .. وسحبت قلعى وقلت اليوم أسجل هذه الرماية العنيفة وغدا أفكر فيها .. لعلى أجد لها معنى أبعد من ذلك ، أما راحتها وعلاجها ومشكلتها فلها واحد غيرى يهتم بها .. وكانت بداية مؤلمة ليوم جاف كالورق أسود كالخبر - منها لله !

مأساة .. أن يكون الكتاب غريبا علينا !

ما دام الكتاب ليس واردا في السلع التي يسهل استيرادها . فلا نملك إلا أن نتذكر الأيام الحلوة . أيام كانت في القاهرة مكتبة يملكها الموزع الإنجليزي د . هـ . سميث . وكانت هذه المكتبة تقع وراء جريدة « الأساس » التي كنت أعمل بها في مستهل حياتي الصحفية . لا أعرف بالضبط أوصاف المكتبة . ولكن أعرف جميع العاملين فيها . ولا أرى من المكتبة إلا ابتساماتهم وإلا ضحكاتهم وإلا أيديهم وهي تشير إلى أماكن الكتب الجديدة . أذكر من هذه الأسماء : لطف الله سليمان . وهو الآن في باريس . وكان يملك أكثر من مكتبة . وكان يتنقل بين جميع أحياء القاهرة ونحن وراءه .. وسامية مجلى التي تعمل الآن في وكالة « يونيتد برس » وتتكفل الآن بتعذيب جميع المجلات المصورة . فهي تبيع لنا الصور بأسعار جنونية . الصور ممتازة . ولكن الجنون من أهم صفاتها هي . ولا أغنى عنها مع الأسف . ولم تكن لنا في ذلك الوقت أية مشكلة . فنحن نجد الكتب التي نريدها وبسرعة . وإذا لم نجد ما نريد طلبناه . وبعد أيام يحىء .

وكانت تربطنا بلطف الله سليمان هذا صلة صداقة . أنا وعشرات من الكتاب المصريين . وهو قادر على أن يختار لكل واحد منا ما يريده من الكتب وبسهولة .

وكان يقول لنا : عثرت لك على الكتاب الفلافى . إنه يتفق مع الموضوعات التى تبحث عنها . وكان الأستاذ العقاد يقول عنه : ولد ممتاز ولكن ياخسارة .

أما الخسارة فى لطف الله سليمان فهى أنه لا يتفق مع العقاد فكريا أو سياسيا ولكنه البائع الوحيد فى القاهرة الذى كان على درجة كبيرة من الثقافة . وكان يشجع زبائنه على أن يأخذوا الكتب ويدفعوا أثمانها فيما بعد .. وكنا نندهش ونحن طلبة فى الجامعة كيف أنه كان يعطينا الكتب التى تمزقت أغلفتها بسبب الشحن والتفريغ . دون مقابل . فهذه الكتب لا تصلح للبيع .. عشرات الكتب .

وأذكر أن المرحوم كامل الشناوى قد كلفنى أن أشتري دائرة المعارف البريطانية لجريدة جديدة كان يرأس تحريرها هى « الجريدة المسائية » . وأخذت دائرة المعارف ولم تدفع الجريدة ثمنها . وأغلقت الجريدة ولم تطالبنا مكتبة سميت بالشئ إلا بعد ذلك بوقت طويل . وكان ذلك نموذجا للعلاقة التى بيننا وبين دور الكتب . علاقة صداقة . علاقة العائلة الواحدة بين الذين يشترون الثقافة والذين يبيعونها ..

إن نظرة واحدة إلى مكتبات القومية للتوزيع ومكتبات شادى وهاشيت ومديبول ومركز الكتاب المصرى .. توجع القلب .. إنها كتب قديمة بالية ورغوف فارغة .. والباعة أكثر معالم وجوههم أسف على ما هم فيه .. وعلى ما نحن فيه . عار علينا وتحتنا وحوالينا أن يكون الكتاب غريبا على حياتنا الجديدة . فلا معنى للجديد إلا إذا كان هناك دم جديد . وإذا لم تكن الكتب هى الدماء الجديدة فلا جديد ولا دم عندنا .. !

قالوا :

- من الصعب أن تناقش البطون - ليست لها آذان !
- إذا أردت أن تخدع المرأة فقل لها الحقيقة - فهي لن تصدقك !
- كل إنسان كما خلقه الله ، وأسوأ قليلا !

سباق المعرفة

لابد أن يشعر الإنسان بالخلج إذا قرر أن يحدث الناس عن فوائد الكتب وعن ضرورة القراءة . لأن هذه مسألة لم تعد في حاجة إلى من يشرحها أو يؤكد لها . إنها إحدى بديهيات الحضارة الإنسانية .. وأنا لا أستطيع أن أمتنع نفسي من التثاؤب بعد كتابتي لهذه العبارة . ولكن يبدو أننا في مصر يجب أن نكرر البديهيات كثيرا لأنها ليست كذلك عند الناس ..

هل نزل مسئول إلى المكتبات في القاهرة ووقف أمام الفترينات ؟ هل دخل أية مكتبة وسأل البائع عن أحدث كتاب وصل إلى القاهرة ؟ . إنه سؤال بلا جواب غير الأسى على ما أصاب تجارة الثقافة في مصر . هل سمع أحد ما يقوله أصحاب المكتبات الأجنبية والمصرية ؟ هل وجد أحد حلا ؟ ألوف المسئولين قد سمعوا ، ولكن حلا واحدا لم يقدمه أحد وبقيت المكتبات كما هي تتناول طعامها المقدس من الصبر والشجاعة والاستمرار ، مثلا مكتبة هاشيت الفرنسية . كبرى المكتبات في العالم . عمرها في مصر ٧٥ عاما بها أربعون موظفا . استوردت في الستين الأخيرتين كتبها بما يعادل أربعة ملايين فرنك . لا تسأل كم خرج من حصيلته ما باعت في مصر . فهي مشكلة المشاكل . هذه المكتبة تقدم خدماتها لكل الجامعات المصرية

والأمريكية ومعاهد الشرطة والجيش والمدارس والفنادق .. وزبائنها بالألوف من المثقفين وكبار المسؤولين ، هل تستطيع أن تؤدي أية خدمة لأى أحد خلال العام القادم ؟ من المؤكد أنها لن تستطيع . أن الضرر يقع علينا أكثر مما يقع على هاشيت وغيرها من المكتبات ودور النشر والتوزيع في مصر . ولكن ما هي الصعوبة ؟ لا أحد يريد أن يقول شيئا .. أصبحت العلاقة بين الناس والمسؤولين - من هم أيضا ؟ - صمتا طويلا عريضا . كأن هناك جريمة ويجب أن تستر عليها . وهي بالفعل جريمة . ولكن من المجرم الحقيقي .. من الضحية ! المجرم هو الضحية . القاتل هو القاتل . هل هو انتحار ثقافي . نعم . إنه كذلك !

ولا أريد أن أقول « كنا زمان » كما تغنى أم كلثوم .. كنا زمان ننتظر الكتب التي نجيء من الخارج بالصناديق . وكانت سعادة الدنيا أن تنقل هذه الصناديق إلى بيوتنا نقلب هذه الكتب كل ليلة . ثم نعيدها إلى المكتبة .. كنت مع أستاذنا العقاد نتبارى في ذلك . هو يذهب إلى مكتبة الأنجلو وأنا أذهب إلى مكتبة شادي .. هو ينقل المئات إلى بيته وأنا أنقل الألوف .. وفي صباح كل يوم جمعة يسألني العقاد : ماذا وجدت فأقول سعيدا : وجدت كتابا جديدا للفيلسوف جابرييل مارسيل وترجمة جديدة للفيلسوف الألماني هيدجر .. وكان قصدي من ذلك أنني وجدت ما لم يجد العقاد . وأن عندي من الكتب الجديدة ما لم يصل إلى علم العقاد . وهذه مرتبة رفيعة جدًا في المعرفة . وكان العقاد يضحك وينادى خادمه : هات الكتب الموجودة على السرير ..

وينجيء الخادم بكتب أكثر وأحدث مما عثرت عليه .. ولم تكن تصنيفي خيبة الأمل . فن المسلم به عندي وعند غيري أن أحدا في مصر ليس أكثر علما من العقاد . فأنا أتوقع أن أجده عنده من الكتب ومن المعرفة ما يفوق ما عندي وهذا يضاعف سعادتنا ويؤكد أن حبنا للعقاد شعور في محله .

كنا زمان نفعل ذلك .. أما اليوم فأنا حزين . وأكثر حزنا لأننى لا أعرف إن
كان المسئول هو الأستاذ الجامعى الدكتور حجازى أو الأديب يوسف السباعى وزير
الثقافة أو هو أحمد محمد على أحمد - وهو اسم لواحد ليس مسئولاً - ولكنه يتعنى
أن يكون وزيراً حتى لا يفعل شيئاً ! .

عار الأمية

نحن لا نسأل أحدا إن كان يريد أن يتعلم . لا اختيار لأحد ، لأنه من الضروري أن يتعلم .. وبعد ذلك نطلب إليه أن يوسع مجال العلم وأن يتعمق في الذى تعلمه . ومن الأفضل أن يكون المتعلم مثقفا . ومن الأنفع أن يكون المثقف عالما أيضا ..

ولكن المشكلة التى عندنا الآن : ٧٠٪ من المواطنين أميون .. فاتهم أن يدخلوا المدرسة أو استحال عليهم ذلك .. وهذه أيد عاطلة .. أو هؤلاء أراض بور .. أو عقول عقيمة .. أو خسارة فادحة على مصر .. ولا يمكن أن نسكت عنها . فنحن - مثلا - لا نستشير الطفل إن كان يجب أن يأخذ الدواء المر .. وإنما نحن نرغمه على ذلك . لأن الطفل لا يعرف أين هى مصلحته ..

والجهلاء أطفال يجب أن نكرهم على الدواء .. صحيح أن الشركات الدوائية تعرف الضعف الإنسانى .. ولذلك جعلت بعض الأدوية على شكل ملابس أو شكل بسكوت أو لها طعم الكوكا - تيسيرا للطفل وتشجيعا له على أن يشرب الدواء اللذيذ . أو يشرب ما هو مفيد .. كما أن بعض الهيئات الدوائية قد علمت النحل أن يمتص رحيق السكريات التى وضعوا فيها الفيتامينات بكل أنواعها .

لكى يتناولها الطفل على شكل ساندوتشات .. وفى هذه الساندوتشات يلتقى الغذاء والدواء والشفاء والطب وعلم النفس والصحة العامة .. ومحو الأمية !

ولذلك يجب أن نجعل محو الأمية شيئا سهلا للذين يتعلمون .. شيئا يستحق أن نشجعه للذين يقومون به .. وقد اقترحت ، أن يتولى محو الأمية صغار الطلبة فى الريف لأن الذى لا يعرف كيف يكتب : زرع - درس . ليس فى حاجة إلى متخرجين فى الجامعة .. إن أى طفل يستطيع ذلك . هذا الطفل أو طالب الثانوى يجب أن نشجعه . وذلك بأن نجعل المجهود الذى يقوم به التلميذ الصغير أو الطالب جزءا من أعمال السنة .. أو يساوى درجات المستوى الرفيع فى العلوم واللغات أو شرطا للدخول فى الجامعة ..

ومن الممكن أن نوسع مجال الجهود فى محو الأمية .. فنجعل الاشتراك فى هذا العمل الوطنى شرطا للترقى من درجة إلى درجة ..

لقد حاولت بعض الوزارات أن تفعل ذلك بأن يقوم موظفوها بمحو أمية السعاة .. لا بأس .. وهو ككل شيء عندنا يبدأ بحماس ، لينتهى بنفس الحماس أيضا .. أى يكون له بريق واضح ، ويكون لسقوطه دوى مسموع !

ولكن يمكن استئناف كل شيء ، على أسس مفيدة ماديا وأديبا للجميع !

إن دولا كثيرة سبقتنا .. ويجب الاستفادة من تجاربها . التى لا أطمع

ولا أظننى أستطيع . أن أقول لماذا لا نفعل كالصين مثلا .. إنها قد عبأت مئات الملايين من شعبها - وهم بشر مثلنا . وأرغمت الجميع على أن يتعلموا بالقوة .. تماما كما نكره الطفل على الصحة .. تماما كما ندفع الماء بالقوة فىرى الأرض البور .. وكما نفتتح بطن الأرض بالمحراث لنعرضها للشمس والهواء ..

إن مصر يجب أن تتخذ موقفا حادا جدا فهذا العار اليومى ، لا يحتمل الانتظار

ولا اليأس منه !

قالوا :

- لقد أصبح قلبه حجرا كلما ضربه بيده تكسرت أصابعه !
- اغسل وجهك كثيرا ويديك قليلا ، وعقلك قليلا جدًّا !
- حياتنا طواحين تسحق أكواما من الكذب !

أخلاقيات حرية النشر

عبارة قديمة قالها الحكماء شيشرون : هناك نوع من الشعراء عيونهم مثل الذباب لا تقع إلا على كل شيء قذراً !
وحتى لا يكون الكاتب والصحف كلها مثل هذا النوع من الذباب . يجب أن
تنشر أيضاً ما هو حسن وما هو جميل وما هو نافع في هذا البلد - قلت هذا كثيراً
جداً في هذا المكان ..

وأغرب مناسبة أن القضاء المصري العظيم قد حكم بالأشغال على خمسة من
الشبان خطفوا فتاة وحاولوا الاعتداء عليها . لولا رجال الأمن . الحادث فطبع
رهيب . يزعزع ثقة الناس في أجهزة الأمن . ويجعل العرب والسياح الأجانب
يتصورون أن مصر قد أصبحت غابة . وأنه لا أمن ولا أمان فيها . ولذلك فواجب
على الصحف أن تنشر ما يحدث .. وواجب عليها أيضاً أن تنشر ما الذي حدث
لهؤلاء الجناة .. أين ذهبوا . كيف عاقبتهم الدولة ليكونوا عبرة لغيرهم من
المنحرفين .. وإلا تضخمت هذه الحوادث الصغيرة . وتكررت .. فإذا تكررت
هدمت كل ما بنته مصر بأجهزتها الضخمة وتاريخها الطويل وإنجازاتها الكبرى في
الحرب والسياسة والثقافة والصناعة .

وليس من العدل أن نترك شرف مصر وسمعتها واقتصادها وسياحتها كره في أقدام خمسة من العابثين .. ولذلك يجب أن نظاردهم بالنشر عنهم حتى يكون النشر فضيحة وعذابا لهم وإنذارا مفزعا لكل شاب منحرف .

ولا أقول إن الصحف المصرية قد فعلت ذلك دائما . وإنما فرحة الأقلام بحرية النشر ، والبحث عن الشيء الذى يشير ويمتنع ويربح ، قد شغلها عن متابعة العقوبة لكل مخطئ .

وقد ظن الناس أن مصر قد امتلأت فجأة بكل أنواع الانحراف والشذوذ . وأنه ليس فيها أحد إلا وقد انكسر أنفه أمام الذهب . والتوت أخلاقياته أمام الجنس .

والصحيح أن مصر لم تنحرف هكذا مرة أخرى في عصر حرية الصحافة . ولكن الفساد قديم وسوف يبقى ما بقى الإنسان . ولكن حرية النشر هى التى جعلت فى استطاعتنا أن نقول دون خوف . وأن نعاون الدولة والشعب على حل مشاكلنا المعقدة . وعلاج أمراضنا التى طفت على السطح وجاءت الصحف فأبرزتها حتى يمكن لمسها باليد ومداواتها بعد ذلك ..

وهذا الحكم الذى أصدره القضاء لا يكفي أن تنشره الصحف . وإنما يجب أن تردده الإذاعة وهى وسيلة أغلبية الشعب إلى العلم والثقافة . ليعرف الناس ما الذى يمكن أن يلقاه أى منحرف .. خصوصا أننا بعد أيام سوف نستقبل ملايين السائحين من الأشقاء العرب وغيرهم . وسوف يتراحم الناس فى كل مكان وتتخبط العربات فى كل ساعات الليل .. إلخ .

وهنا فقط تتحول عيون الشعراء والكتاب إلى نحل يمتص رحيق الزهور . ليفرزه عسلا فيه شفاء للناس من انحراف بعض الناس ! .

بعد الامتحان

طبعي جداً أن يخاف أى إنسان إذا دخل امتحانا . وليس غريباً أن يكون هذا هو حال التلامذة والطلبة فى نهاية العام الدراسى .

والإكيف أتصور أن إنساناً ذا كروتعب وأعاد ما قرأ ثم لخصه ثم قرأه .. أياماً متوالية . كل ذلك من أجل أن ينجح . ثم لا يخاف من الفشل بعد ذلك ؟ فإذا أضفنا إلى المذاكرة شيئاً آخر هو التعب الجسمى والنفسى .. ثم أضف إلى التعب شيئاً آخر هو الأرق . بسبب التعب والقلق وكثرة المنبهات .. ثم كثرة المواد التى يذاكرها الطالب فى وقت واحد . مع ضيق الوقت وشدة التركيز . والطريقة الخاطئة فى المذاكرة .. وكلها عوامل تضاعف خوف الطالب وفزعه .

وفى مثل هذه الأوقات من كل سنة نطالب بتغيير نظام الامتحانات ، أوبالغائها . ولا أعرف كيف تعرف قدرة الطالب على التحصيل أو الفهم إذا لم نضعه فى امتحان . وإذا لم يكن الامتحان واحداً لكل الطلبة . فكيف تكون إتاحة الفرصة المتساوية للجميع .. كيف يكون العدل ؟

قد يقال إن الامتحان ليس مقياساً جيداً للطالب . أو لعقليته ؟ فهناك طلبة يرسبون فى الامتحانات وهم أحسن من الناجحين .. لأن الذى نجح هو الذى قرأ

وحفظ فقط .. ربما كان هذا صحيحا .. ولكن الامتحانات ليست إلا طريقا ضيقا لا بد أن يجتازها الطالب .. وبعد ذلك عنده الحياة كلها الواسعة العريضة المعقدة وهي أعظم ساحة للامتحانات . وفيها يجب أن يثبت قدرته على النجاح . إن مناقشات متاثلة نقرأ عنها في موسم الامتحانات في الصحف الفرنسية .. ولكن شيئا هاما لا نجد عندنا . وهو أنه في نهاية كل سنة تجرى أبحاث على الطلبة الصغار والكبار لمعرفة ما الذى أفلق الطلبة أكثر .. وما الذى يمكن عمله . وقبل أن تتلقى الهيئات إجابات الطلبة فإن هيئات أخرى كثيرة تدبر لهم الكتب والرحلات .. ولذلك نجد المجالات تنشر موضوعات عن أحسن الكتب التى تريح أعصابك .. هذه فرصة عظيمة جدا لتعرف بلادك اقرأ هذه الكتب .. سألنا عميد كلية الآداب عن أحسن عشرة كتب ممتعة ومفيدة ونعوض الطالب عن عذاب الامتحانات فاقترح لنا هذه الكتب ..

أما الرحلات فهي عادة هكذا ! سلسلة رحلات اعرف بلادك .. سلسلة رحلات اعرف جيرانك .. سلسلة رحلات اعرف الحضارات القديمة . ثم إن هناك تخفيضات خاصة بالطلبة ..

وقد اهتمت إحدى شركات السياحة الفرنسية إلى استعارة عدد من المدرسين المتخصصين .. وبذلك تحولت الرحلات إلى محاضرات حية مفيدة ممتعة .. أى أن هناك تعويضا علميا مريحا للملايين الطلبة . عن ذلك العناء والإرهاق والأرق الذى عانوه أيام الامتحانات وقبلها .

إننى أتمنى أن تكون منطقة قناة السويس ذهابا وإيابا هى درس اليوم وممتعة الغد للملايين التلاميذ والطلبة هذا العام !

أشياء صغيرة .. ولكن !

في التليفزيون الأمريكي يطالعك رجل جاد جدا . ولا تكاد تستمع إليه حتى تجده مندوب إعلانات . وهو يحدثك عن مسألة تافهة جدا . ولكنها في نفس الوقت هامة لأقصى درجة : هذا المسار الذي تجده في حذائك . من الممكن أن يفسد عليك متعة الحياة كلها .. كلام معقول جدا . ولكن ما الذي يقصده هذا الرجل الوقور . إنه يريد أن يحدثك عن أحدث أنواع كاوتش السيارات . فالكاوتش الذي يعلن عنه لا يتأثر بأى نوع من المسامير ومعنى ذلك أن المسامير لا تستطيع أن تفسد عليك إجازة نهاية الأسبوع !

وبعده يظهر رجل وقور جدا كأنه أحد الوزراء يتقدم بميزانية العام الجديد . وفجأة تجد أن هذا الرجل يؤكد لك أن السوست الموجودة في سيارتك مهما كانت قوية ومرنة في نفس الوقت . فإنها لا تستطيع إنقاذك من الصداع المفاجئ .. ولكن الذى ينقذك هو هذا النوع من الأقراص ذات الطعم اليرتقالى .. هذه الأقراص لو سقطت في أيدى أطفالك فإنها لا تضرهم بل تسعدهم وتسعدك في النهاية . والنصيحة : اترك هذه الأقراص تقع في أيدى الجميع ففيها سعادة للجميع ..

وبسرعة يطالعك التلفزيون بوجه رجل ضاحك كأنه سوف يلقى عليك أحدث
نكتة . هذا الرجل هو مذيع نشرة الأخبار . والنشرة تضم كل أنواع الحوادث
والكوارث في العالم كله وبمبنى الدقة والحوية .

ثم تظهر جماعة من ذوى الشعور الطويلة والقمصان المطبوع عليها صور البقر
والغربان : إنهم المعلقون السياسيون لأشهر الصحف الأمريكية وقد أتى بهم المذيع
بسرعة ليوضحوا لك خطورة الموقف في العالم .

وتختار أنت : كيف أن الرجل الجاد هو الذى يتحدث عن موضوعات تجارية
إعلانية .. وكيف أن الضاحكين هم الذين يتحدثون عن كوارث الدنيا .

ولذلك فقد اعتاد المتفرج الأمريكى على أن يخلط الجد بالهزل .. وأن يتقبل
كل ما يأتى به التلفزيون . وليس عنده وقت للتفكير فى شىء . وإنما يتلقى كل هذه
المعلومات وهذه القضايا بسرعة . فقد أعطى نفسه للتلفزيون . والتلفزيون يفعل به
ما يشاء .

مثلا : أفلام المعارك أو الحروب أو رعاية البقر نجىء متوالية على شاشة
التلفزيون . ولا يستطيع المتفرج أن يفرق بين الحروب الحقيقية والحروب التمثيلية .
فكلها حروب . ولذلك لم تعد أخبار الحروب شيئا مفرعا وإنما الفرق بين الحرب
الحقيقية والحرب السينائية .. أن هذه الأخيرة أجمل وأروع لأنها عمل فنى أما
الحروب الحقيقية فينقصها الجمال والحركة والحبكة .

وفى جميع الأحوال فإن المواطن الأمريكى لا يهتم لشيء من هذا كله .. إنه يرى
وينشغل ويتسلى . وبعد ذلك ينصرف إلى حياته الخاصة . محصورا فى عالمه
الأمريكى .. وهو عالم ضخم غنى مثير . يستطيع أن يستغنى به عن الدنيا ..
ولذلك فالتلفزيون الأمريكى وحش : ضحاياه المتفرجون والشعوب الأخرى !

التغيير .. دائما

ربما كانت هذه أول مرة أجلس فيها أمام التلفزيون من بدايته حتى نهايته كل ليلة ولمدة عشرة أيام . أعترف بأن هناك تغيرا واضحا . وأن هذا التغيير نحو الأفضل : فهو متنوع وهو يرضى كل الأذواق . وقد لاحظت ذلك من الذين جلست معهم وهم من أسنان مختلفة وثقافات متباينة .

واسترحت أكثر إلى اللاقى يقرآن نشرة الأخبار : الأصوات جيدة . والأداء سليم . واللغة العربية قد رد إليها اعتبارها مع احترامنا نحن أيضا !

وعندما كانت تدور مناقشات حول برامج التلفزيون وعيوبها ، كنت أرد نفسي عن المناقشة أو المشاركة . فلم أكن أرى هذه البرامج فترات طويلة . وعندما كنت أعود إلى البيت كل ليلة أجدنى عاجزا تماما عن سماع أو رؤية أى شىء . فأنا مهدود تماما . وإذا استمعت إلى شىء فإلى الراديو . أتحرك إلى جواره وأغمض عيني . وأبحث بأصابعى عن برنامج يساعدنى على النوم ، أو يساعد النوم على جفونى .. فلا أكمل برنامجا واحدا . بل إننى أحرص طول الوقت على ألا أتابع ما يجرى فى البرامج ، لأن المتابعة توقظنى وأنا أريد أن أغفو وأستغرق فى النوم .. وبحيىء النوم عادة قبل منتصف كل ليلة !

والتلفزيون ، ليس كالراديو ، فساعاته محدودة ، ومجال الاختيار فيه ضيق ، فليس عندنا إلا قناتان ، أما الإذاعة فهي الدنيا كلها عند أطراف أصابعك ، إذا لم يعجبك البرنامج العام فعندك صوت العرب والشعب والشرق الأوسط والبرنامج الموسيقى والأوروبي والإذاعات العربية والإذاعات المعادية .. كل الدنيا في غرفتك . ولكننا لا نستمتع بما يستمتع به أهل الخليج العربي .. فهم يقبلون التلفزيون بين السعودية والعراق وإيران وأبوظبي والكويت . أو المغرب الذي يشاهد إسبانيا وإيطاليا والجزائر وتونس .. ولسنا مثل الأردن نختار بين التلفزيون الأردني والإسرائيلي والسوري واللبناني .. ولكن من المؤكد أن شيئاً من ذلك سوف يحدث .. ففي شرق الدلتا وشمالها يستطيعون أن يشاهدوا تلفزيون إسرائيل ، وسوف يكون أوضح فيما بعد .. وهذا يحتم علينا التجديد التام في برامجنا وزيادة عدد القنوات .. وسوف يظل مجال الاختيار محدوداً جداً في الصعيد . فليس في استطاعتهم أن يروا غير بعض البرامج المصرية ..

وهذا التغيير في برامج التلفزيون قد جاء بعد دراسة مضمّنة . وفي وقت قصير . ومعنى ذلك أن إصلاح أى جهاز شىء ممكن ما دامت هناك قدرات على التنظيم . وقدرات على التنفيذ . وجهاز التلفزيون ضخم ، بل إنه من أقدر الأجهزة الإعلامية وأخطرها . وما لم تتغير بسرعة هذه البرامج فإن الناس سيضيعون بها ، إن لم يكونوا قد ضاقوا بالفعل . فالمتفرج ملول ، ويستحيل إرضاءه لأنه أصلاً غير راضٍ عن حياته . وغير راضٍ عن أحد ، في بيته أو في الشارع أو النادي أو مكان دراسته أو عمله . ولذلك فليس غريباً أن يشمل بسخطه وغضبه أجهزة الإعلام كلها ..

وفعلاً استمعت إلى عدد من الشباب يريدون رأيهم في برامج التلفزيون . ولم تعجبهم . وقد يكون هذا شيئاً مزعجاً لأن هذه البرامج لم تكمل دورتها بعد . فكان

هؤلاء الشبان قد قاطعوا واحدا دون أن يكمل كلامه ولكنهم لم يطبقوا أن يسمعوا
أحدا . فلا عيب في التلفزيون ولا عيب في الشبان . ولكنه الضيق العام بكل
شيء ، والملل من أى شيء .. فليس هذا ضيقا خاصا بأحد . وإنما هو بكل أحد
وكل شيء ! .

حكمة مولون

- يا أخى كل يوم أفتح الصحيفة فلا أجد إلا وجع القلب .. الله يلعن الأقارب أينما كانوا !

وسكت الرجل ، وكان لابد أن أسأله طبعاً ، فليست عبارته هذه إلا مثل الدقات التقليدية على المسرح وبعدها تنفتح ستائر الكلام ، ولكنى فهمت ما الذى يريد أن يقوله فسكت أنا لحظات لعل ذلك يضاعف عذابه مرة أخرى .. فعاد يكرر المعنى بعبارة أفضل : يبدو أن الذى يبحث عن الحزن يجده وبأسرع مما يتصور .. ما من يوم إلا وأجدنى أمشى فى جنازة أو أتلقى العزاء !

فهو كثير الأقارب والأصدقاء .. أو شديد المجاملة للناس أيا كانت صلتهم به .. ولذلك فهو حزين معظم الوقت . ويحاول أن يبرر ذلك بأنه من الحكمة أن يمشى الإنسان فى جنازة غيره ليتعظ وليعرف أن كل شىء إلى نهاية . وأن هذه الحياة الدنيا فانية .. وأنه لا داعى لأن يتمسك بها . ويكفيه أن يعيش بلا متاعب فإذا مات كانت نهايته بلا عذاب . وهو كلام يقال فى مثل هذه المناسبات وينساه الناس عادة عند أول لقمة حلوة أو وجه جميل ، أو تهديد فى لقمة عيش أو لمقعد يجلس عليه ..

وسألني : وما رأيك أنت ؟

ولم يكن يريد رأيي . ولكن يريد أن أواقفه على رأيه .. ولكنني وجدت حلا
فذكرت له حادثة معروفة .. قلت له إن المشرع الإغريق سولون زار صديقا له .
وتحدثا في أشياء كثيرة . ثم اتجه إليه سولون ليقول له : أَمْ يَكُنْ يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ
وَيَكُونَ لَكَ أَوْلَادٌ .. ثلاثة .. سبعة .. عشرة .. أنا أحب أن يكون لي عشرون من
الأولاد !

وسكت الصديق ثم قال : إن رجلا جاء من أثينا سوف يتناول الغداء معنا ..
قال سولون : أريد أن أراه لأسأله عن حال الناس هناك .. فأنا تركت أثينا
منذ شهر ..

وجاء الرجل على الغداء . وسأله سولون عن أخبار الدنيا . فقال الرجل إنه سمع
عن وفاة شاب وهو ابن رجل مشهور ..

وسأله سولون : ما اسمه .

- لا أعرف .

- وفي أي مكان يسكن

- عند أطراف المدينة .

- هل اسمه باولوس

- أظن .

- هل تعرف أباه ؟

- يقولون رجل مشهور جدًا .. وحكيم جدًا .

- هل اسمه سولون

- أظن ذلك ..

وانهار سولون .. وتقدم منه الصديق يقول له : لا تحزن .. إن هذه مداعبة ..

إنما أردت أن أقول لك إنه من أجل هذا لم أتزوج وليس عندي أولاد .. فالذى
عنده الكثير يخاف أكثر ويحزن أعمق !
- ثم إن الناس والدنيا لا تساوى شيئا !

استغاثة !

مهمة صغيرة وشاقة جداً أن تقول للعالم الخارجى : ما هى بلادك وماهى قضايك وما هو بالضبط هذا الوضع المعقد الملتهب بينك وبين إسرائيل أو بينك وبين اليهود أو بين القومية العربية والصهيونية وأين نحن من روسيا وأمريكا وأوروبا ودول العالم الثالث .. إنها خيوط من الحرير ومرة من الحديد ومرة من الديناميت . ومطلوب من المسئولين عن الإعلام هنا وهناك متابعة كل ما يقال من صدق وكذب ومناورات . ولا يمضى يوم دون أن يقال شئ وأن يرد عليه شئ آخر .. وأن يحىء صحفيون بالملئات من كل أنحاء العالم فى أيديهم كاميرات وميكروفونات ويطلبون وينقلون لملئات الملايين من الناس .. ويتظرون رد الفعل ويسألون ويجب أن نرد بنفس السرعة ونفس الخبث والدهاء ، أو تفاديا للخبث والدسائس حتى لا تضيع قضيتنا بسبب أننا ننمنا لحظة أو غفونا لحظتين ..

مهمة شاقة أن يكون لنا مسئول عن الإعلام فى عاصمة أوربية .. وليس من الصعب تعيين أى إنسان . فيكفى أن يكون أمين الجامعة العربية قادرا على إصدار القرار ، ليجلس على مكتب المدير أى إنسان ابتداء ممن يحمل لقب وزير ، إلى سكرتير الوزير ، هذا القرار سهل .

ولكن الصعب ، ولا يزال صعبا ، هو اختيار الشخص المناسب . لأن لهذا الشخص صفات جوهرية . وقد اشتركت في مناقشات مع عدد من الأصدقاء وزراء الإعلام . وأعترف أنهم كانوا على حق ، عندما أجمعوا على أن بعض الذين عينوا دون المستوى بكثير جدا . وأن هذا الاختيار كان سيئا ومسيئا للقضية العربية .. ولا أريد أن أقوم بتوصيف هؤلاء المديرين .

ولكن لا يزال « المدير » شخصا غير مستوف للشروط المطلوبة : هل يعرف لغة البلد الذى أرسلناه إليه ؟ هل يعرف لغات أخرى ؟ هل له تجربة في مواجهة الناس ؟ هل يعرف القراءة والكتابة ؟ هل يعرف الكتابة والقراءة ؟ - ليس هذا تكرارا وإنما هو سؤال دار في رأسي . ولم أصدقه ، فأعدته على نفسى مرة أخرى لكي أصدقه أنا وأنت . لأنه يوجد مدير لأحد مكاتب الجامعة العربية لا يقرأ ولا يكتب . وإنما له صفات أخرى . ليست سياسية ولا دعائية ..

ومجرد وجود مثل هذا المدير وغيره ، يجعل القضية ملتهبة : كيف نبعث بمثل هذا النوع من الرجال يدافع عن قضايا العرب كلها .. كيف نبعث بمن يحتاج إلى من يدافع عنه . ليدافع عنا ونحن لا ندرى به - وإنما نحن قد اطمأنت نفوسنا إلى سلامة القرار القائم على سلامة الاختيار ..

ولابد أن إسرائيل بمكاتبها وأقلامها وعيونها قد رصدت كل حركات السادة المديرين وعرفت مواضعهم .. وهى في نفس الوقت تواجهنا .. ولا أدري إلى من أتوجه باللوم والعتاب وإلى من أتوجه بالاستغاثة فنحن لسنا في حاجة إلى مصائب جديدة .. لختارها ونطلقها في الفضاء الخارجى لتعود إلينا وعلينا بمصائب أكبر - كان الذى عندنا شيء قليل ! .

كن شمسا .. تصبح لحياتك معنى !

أحسن نصيحة هي أن تعمل ما تعمله الشمس .
فالشمس تشع على العالم نورها . وهذا الإشعاع يجعل وزنها ينقص نصف مليون طن يوميا !

فإذا أردت أن ينقص وزنك فكن شمسا ، تشع النشاط والحياة والنظام على كل الذين تعمل معهم . أوكل الذين ترتبط بهم .

في عملك : لا يكفي أن تؤدي عملك . ولكن يجب أن تفعل أكثر من ذلك .
أن تعمله بحماس وهمة . وأن تكون نموذجا لا في أداء العمل . ولكن في أدائه على أحسن صورة ممكنة . وفي الذهاب إلى عملك يجب أن تختار الطريق الذي يجعلك أنشط .

اركب الترام أو الأوتوبيس .. ولكن يجب أن تهبط قبل مكان عملك بمحطة أو اثنتين أو ثلاث . وعلى رجلتك يجب أن تمشي إلى مكتبك . وفي العوده كذلك .
إن هذه المسافة الصغيرة التي قطعها مشيا على قدميك قد أنعشت جسمك وعقلك فإذا جلست إلى مكتبك . فالجلوس راحة تسبق نشاطك .
وفي استطاعتك أن تقول إن هذا كلام . وهو بالفعل كلام . ولكن سوف

تعرف قيمة هذا الكلام ، عندما يكون الوقت قد مضى . وعندما يصبح أى كلام بلا معنى . وتصيح أية نصيحة بلا وزن . أى عندما تتجاوز الأربعين أو الخمسين من عمرك . وعندما يقول لك الأطباء : يا أخى حرك رجلك . امش قليلا . إلخ ما قلته أنا منذ لحظات !

ولا أنصحك أن تضع أعصابك فى ثلاجة بقصد أن تجعلها تبرد قليلا ، لأن الثلاجات هذه الأيام لا تبرد شيئا ، إنها تترك كل شىء حتى يحمض فلا توجد قطع غيار - جلد أبواب الثلاجات مثلا غير موجود !
ولكن اضرب واطرح . أى قبل أن تلعن أحدا أو فكرة أو علاقة أو مركزا أو مالا : اضرب واطرح . أى قل لنفسك ولو لحظة : كم يساوى هذا الغضب . كم يساوى هذا الدم الذى سوف أحرقه ؟

وحياتك لا تساوى شيئا . فسوف تمضى الحياة بك ومن غيرك ، وربما من غيرك أحسن . ويبقى لك الهم والغم والمرض ووجع القلب . ومن ضمن أوجاع القلب أن يقول لك الناس : أنك تستاهل كل ما جرى لك !
إن الشمس تفقد وزنها لأنها تبعث الحرارة التى تحرق بها دمك ودم غيرك . فلنعمل جميعا على أن تحتفظ الشمس بوزنها . فنحتفظ نحن بعقولنا وقلوبنا ونستمتع بالمعنى الذى اخترناه لهذه الحياة . فالحياة لا معنى لها ولا حكمة - ولكننا نحن الذين نعطيها المعنى والحكمة !

قالوا ..

- الشر ليس كله شرا ، إنه الخير ولكن فى غير موضعه !
- أصبحت الأنثى تحتاج إلى وقت طويل لكى تكون كذلك !
- الزواج خادملك وليس سيدك !

المشى .. نعمة !

عرضت نفسى على الدكتور برجر . أحد أطباء البطن الألمان . سألنى عن شكواى فرويت له قصة طويلة أعرفها . وهى تبدأ عادة بأن أقول له إننى ربيى مصرى . أصابتنى الدوستاريا والبلهارسيا والإنكلوستوما وأنا صغير . وعولجت منها فى ذلك الوقت . ولم أصب بها بعد ذلك . والدكتور برجر يهز رأسه ويتابع مضاعفات هذه الأمراض . ثم يضيف إليه من عنده تجاربه مع المصريين والشرقيين الذين يتمددون أمامه للكشف عليهم وعلاجهم بعد ذلك - إن أمكن . وبعد ذلك بدأ الفحص العادى .

وطلب منى أن أجلس وأن أحدثه عن الأطعمة التى آكلها فى مصر . وليس من بينها الإسراف فى الدهنيات أو إغراق الأطعمة بالسمن أو وضع الشطة أو الفلفل أو حتى المملح فى أى طعام .

أما عدد أكواب الماء التى أشربها فهى كثيرة جدا فى نظره - رغم أن الماء الذى أشربه فى اليوم الواحد يعادل ربع ما يشربه أى طفل ألمانى من البيرة على الغداء أو العشاء أو الإفطار . هذا صحيح . ولكن كمية الطعام التى آكلها - وكذلك كل مصرى - تعادل أضعاف ما يأكله أى رجل ألمانى فى أية سن !

وسألني إن كنت أدخن . فقلت لا أفعل إلا نادرا . وطلب مني أن أذكر بعض العقاقير التي أتناولها قبل وأثناء وبعد الأكل . ويبدو أنها عقاقير معروفة .. وسألني عن الكبد والمرارة والبنكرياس ولم أعرف ما الذي أقوله .. وطلب مني أن أمشي في لغرفة .. ووقفت ومشيت ولاحظت أن حذائي واسع أكثر من اللازم . وأنه يكاد يهرب من قدمي . فقلت له : أفضل الأحذية الأوسع من قدمي . إنني أستخدم ما يريحني ولا يهمني إن كان يلبق أو لا يلبق ..
وقال الطبيب : الآن عرفت علاجك .

وقبل أن أدعوه بالصحة والعافية والنجاح وأن يقيه الله لأبويه وأولاده قال :
علاجك المشي .. والمشي .. والمشي ..

ونزلت من عيادة الدكتور برجر ماشيا إلى الفندق .. إلى الصحة !
ولو عرف الذين يفوتهم الأنوبيس أو الذين لا يقف لهم التاكسي أن أمامهم فرصة ذهبية لن يعرفوا قيمتها إلا فيما بعد ، ما غضبوا ولا لعنوا الحياة .. فالمشي أحسن دواء لكل داء - اسمعها مني عن تجربة !

هواية الطب

في حياتنا أناس كثيرون هوايتهم الطب . فهم لا يفتحون عيادة . ولكنهم يحملون هذه العيادة معهم في كل مكان . فلا تكاد تشكو من مرض حتى يتطوع الواحد منهم ويقول : عليك بكذا وكذا . فهذا الدواء قد جربته وشفيت بعد ثلاثة أيام .. أوفى نفس اليوم .

وتقول له : ولكن الدكتور فلان الفلاني قد وصف لي كذا . ويكون الرد : أن هذا الدكتور « » لم يسمع بهذا الدواء ولن يسمع به . فهؤلاء الدكاترة لا هم لهم إلا جمع الفلوس التي لا تعرفها الضرائب . ولا يمكن محاسبتهم بأي شكل ..

ويتنقل الكلام إلى الضرائب والفلوس التي يحشرها الأطباء في جيوبهم ولا يدرى بها أحد . ثم يتنقل الكلام إلى الممرضات والممرضين في عيادات الدكاترة الذين يتقاضون عن كل مريض عشرة قروش أو خمسين قرشا . وتجرى عمليات ضرب طويلة تنتهى بأن بعض الممرضات والممرضين يملكون عمارات ولا أحد يسألهم : من أين لك هذا ؟ أو كثير عليك هذا ؟

ثم يرتد الكلام مرة أخرى إلى العلاج والشفاء . وقد ينفع العلاج أولا ينفع .

وقد وقعت ضحية لكثير من هواة الطب .
ولكن فوجئت بأن لى أيضا عددا من الفضحايا . آخرها الأستاذ الكبير
إحسان عبد القدوس . وجدته يشكو من الزكام . وسألته عن العقاقير التى يتناولها .
ووجدتني أقول له إن الدكتور فلان « ... » ودواؤك وشفاؤك عندي . فأنا أجمع
كل الأدوية التى أقاوم بها الزكام والأنفلونزا قبل وبعد وأثناء حدوثها . وفى كل مرة
أسافر أشتري أحدث الأدوية لأننى شديد الحساسية للبرد . وقلت له : إننى سوف
أعطيك دواء يتعاطاه رواد الفضاء الأمريكان حتى لا يصيبهم الزكام فى طريقهم إلى
القمر .

وأنتيت له بالدواء . ولم أشأ أسأل عن صحته فى اليوم التالى . فأنا على يقين من
الشفاء . ومضى يوم واثنان وثلاثة ولم أتلق منه ردا يحمل الامتنان والإعجاب
بمعجزة الفضاء . ثم سألت عنه فوجدت الأنفلونزا قد استشرت فى كل جسمه !
كيف ؟ قال له الطبيب إن الدواء الذى وصفته للوقاية من الأنفلونزا إذا أصيب
بها الإنسان . فإذا لم يكن مصابا بها ، وتناول الدواء أصبح مريضا بها . ومرض
الأستاذ إحسان عبد القدوس بالأنفلونزا وراح الطبيب يعالجه من المرض الذى لم
يكن مصابا به من قبل !

وأرسلت خطابا إلى صديقى فى أمريكا أبحث عن دواء آخر للعلاج من هذا
الدواء الذى يشقى رواد الفضاء ويصيب سكان الأرض !
ومنذ أيام تلقيت خطابا طويلا عريضا خلاصته : عليك بعصير الليمون والبقاء
فى البيت والعدول نهائيا عن هواية الطب !

دنيا الرشاقة

الذى يشغل بجسمه مكانا كبيرا ، تصبح حركته قليلة . فالسمين أقل حركة من النحيف . ودنيا السمين محدودة . وعنده إحساس بأنه مزنوق فى الدنيا ، محسور فيها . موحول فى أرضها . ولذلك فهو قليل الحركة . ولأنه قليل الحركة ، يزداد سمنة . وشعوره بأنه سمين وأنه محبوس فى جلده ، يجعله عصبيا . وهذه الحالة العصبية تؤدى إلى اضطراب فى وظائفه الجسمية . هذا الاضطراب يجعله يزداد سمنة حتى لو امتنع عن الأكل !

بينما النحيف أخف حركة . ولذلك فهو يزداد نحافة . رغم أنه يأكل كل شىء .. . ولأنه نحيف دائما ، فإن هذا يريحه نفسيا . وهذه الراحة تؤدى إلى انتظام فى وظائفه . وهذا الانتظام يجعل عملية الهدم والبناء فى جسمه متوازنة . فلا وزنه يزداد ولا ينقص . وإنما هو فى حالة جيدة !

ونحن نعيش فى عالم مثله الأعلى : الإنسان النحيف . والإنسان يطالب بأن يكون نحيفا . ولذلك فهو يأكل القليل كأنه لا يجد الطعام . فأكثر الناس مالا . يعيشون كأكثر الناس فقرا . فهو يريد أن يكون رشيقا أو نحيفا . وضرورة النحافة هذه هى شعور عام . ولأنه عام فهو طوق من الحديد أو أسلاك شائكة ، حول كل

إنسان سمين .. وأكثر الناس يطلبون التخصيس أى القليل جدا من الشحم واللحم .
وإذا أصدرت شركات الدواء ألف دواء للتخصيس أصدرت دواء واحدا للسمنة !
واختلف العلماء فى تفسير السمنة . وقالوا : خلل فى وظائف الأعضاء ..
وقالوا : الغدة الدرقية .. وقالوا : الغدة الكظرية .

وقالوا إحساس الإنسان السمين بأنه شاذ أو منبوذ .. أو أنه برميل وسط
زجاجات الكوكا .. أو أنه فيل وسط غزلان .. هذا الشعور بأنه « غير » الناس ..
وأنه « دون » الناس .. هو الذى يُلخِط كيانه .. ويربك غده . وتكون النتيجة
أن يزداد كل يوم سمنة ، ويزداد كل يوم قرفا من جسمه ومن نفسه .. وأن يفقد
الأمل فى العلاج .. فإذا فقد الأمل أكل وشرب ونام وتحجر فى مقعده ، لأنه
لا علاج له !

وهذه هى الدائرة الخبيثة التى يدوخ فيها . والنتيجة أن يظل كما هو . والعلاج
هو : أن يهون على نفسه .. وأن يأخذ جسمه برفق وأن يصبر وأن يتحرك .. فإذا
فعل ، أصبح رشيقا مثل علامة التعجب هذه !

المهم .. أن تفهم ماتقرأ !

ليست هذه نصيحة . فأنا أكره أن أكون ناصحا لأحد . وقد كنت صغيرا . وأعرف أن النصائح ثقيلة على النفس . لا لأنها نصائح . ولكن لأن الصورة والأسلوب والعاقبة في كل مرة لم تكن شيئا مريحا . وإنما كانت أليمة . كيف يبدو وجه الأب والأم والمدرس والطبيب وهو يقول لنا : لا تفعل هذا وإلا .. لا تقرب من هذا وإلا .. لا تقرأ هذا وإلا ..

وكان حب الاستطلاع والمغامرة والعناد وتأکید الذات والعصيان تغرينا جميعا بأن نفعل الشيء المنوع - هذه طبيعة الإنسان . ومن أجل هذه الطبيعة نزلت كل كتب السماء ، وظهرت كل كتب الأرض . وابتدع الإنسان القانون والحواجز والسجون والمحاكم وعلامات المرور وعلامات الملاعب وتذاكر المسارح والسينات والأبواب والنوافذ ..

ولكننا جميعا كنا نختال على هذه المنوعات بعشرات الطرق - وهذه طبيعة الإنسان أيضا !

ولذلك فأنا لا أريد أن أتصح . ولا أريد أن أجعل هذه المقدمة طويلة لكي أستدرج القارئ إلى شيء أريده له . وليس لي

نحن الآن في الصيف . تعبانون مرهقون . ومن الضروري أن نستريح في أى مكان وعلى قدر ما نستطيع .. لأن الصيف هو فترة الاستراحة من عناء السنة والاستعداد لعناء السنة القادمة . ولكل الناس .

ولكن ماهى الراحة ؟

الراحة ليست أن تمتنع عن العمل .. وألا تذهب إلى نفس المكان لترى نفس الوجوه وتؤدى ، أو لا تؤدى ، نفس العمل الذى كنت تقوم به .

والراحة ليست أن تظل نائما في الفراش تنقلب حتى العاشرة أو الحادية عشرة صباحا . والراحة ليست أن تملأ بطنك على آخرها . ولا أن تذهب إلى السينما في جميع الحفلات الواحدة بعد الأخرى كل يوم - هذا إذا استطعت !

ولكن الراحة هى أن تجد لذة مفيدة .. أو متعة إيجابية . أو تسلية عقلية . الراحة ليست أن تعطل عقلك .. ولكن أن تنشطه في شئ مفيد . لأن الإنسان ليس جسما فقط . إنه عقل في جسم من الناس . أى عقل وجسم وعلاقات إنسانية أخرى .

وهناك عشرات الطرق لتشغيل عقلك . من بين هذه الطرق أن تقرأ . والقراءة تجعلك تستريح جسما وعقليا وتكون على صلة بالناس في كل البلاد وفي التاريخ . والقراءة هى أن تجلس إلى مائدة اشترك في إعدادها عشرات الألوف من الناس في كل مكان .. اجلس واطرح وامد يدك واملا عينك وادخر في عقلك شيئا ينفعلك بعد ذلك . فلا يمكن أن تتقدم أنت بعقلك ومركزك إلا إذا قرأت وفهمت واستمعت على مهلك . فليس في الإمكان أن تقرأ كل الكتب . تماما كما أنه ليس في إمكانك أن تأكل كل الطعام ولا أن تشم كل الهواء ، ولا أن تقبل كل الشفاه - غير ممكن - إذن عليك أن تفعل ما هو ممكن ولكن بمتعة . وعلى مهلك .. فليس

المهم أن تقول إنك قرأت ألف كتاب ، ولكن المهم أن تقول كم فهمت مما قرأت !

وليست هذه نصيحة ، وإنما هي تجربة واحد قارئ شديد الامتنان لله ، الذي منحه هذه الموهبة : أن يطيل السمع إلى كل من يقول كلاما في كتاب !

النوم موهبة !!

كان لابد أن نضحك : فقد سقط رأسه فجأة في طبق الملوخية !
ولكن لماذا !

قال الكاتب المعروف إنه اعتاد أن ينام مباشرة بعد الأكل . ويبدو أنه تأخر عن موعد النوم .. ولما نظرنا إلى ساعاتنا وجدنا أنه لم يتأخر كثيرا ولكنه أصر على أن النوم المفاجئ سببه أنه كان من الضروري أن يتمدد في فراشه في هذه اللحظة . وشاءت الصدفة أن نتناول غداءنا مبكرا في أحد المطاعم . وحدث نفس الشيء فلم يدخل رأسه في طبق الشورية وإنما سقط فوقه فأغرقت الشورية بنظولونه . واندھش . ونحن أيضا ، لما حدث ..

ولم أعرف السبب إلا فيما بعد . فقد حدث في المرتين أن جاء مقعده إلى جوار الثلاثة . والثلاثة لها صوت .. هذا الصوت هو الذى يجعله ينام إنه ينام على موجات موتور الثلاثة . فهل هذا ممكن !

من المؤكد أن هذا ممكن . وقد جرب العلماء الروس من عشرين عاما جهازا صغيرا يصدر موجات كهربية على بعض الققط . وكانت الققط تنام أثناء الأكل .. أو تتساقط فجأة وقد تطور هذا الجهاز الذى يساعد على النوم فأصبح

على شكل ساعة يد صغيرة .. أو ساعة توضع تحت المخلدة أو عند القدمين . وكلها تساعد على النوم . ويمكن التحكم فيها ، بأن تجعل الموجات قصيرة أو طويلة على النحو الذى تريد - أنا شخصياً أفضل صوت الراديو إلى جوارى !

وقد أجريت إحصائية عن عدد المهدئات والمسكنات والمنومات الطبية فى أمريكا وحدها فبلغت مائتين . ولو قرأنا العبارات التى تدعو إلى استعمال هذه الحبوب لوجدنا مثلاً : حبوب سارة .. حبوب الأحلام الهادئة .. حبوب النوم السعيد .. حبوب لانتصيك بالصداع أو الدوخة .. حبوب منشطة بعد النوم .. كيف تنهض من نومك خفيفاً كأنك أحد رواد الفضاء .. من قال إن منطقة انعدام الوزن أبعد بمئات الكيلومترات عن سطح الأرض ، إن هذه الحبوب تصنعها لك فى دقائق .. إلخ .

ولكن لاتزال المشكلة شتى : لماذا ينام بعض الناس بسهولة .. أو يأمرون النوم أن يجرى .. فيجىء .. بينما أناس آخرون لا يجدون النوم . ومهما صرخوا فإن النوم لا يرد .. وإنما يكتفى بأن يبعث عنه مندوبين من الصداع وحرقان العين وتقلص المصران الغليظ ..

آخر ما اهتدى إليه العلماء هو : أن النوم موهبة من عند الله ، لانستطيع أن نتعلمها أو نكتسبها ، وأن الأرق نقمة من عند الله .. فإذا كنت من الذين وهبهم الله ، فباسم ملايين الذين نكبهم الله بالأرق أعترض لك عن هذا الإزعاج !

ألوان من الخوف !

الصحة هي مجموعة رغبات مجنونة .

وأنا أقول لك كيف ذلك .. فالذى يحب هو الذى يخاف أيضا ، أكثر الناس حبا أكثرهم خوفا أن يذهب هذا الحب . أن يختفى فجأة . فالحب خائف على قلبه . خائف على المتعة الجميلة التى يعيشها . خائف على اللهفة على الشوق على الحنان على الأحضان .. ولذلك فالمحبون خائفون !

والذى لا يعرف من الدنيا كلها غير الحب . هو إنسان مجنون . ففى الدنيا ضرورات أخرى كثيرة !

والذى عنده طموح عنده خوف شديد أيضا . وأكثر الناس طموحا أكثرهم قلقا وأشدّهم فزعا . إنه يريد أن يصل . ويخاف أن يراحمه الناس . ويخاف إذا زاحمونه أن ينحوه أو يدوسوه أو يسقطوه . ولذلك فطموحه أنياب وأظافر وأرق وكرهية وحقد . وكلها ملفوفة بالخوف من الناس والخوف على النفس والخوف على السلم الصاعد أن يقع به أو ينكسر تحت قدميه ، ألا نجد قدميه إذا وجد السلم .. وأن نجد فى نهاية السلم طريقا مسدودا ..

ومجنون كل إنسان ليس فى حياته إلا السلم والصعود دون حب أو أخوة أو أبوة

أو تذوق لطعام أو شراب .. أو دون شعور بالأسرة أو بالمجتمع أو بالقيم الأخلاقية ..

والذى يريد أن يكون فى صحة جيدة شديد الخوف على نفسه من المرض .. ويدفعه هذا الخوف من المرض إلى الوسوسة . فهو يخاف من الطعام إن لم يكن مطهرا ويخاف من الماء إذا لم يكن معقما .. ويخاف من الهواء إذا كان فاسدا .. ويهرب من الناس إن كانوا مرضى . أو توهم أنهم كذلك .. ويفزع من الأدوية إذا أسرف فى تناولها ، ويفزع إذا لم يجد الأدوية .. ويطارد الأطباء حتى يعالجوه . ويطردهم إن لم يفلحوا فى ذلك ..

ولو كان أى إنسان مشغولا فقط بصحته ، دون أشياء أخرى كثيرة فى حياة الناس ، لقلنا إنه مجنون تماما ..

فكل عاطفة أو رغبة قوية تسيطر على الإنسان وحدها ، هى رغبة مجنونة . أو هى جنون انطبق على هذا الشخص . ولذلك يجب ترويض هذه الرغبات ووضع القواعد فى طريقها .. فالحب - مثلا - طبعى ولكن إذا كان الحب هو الإضراب عن الطعام والكلام والعمل والحركة انتظاراً للمحبيب .. وإذا كانت الحرية هى أن ترفع فرامل عن كل قول وكل فعل .. وأن تحرر نفسك من المجتمع ، من قيوده وعقده ووحوشه وعاداته ، فليست هذه حرية .. إنها فوضى . وإذا كانت الفوضى مرادفة للحرية ، فالجنون هو الوصف المناسب للإنسان ..

ولكن الصحة العقلية والنفسية والجسمية هى كل هذه العواطف الملتهبة أو الرغبات المحترقة والتزوات المشبوبة .. كلها معا بصورة متوازنة ، فالصحة هى حالات من الجنون قد توازنت واعتدلت ، بالعقل وبالناس !

تمنيات حارة

الله يعلم أنني أكره المستشفيات وأكره زيارة المرضى . ولا أطيق الراحة التي تصدمك داخلا وخارجا من غرف الأطباء . وملابس الأطباء وملامح الأطباء . وليس هذا طبيعيا . ولكن عندي أسبابا كثيرة لذلك . فلم أسعد بمعرفة الأطباء ولا برؤيتهم طول عمري . فقد رأيتهم يدخلون بيتنا ويخرجون دون أن يجدوا وسيلة لعلاج أبي أو علاج أمي . ورغم أن الآمال العريضة تسبقهم والأحلام الوردية تلاحقهم . والنتيجة واحدة : أن الشفاء من عند الله ، والدواء من عند الدكاترة . وبين الشفاء والدواء ضاعت فلوسنا القليلة ، وتبددت أيامنا حزنا على الأعراء الذين كانوا واختفوا . ومعهم كل المعاني الجميلة الباقية في هذه الحياة ! ولكن لا بد من أن تكون على صلة بواحد من الأطباء أو بكثيرين منهم . ومادامت في الدنيا أمراض وأوجاع وآمال في الشفاء ، وإمكانية لذلك . وأمست ذهبت إلى صديق مريض . وفي نفس المستشفى الذي دخلته أمي محمولة على مقعد ، وخرجت محمولة على الأعناق إلى حيث سيذهب كل الناس - يرحمها الله .

وكانت المصادفة . كالتى نعرفها فى الأفلام المصرية : فى نفس الغرفة وعلى نفس السرير وجدت صديق : وكانت تجلس إلى جواره زوجته .. وعلى المقعد الباقى جلست أنا . كما كنت أفعل من قبل . وجاءت الممرضات . وصافحنى . كما كن يفعلن قبل ذلك . ويسألننى عن الصحة - وهن لا يقصدن عادة شيئا من ذلك . وإنما هو سؤال تقليدى . وكان الرد تقليديا . ولكن فى نفسى أشياء كثيرة تروح ونحىء وتلوى كالثعابين ، وتطيح كأنها طيور وحشية ، وفى جوانبى وخز . وعلى لسانى نمل ، وفى عيني دخان ونار .. وانسدت نفسى .. ووجدتنى محشورا فى الغرفة .. فكل شىء قد أطبق على جسمى ، أو انطبق على رأسى .. وأريد أن أنتزع نفسى من المكان أو من الموقف أو من خضم المشاعر الكريهة الحزينة .. وحاولت أن أسحب نفسى كأننى فى بحر من الوحل . وكأن الوحل : طين وصمغ وشوك .. ولكننى لم أستطع . وجاء نفس الطبيب أو هو طبيب آخر . ولكننى تخيلته هو . ونهضت وصافحته وسألته عن صحته . ولا أعرف ما الذى قال ، أو ما الذى يقوله الأطباء عندما تسألهم عن الصحة .

ودعانى إلى مكتبه وجاءت القهوة وذهب هو يرد على شيفون . تماما كما يفعل عادة .. ولم أشرب القهوة . فالذى دخل فى أعماقى أكثر سوادا ومرارة ولسعا من لقهوة . وخرجت ولم أعد . وأمنى ألا أعود .. ألا أعود مريضا بعد ذلك .. شئ الله كل الناس من الأطباء والمستشفيات !

بناء الإنسان أضعب !

إننا نولد في ظروف خلقت قبلنا - عبارة مشهورة معقولة لكارل ماركس !
ومعناها : هات عريجي حنطور واجعله سائقا لسيارة مرسيدس ، فإن أول شيء
سوف يفعله هو أن يفتح النافذة ويصق في الشارع !

وأرى أنه لم يخطئ في ذلك ، فهو قد اعتاد أشياء كثيرة . وفجأة تغيرت
الظروف ولكنه لم يتغير . فالظروف قد سبقته إلى الحياة بل إنه هو الذي جاء متأخرا
عن ظروفه . وليس من السهل أن يتغير الإنسان بين يوم وليلة . مجرد أن الظروف
تغيرت . فالذى يتصور أن الإنسان يمكن تغييره بهذه السرعة لا يفهم معنى الطبيعة
الإنسانية ولا يفهم معنى الفرق بين الكرسي والجالس على الكرسي ، لأنه من
السهل تكوين الكرسي وتغييره وتعديله ، ولكن ليس كذلك تغيير من يجلس على
الكرسي في حنطور أو في سيارة أو وزارة .

فنحن جميعا نطالب أنفسنا بالتغيير . هذا واجب . ولكن نخطئ في فهم
أنفسنا . لأننا نتصور أن التغيير سهل جدا . وأنه بقرار يمكن إلغاء الكسل . وبقرار
آخر نقفز من القرن العشرين إلى القرن الواحد والعشرين ومن دولة نامية إلى دولة
عظمى .

إن أول شيء يدل على جدية مانقوله هو أن نتصور أن التغيير صعب . فالذى يقول ذلك جاد . والذى يقول عكس ذلك هازل أو خرافى أو مخرف . فنحن نستطيع أن نشترى مفاعلا ذريا فى هذه اللحظة . ولكن نحتاج إلى ملايين اللحظات لكي لا تبصق على أرض المفاعل الذرى ، أو نلقى الزبالة من نوافذه . أو نلقى الاستمارات الخاصة بتسلم أحدث الأجهزة ووضع الاختام والإمضاءات وأوراق التمتع عليها !

إن أحد رواد الفضاء الأمريكان قد حمل فى عنقه خرزة زرقاء لينجو من الموت ! هل هناك خرافة أكبر من ذلك . هل هناك تحد للعلم والعالم أكثر من هذا .. هل يمكن لعقل إنسان متطور جدا أن يصدق أن هذه الخرزة تستطيع إنقاذه من الموت فى الوقت الذى يعمل على سلامته عشرات الألوف من العلماء ومئات العقول الإلكترونية وألوف الملايين من الدولارات !

ولكنها طبيعة الإنسان أصعب من كل شيء آخر حولها .. إن الظروف تتغير ويمكن تغييرها ، ولكن الإنسان لا يتغير بهذه السرعة ، ولذلك فبناء العمارات وتمهيد الطرق وزراعة الأرض وإيادة الحشرات ، أسهل جدا من بناء الإنسان وتيسير الحياة له وغرس الأمل فى خطاه ، وإيادة الفقر والجهل والمرض والخوف من حياته .

إن الذين يتعجلون التغيير على حق . ولكن الذين يتوهمون أنه يمكن فى يوم أو فى شهر أو فى سنة واهمون . لأن هذا يحتاج إلى جيل يضحي من أجل جيل من أجل جيل !

قالوا :

- ليس الفن الجميل هو الذى يعجب المرأة ، ولكن الضوضاء التى يحدثها !
- لا يهم أن تفتح عقلك ، الأهم أن تطبقه على شىء مفيد !
- نهاية العام الدراسى مثل نهاية الحب : نهاية شىء لم يبدأ بعد !

البكاء على اللون الأخضر

هل هو العداء لكل ما هو أخضر؟
هل هو العداء للحياة؟ هل هو محبة اللون الأسود أو اللون الأصفر؟ هل هو
حب المباني وكرهية الأرض المزروعة؟
.. وإلا فلماذا نحرص بانتظام على نزع الأشجار المزروعة في الشوارع ، ونزع
الأرض المزروعة ونحويلها إلى أرض للسكنى .. أو نزع المزروعات ونحويل الأرض
الضرب الطوب الأسود .. وبذلك تتحول الأرض المزروعة إلى أرض بور .. إلى
مستنقع .. لا يصبح صالحا للزراعة .
لماذا تتحول الأراضي المزروعة حول المدن إلى أراضٍ للسكنى . القاهرة مثلا .
بدلا من أن تمتد المباني في الصحراء ، فإن المباني تقوم على خرائب المساحات
المزروعة . لماذا؟ ألا يوجد قانون يحرم قتل هذه الكائنات الحية الخضراء .. ألا
يوجد ذوق يجعلنا نحب اللون الأخضر في الحقول أو في الشوارع أو الحدائق !
إن الأرض الزراعية في مصر ، مع الأسف ، لا تتسع بقدر احتياجاتنا .. إنها
تتسع ببطء شديد . وسوف يأكل البحر الأبيض أرضنا السوداء من الشمال .
ففيضانات النيل ، قد انتهت إلى غير رجعة . وكانت مياه النيل حائلا بين أمواج

البحر وبين الدلتا . وكانت هذه المياه عندما تصطدم بأمواج البحر تركد ، فيترسب
الغرين مضيئاً شيئاً من التربة الناعمة الخصيبة إلى الدلتا .. وإلى جوانب القنوات ،
وإلى سطح الأرض الطينية . كل ذلك لن يسمح به السد العالي بعد اليوم . وتحت
ضغط غريزة تجريبية تدميرية تقوم بمنتهى الحماس . متى أتيت لنا الفرصة .
بتقطيع الأشجار .. أو الإبقاء على الأشجار بشرط أن يجردها الأطفال من أوراقها
وأزهارها . ولكن لماذا ؟ لا أحد في البيت ولا في المدرسة ولا في الصحف ولا في
الكتب يقول لقاطع الأوراق والأزهار ، لا تفعل . وفي هذا الصمت اتفاق على أنه
لامانع من أن يحدث ذلك . ويحدث ذلك على مستوى الضنغار والكبار !
إننا نحل بعض المشاكل بخلق مشاكل أخرى . فالسكن مشكلة . وحاجتنا إلى
البيوت شديدة . ولذلك فكل أرض هي سلعة معروضة .. أيا كانت هذه الأرض .
والمساكن تحتاج إلى طوب . وإلى الطوب الأحمر بالذات . فلا أحد يبنى بالحجارة أو
بالطوب الرملى ، والطوب يجب أن نأخذه من الأرض ، ونحن نختار أقرب الأرض
إلى مكان البناء ، توفيراً لعمليات النقل .. وهكذا فالناس لكي يسكنوا يجب أن
يخربوا الأرض المزروعة ، والأرض المزروعة لن تقى بحاجات الناس . وبتزايد
السكان وترتفع أسعار المزروعات والمأكولات والمشروبات والملبوسات .. لأن
الناس يجب أن تجد مسكناً ، وبعد المسكن يجب أن تجد طعاماً . وعلاجاً ودفاعاً .
وتدور الدائرة وتستمر البيوت تأكل الأرض والناس يأكلون الطوب !

داء .. ودواء

كنا ونحن أطفال نعيش في الريف كان هناك زحام شديد فوق الأشجار :
فالطيور كثيرة . وزحام على الأرض . فالحيوانات في الحواري وعلى أبواب البيوت
وفي داخل البيوت . والنمل يملأ الأرض والجدران .. كانت القرية مثل سفينة
نوح . ولكن الآن ماذا جرى لسفينة نوح ؟ لقد أقفرت السفينة من كثير من هذه
الطيور . وأصبح للسفينة أكثر من نوح . وليس سبب ذلك أن نوحا هذا وأولاده
قد أقاموا للحيوانات بيوتا وللطيور أقفاصا . ولكن ظهر عفريت من نوع غريب
يأكل الحيوانات التي تأكل النباتات ، ويأكل النباتات التي تشرب ماء الأرض ..
ثم يأكل الجميع لأنها تنفس من الهواء .

هذا العفريت الجديد اسمه :

التلوث ! .

فالهواء مسموم . والأرض والماء .. والنبات والحشرات والحيوانات .. وهي
جميعا طعام للإنسان فالإنسان أيضا مسموم يئذ السموم ثم يعود فيأكلها في ثمار
النبات وألبان الحيوانات ثم الحيوانات نفسها .. وإذا لم يكن يشرب اللبن ويأكل
الحيوانات ، فإنه يشم هواء مسموما .. بل إن الإنسان قد صنع لنفسه أنواعا من

الأدوية ، هذه الأدوية مسمومة . وهناك نظرية تقول : كل دواء هو داء . وليس للإنسان شفاء !

فالإنسان يحمى النبات من الآفات ولذلك يرش عليه المبيدات الحشرية هذه المبيدات لكي تقع على النبات يجب أن يحملها الهواء ثم تسقط على النبات وعند سقوطها على النبات تختنق الحشرات . ونجىء بعض الحيوانات فتأكل الحشرات المسمومة .. ولكي أجعل هذه الصورة قريبة : (ففى حديقة حيوانات الجزيرة مليون فأر . هذه الفئران تأكل طعام الحيوانات الأخرى . وإذا حاولت إدارة الحديقة وضع السم لهذه الفئران . خافت على الحيوانات الحية أن تأكل هذه الفئران الميتة فتموت هى أيضا . ولذلك كان لابد من التعايش السلمى بين الجميع . فتنقص الحيوانات المحبوسة ، وتتضاعف الفئران الطليقة !) ثم نجىء الحيوانات وتأكل النباتات المسمومة . ويجىء الإنسان ويعيش على ثلبان ولحوم هذه الحيوانات ومات أكثر من مائة نوع من الطيور ومئات الأنواع من الحشرات .

وفى الحرب العالمية الثانية كان الجنود يستخدمون الدددت لقتل الحشرات . وانتهت الحرب العالمية الثانية واخترع الإنسان أنواعا كثيرة من الدددت لقتل حشرات الإنسان والحيوان والنباتات .. وماتت الحشرات . وبعضها اعتاد على هذه المبيدات .. ولكن من المؤكد أن كل السموم قد انتقلت للإنسان . وماء الأنهار مسموم ففيه نفايات المصانع . وهواء المدن مسموم ففيه ما يخرج من السيارات والمصانع .. ومياه البحر مسمومة ففيها ماترمية السفن .

ولذلك ظهرت أمراض غريبة ، وأوجاع لا يدرى لها الإنسان سببا . ومات الشباب ومات الأطفال واربتكت وظائف الجسم الإنسانى ، والتوت العقول . ولن يتوقف الإنسان عن البحث عن وسائل جديدة للحياة مع الطبيعة أو عليها أو ضدها .. وسوف تقوى العقول ولكن الأجسام سوف تضعف . والعلاج ؟ أن

يكف الإنسان عن اختراع وسائل جديدة للحياة . ولكن الإنسان لن يتوقف عن
الاختراع وعن الموت بأساليب وأدوية جديدة !

قالوا ..

- في الحب : أنت تقيد نفسك أكثر مما يقيدك غيرك !
- أنت أضعف من أن تقاوم الحب إذا جاء ، وإذا ذهب !
- الحب ليس نادرا ، ولكن الإخلاص فيه ! ..

حكمة قديمة وعلم حديث

نحن نقول في الأمثال الشعبية عن الرجل الشجاع : أنه شارب من بزمه .. !
ويبدو أن هذا هو رأى العلم الحديث الذى يفضل أن يشرب الطفل كذلك ،
بدلاً من أن يشرب من بز بقرة أو من زجاجة بها لبن البقر أو مسحوق من ألبان
حيوانات أخرى .

ففى فرنسا يشجعون الأم على أن ترضع طفلها بنفسها . ولاخوف عليها من أن
تؤدى الرضاعة إلى ترهل النهدين . فهذا الامتلاء والتضخم والترهل ليس بسبب
الرضاعة ، ولكنه بسبب الحمل . ولاخوف على نهديها من اختفاء الاستدارة
والبروز . . وفى فرنسا يشجعون الأم مادياً على أن ترضع طفلها ..

والأطباء يرون أن لبن البقرة به نسبة بروتين عالية . أقوى من أن تحتملها
الكليتان الصغيرتان . ولكن البروتين فى لبن الأم نسبته أقل وأخف . كما أن ألبان
الأبقار تنقل إلى الطفل بعض الأمراض من بينها الأكريميا وأمراض الحساسية
الشديدة . فى حين أن لبن الأم به « أجسام مضادة » لحمايته من المرض . من كثير
من الأمراض ..

كما أن الرضاعة تؤدى إلى تخسيس المرأة ..

ثم إن الرضاعة تؤدي إلى أن تفرز الأم هرمونا يؤدي إلى انقباض الرحم وعودته إلى شكله قبل الولادة .

والرضاعة تمنع الحمل . ولذلك نجد أن بعض الأمهات يرضعن أطفالهن سنتين وثلاثا . إشباعا للطفل ، وحتى لاتحمل الأم مرة ثانية .

وقد أجرى الأطباء تجارب على حيوانات صغيرة وفترات طويلة ليروا أيهما أصح : التي رضعت ثدي الأم أو التي تغذت من الزجاجه . ولاحظ العلماء أن لبن الأم هو الأصح وهو الذي يريح أحشاء الحيوان ..

والأمهات هن شكوى : وهى أن الأم لا تعرف كم من اللبن رضع الطفل إذا أعطته ثديها ، بينما تعرف بالتحديد كمية اللبن التي شربها إذا تناول الزجاجه . ولذلك تفضل الأمهات الزجاجه على الثدي . ولكن الأطباء يردون على ذلك بأن هذا يبدو صحيحا . ولكن الأمهات يعطين الأطفال كميات أكثر مما يقدر عليها الطفل . بل إن الأمهات يشجعن الأطفال على أن يفرغوا من شرب الزجاجه . والأمهات يخلقن عادة سيئة عند الطفل وهى أن يشرب كثيرا وأكثر مما يحتاج . وتخطئ الأمهات إذا ظنن أن الطفل الممتلى هو الطفل الصحيح . ولكن الطفل الممتلى هو الذى سيكون شابا ممتلئا ، ورجلا سمينا بعد ذلك . بينما الطفل إذا أعطى ثدي الأم ، فإنه سوف يشرب كفايته تماما . وهو وحده الذى يقرر ذلك . ولاخوف على الطفل من أن يشرب فى الساعة ثلاث أو أربع مرات ، ولكنه الخوف الشديد عند الأمهات على الطفل هو الذى يربك حياته . ولكن الله قد أودع فى الطفل حكمة بليغة . ولذلك فهو أقدر من أمه على أن يعرف متى يشبع وكيف يكون كذلك !

إن الأم التى تفرص على إرضاع طفلها من لبنها لهى أم شجاعة قد شربت من بز أمها !

ومن حولنا الدائرة

طلعت الشمس قلبها وأنا أفتح النافذة في الصباح . واندھشت جدًّا كيف أن هناك شمسًا في السماء وأن أشعتها تدفع النافذة وتدخل وتبهرنى . كأنى ما رأيت شمسًا قبل ذلك ، ولا توقعت أن أجدها وراء النافذة . ومن النافذة رأيت كل شيء واضحًا لامعًا دافئًا . النيل فضته تتألق . والبيوت كلها قائمة على حيلها . والعربات والسيارات تروح وتجيء كأنها هى أيضًا قد اكتشفت أن الشمس ماتزال تطلع ..

وأدهشنى جدا أن أكتشف أن الشمس قد طلعت صباح اليوم ، مع أنها تفعل ذلك من ملايين السنين . ولكن الدوامه والساقية والطاحونة والدوخة اليومية التى أعيش فيها جعلتنى أدخل فى غرفة وأخرج منها إلى غرفة وأهبط فى غرفة وأنتقل إلى عملى فى غرفة . . وكلها ضيقة مقفلة . وبسرعة أنزل كأننى هارب . وبسرعة أعود كأننى هارب . وفى هذا الهرب اليومى لأشم الهواء ، ولأرى السماء . ولأدري إن كانت قد طلعت لهذه الأيام شمس . . أو غربت فيها نجوم . . الليل كالنهار كلاهما أفضيه وراء النوافذ والأبواب . أما السماء فلا أراها . إننى استبدلت بها أسقف الحجرات . أما البرودة والحرارة والسحاب والمطر والعواصف فإننى أقرأ عنها

أو أشاهدها في التلفزيون ..

وإذا خرجت من هذه الدوخة اليومية . واضطرت للذهاب إلى المزارع أو إلى الهرم أو سافرت ، فإننى أشعر أننى خرجت عن الطريق . كأننى مثل سفينة جنحت أو ارتطمت بالقاع وأنها لم تعد قادرة على الحركة .

وأقرب الصور إلى حالتى : صورة الحوت الذى أكله القرش فى فيلم « العجوز والبحر » فقد ظلت أسماك القرش تأكل الحوت حتى لم يبق منه إلا هيكله العظمى . . وأنا قريب الشبه بهذا الحوت ، لولا أن الأسماك بعد أن تأكلنى فإننى أجدد لحمى وأستعيد نشاطى . . ولكننى أظل دائما طعاما لحيوانات وحشية اسمها الليل والنهار والإرهاق والدوخة والسجن الاختيارى من غرفة أكبر إلى غرفة أصغر . . ولا أعرف من الذى أهرب منه . . إننى فى الحقيقة أهرب من نفسى حتى لا أسمعها تقول لى : يارجل اعقل . . انظر حولك . . انظر وراءك ما الذى يبقى لأحد من أى شىء . . ما الذى أخذه فلان ما الذى سوف يأخذه علان . . وسوف نهرب حتى لا نسمع حكمة أخرى تدوى وترلزل أعماقنا : إما أن تكون كلبا أو تكون ذئبا . . ومن لم يكن ذئبا أكلته الذئاب !

ومامن مرة نذهب إلى مكان هادئ جميل الألوان نقى الهواء ، حتى نعاهد الطبيعة على أن تكون عند قدمها وفى أحضانها مرة كل أسبوع . . وتنتهى هذه الزيارة . . ومعها يبدأ كل شىء . . فنجرى ونهرب ونتوارى كأننا لصوص . . وفجأة نضيق بكل شىء . . ونضيق بأنفسنا ولا نجد غدنا وقتا كافيا لنعرف من الذى فاز بالكأس أو الدورى فى مباريات الكلاب والذئاب فى داخل الإنسان !

ضرورة .. أن نبدأ بالحب !

لو خطر على بال أحد من محافظة القاهرة أو الجيزة أن يعطى أرقاماً للأشجار فما الذى يحدث بعد ذلك ؟ لغربة هذا السؤال فإنتى مضطراً الى أن أعيدته بشكل آخر . نفرض أننا فجأة وقعنا فى غرام كل شىء حى من الحيوانات والنباتات ، وبناء عليه قررنا أن نعاقب بالحبس والغرامة كل من يقطع شجرة ابتداء من أمناء الشرطة حتى محافظ الجيزة . ولكى نضبط (الفاعل) الذى يقطع شجرة أو يتطاول عليها وضعنا للأشجار أرقاماً كالسيارات والتليفونات حتى نعرف من تتابع أرقام الأشجار إن كانت واحدة منها قد اختفت مع غروب الشمس ..

فما الذى يحدث فى مصر لو فكرنا فى ترقيم الأشجار ؟ ساعدنى أنت . ماذا نفعل نحن بهذه الفكرة . لا بد أننا سنسخر منها أول الأمر ، وسيحاول كثيرون محو هذه الأرقام أو إضافة أصفار لها تضليلاً للعدالة وللبلدية .. وسوف تدور مناقشات طويلة تافهة وعلى أعلى المستويات حول لون الأرقام : هل هو أبيض أو أخضر أو أحمر .. وأين نضع هذه الأرقام ! ومناقشات هامة جداً حول ارتفاع الرقم من سطح الأرض ليكون بعيداً عن أيدي الأطفال ، ومناقشة أخرى عن تكاليف هذه البوية .. وما الذى سوف تفعله الشمس والأمطار بهذه البوية وسوف نخد من يقول

إنه من الأفضل ألا نضع أرقامنا على الإطلاق .. وأن نترك ذلك لضمير الشعب .
وسوف تدور مناقشات أسخف من ذلك .. أما الموضوع الأساسي الذى هو :
هل نترك الأشجار الجميلة تقى الناس من حرارة الشمس دون أن يمسسها أحد ؟
هل نتفق على هذا المعنى الجمالى والأخلاقي مرة واحدة وإلى الأبد ! هل كل
ما تفعله دول كثيرة مثل إيران أو في وزنتا التاريخي أو ما تفعله دول أكثر تطورا ؟ هل
نعلم أطفالنا ذلك ؟ هل نكون قدوة حسنة للصغار .

.. إن مثل هذه القضايا إذا أثرت فسوف يكون رد الفعل التقليدي عندنا
هو : يعنى هيه دى بقى اللى حتنقذ البلد .. هيه دى بقى اللى كانت ناقصة مصر ؟
طبعاً هيه دى وغيرها .. طبعاً هذا الاهتمام بالحياة . حب الحياة . حب
الشجرة والحيوان والنظام والنظافة والاستفادة من تجارب الآخرين ..
نعم : يجب أن نهتم بكل شيء ويكل إنسان وأن نهتم له أيضاً .. هذا
الاهتمام .. هذا الاكتراث هذه الجدية هى التى كان من الممكن أن تنقذ الحيوان
من إهمال الإنسان والنبات من تخريب الإنسان ، والإنسان من الإنسان !
نعم : هيه دى !

عدالة الاختيار .

على أى أساس نختار الأم المثالية ؟

لابد أن يكون من بين الأسباب أنها سيدة تعذبت واستطاعت أن تتغلب على هذا العذاب المادى والنفسى . ويكون من العذاب أن ظروفها المادية صعبة ، وأن هذه الصعوبة تجعل الحياة شاقة وتربية أبنائها أقصى درجات الألم والهوان .

فهل الأم التى عندها عشرة أولاد أكثر عذابا من الأم التى عندها طفل واحد ؟ إذن لكانت أم الرئيس الراحل كنيدي أما مثالية رغم الثراء العظيم الذى تنعم به هذه الأسرة . ولكانت أما مثالية لأن أبنائها قتلوا الواحد بعد الآخر ، ولأن ابنتها الوحيدة فى مستشفى الأمراض العقلية ! .. أليس من الممكن أن تكون تربية الطفل أشق على الأم من عدد من الأطفال . فالطفل الوحيد يكون مدللا متطرفا فى حزنه أوفى استخفافه . فإذا أفلحت الأم رغم ذلك فى أن تجعله ناهيا ناجحا ، أفلا تستحق هذه الأم أن تكون مثالية ؟

- أول أمريكى هبط على سطح القمر ابن وحيد !

إذن ليس بعدد الأطفال تكون الأم مثالية .

فهل هى الأم التى مات زوجها وعلمت أولادها من بعده وبفلوسه ؟ هل هى

الأم التي لا تملك إلا القليل وعاشت هي وزوجها يقتسمان مشقة الحياة لأسرة كبيرة -
العدد ؟

هل هي الأرملة التي ترعى أطفالا فقراء وأطفالا مرضى ؟ .. هل هي الأرملة
التي مات ولدها أو أكثر من واحد من أولادها ؟ هل هي التي أعطت عينها لابنها .
ونزعت كليتها وأعطتها لابنتها ؟

هل من الضروري أن تكون الأم قد مسحت البلاط وعصرت الغسيل وتوكتأت
على الجدران . لكي تكون أما مثالية ؟

هل لو ظهرت عشرون قصة مقنعة من مدينة واحدة كالمنصورة مثلا ، هل
نختارها جميعا دون نظر إلى بقية المحافظات ؟ هل العدل الجغرافي يحتم علينا هذا
الظلم الإنسانى ؟

هل كل الأمهات قد أرسلن قصص حياتهن ؟ إن عددا قليلا جدا فعل ذلك .
وإن عددا كبيرا جدا من الأبناء يفضلون الصمت أو تقديرهم الصامت على
الفضيحة مهما كانت نتائجها .

هل الأم التي كان عذابها مثل عذاب أيوب عليه السلام فادحا في تربية
أولادها الذين لم ينجحوا تستحق الجائزة . ولا تستحقها أم نجح كل أولادها فكان
نجاحهم تعويضا وتكريما لها يغنيها عن تكريم الدولة ؟

ليس واضحا الأساس الذى يجعلنا نختار الأم المثالية لمصر كلها . . ولكن نختار
من بعض الرسائل بعض الحالات . . ثم نفرز الحالات الباقية . . ونشاور ثم نختار
بعد ذلك . وهو اختيار يستحيل أن يكون دقيقا . وإنما حسن النية وضرورة إعلان
ذلك بسرعة . والإبقاء على هذا اليوم الجليل الجميل الذى يفرح به الأطفال .
لعلهم إذا كبروا يحتفظون للأمهات بهذا الامتنان العظيم .

وحتى لا يفضب أحد من أحد ، في استطاعة الأبناء أن يختاروا أمهاتهم اليوم
وكل يوم وأن يقيموا الحفلات لذلك . . وهكذا يكون الابن المثالي قد اختار الأم
المثالية للأسرة المثالية وهذا يكفي جدًا لبناء شعب عظيم :

حكمة الأمومة

لو عرفت كل أم وهي تضع القطرة في عينها كل ليلة بسبب السهر الطويل على طفلها المريض لو عرفت كل أم من الذي جعل أطفالها الصغار مرضى وليست لديهم أية مقاومة للأمراض . . وحساسية زائدة لكل المتاعب الصغيرة ؟ لو عرفت كل أم أن الطفل الضخم الجثة ليس هو الطفل السليم !

مشكلة الأمهات في العصر الحديث هي « لبن الأمهات » . فالأم الآن لكي تكون رشيقة فإنها يجب أن ينقص وزنها وأن تمتنع عن الكثير من الأطعمة فتضعف الأم وتكون جائعة معظم الوقت . ولذلك يكون لبنها ضعيفا . أو يكون لبنها ناقصا العناصر الحيوية التي يحتاجها الطفل .

ثم إن الأم لكي تبدو بارزة الصدر أو « ناهدا » فإنها لاترضع طفلها من صدرها . لأن الرضاعة تجعل الثديين مترهلين . وهي لاتريد ذلك فتلجأ الأم إلى اللبن الصناعي . وهذا اللبن يرفضه الطفل أول الأمر . ثم يعتاد على اللبن الصناعي ويرفض لبن الأم . ثم لايشرب إلا اللبن الصناعي المليء بالفيتامينات التي تجعله سليما صحيحا ضخما .

ولكن العلم الحديث يؤكد أن اللبن الصناعي ينقصه شيء ما . هذا « الشيء ما » هو الذى يعطى الأطفال مناعة ضد الأمراض ومناعة ضد الحساسية . ولم يهتد العلماء والأطباء حتى الآن إلى هذا « الشيء ما » الذى يوجد فى لبن الأم ولا يوجد فى الألبان الصناعية الأقوى والأغنى والأوفر من لبن الأم .

ولأن الأمهات عاملات فى العالم كله ، وليس عندهن وقت لإرضاع الأطفال . فانهن يتركن الأطفال للخادمات أو المربيات يقمن بالعناية بالطفل . فيقدمن له اللعب والنوم والغذاء .. إلا شيئا واحدا .. هو لبن الأم ..

ومن أغرب ما اهتمدى إليه طبيب الأطفال العالمى د . سبوك أن قصة موسى عليه السلام قصة نموذجية .. فأمه ألفت به فى النيل ، وضعت على زورق صغير وتركته . وراحت ترقبه من بعيد . وعثرت عليه ابنة فرعون مصر . ورفض الطفل الرضيع كل الأمهات اللاتي تطوعن لإرضاعه .. ثم قدمن لبن « لبن الحمار » كما كانت عادة الأمهات الفقيرات الضعيفات فى ذلك الوقت فرفضه . وظل يبكي ويصرخ طول الوقت . فتقدمت أم موسى تعرض أن تكون مرضعة لطفلها ، وأرضعته أمه .. ويقول د . سبوك إن لبن الأمهات الأخريات يختلف عن لبن أم الطفل .. وكما أن خلايا جسم أى إنسان تختلف من خلايا جسم أى إنسان آخر ، ففي لبن الأم شيء يختلف عن لبن الأمهات الأخريات .. إن قصة موسى وأمه نموذجية فى كل التاريخ ..

إن سبب عذاب الأمهات اليوم وغدا هو أنهن لا يعطين صدورهن لأطفالهن .. وبذلك يفقد الأطفال كل مقومات الصحة ، وشيئا أعظم من ذلك : الحنان !

لعبة الصبر على المكاره

السادات يكسب في « لعبة الصبر »

فعنده موهبة الانتظار الإيجابي - أى الترقب والاستعداد في صمت .. ولذلك فهو حاضر رغم أنه يبدو كما لو كان غائبا عن متابعة الأحداث في الشرق والغرب وفي العالم العربي وفي مصر .

ويكفى أن نسترجع موقف السادات يوم كان يتحدث إلى مواطنيه قبل أكتوبر ٧٣ .. ويؤكد لهم أن الحرب آتية لا ريب فيها . وأن اليد على الزناد ولم يبق أمامنا إلا ساعة الصفر .. وأن قرار الحرب شيء خطير .. ولذلك لابد أن « يحسبها » وأن يراجع الحساب مع آخرين من الخبراء ثم يعود يؤكد هذا المعنى .. ولا يمل تكرار هذه المعاني . ولكن لماذا ؟

لأنه يواجه سدا منيعا من عدم التصديق .. لأحد يصدق ما يقول .. فلا شيء يدل على أننا نستعد .. ولا شيء يطمئن الناس على أن هناك تغيرات جوهرية في « كلام الحكام » .. إنها أقصى تجربة مرت بالسادات ألا يصدق الناس في مصر . وفي غيرها من البلاد .

شيء فظيع أن ينظر إليك الناس وأنت تتكلم وكأنك لاتقول شيئا .. أن يفقد

الناس آذانهم وهم يتطلعون إليك .. لأن الكلام عملات رسمية تعرت من أى عطاء ذهبي .. ليس لها رصيد من العمل المؤكد .. ولكن السادات احتمل هذا لعذاب .. هذا الهوان على الناس ، وعند الناس .

إن الفيلسوف العظيم سقراط كان يطلب إلى الذين حوله : تكلموا حتى أراكم ..

أى يطلب إليهم أن يتكلموا لكي يعرف أى نوع من الناس هم .. لكي يعرف أوزانهم وأقدارهم . فالإنسان ترتسم صورته في عيون الناس عن طريق آذانهم أيضا .

وقال السادات لشعبه والشعوب العربية كلاما كثيرا وكأنه لم يقل شيئا والناس يرون ولا يسمعون .. منتهى العذاب !

والحمد لله أن أحدا لم يصدقه في مصر أو في غيرها .. وإلا لعرف العالم كله أنه كان يستعد للقتال . وأنه وخبرائه يدرسون ويحسبون ويضعون كل احتمالات النصر .. والهزيمة .. حتى تحقق النصر الذي وصفته جولدا مائير في كتابها : لقد استطاع السادات أن يلعب بالضممت والسرية والمفاجأة والبنزول .

وإذا كان السادات قد صبر على أبناء وطنه ، فمن المؤكد أنه يستطيع أن يصبر على شتائم الأشقاء العرب ... فوارده من الصبر عميقة ولاقرار لها .

وفي المؤتمرات الصحفية لم يضق بسؤال أحد من الصحفيين . وفي بعض الأحيان كانت الدماء تعلو في رءوسنا .. ولكن السادات كان أهدأ وأكثر تسامحا وحرصا على أن يكون واضح الخط والنبرة والهدف .. وكنا ننظر إليه فنجدده في تمام لياقته النفسية يمارس رياضته المفضلة : لعبة الصبر على المكاره !

كن حرًا .. تكن إنسانا حضاريًا !

المثل الشعبي يقول : كانت في جرة وخرجت برة - أى أن البنت كانت محبوسة ثم خرجت وفجرت . ونحن نستشهد بهذا المثل للدلالة على السخط . وللدلالة على أن الخروج جاء بعد القيود الشديدة .. وجاء نتيجة أننا وضعنا البنت في سجن من الفخار . وتحطم جدران السجن هو النتيجة الطبيعية للإسراف في القيود . وليس بعد القيود إلا الانفجار والفجور .

والمثل بمعناه ومناسبه دليل على عدم الرضا . كأن الذين قالوا هذا المثل من رأيهم أن تظل المرأة حبيسة حتى لاتصاب بشيء . وحتى لاتصيب أحدا بشيء . ولكن المرأة خرجت . وسوف تكون حرة في أن تدخل سجننا من فخار أو من زجاج أو من حرير . ونخرج من أى مكان في أى وقت .

والذى حطم للمرأة سجن الفخار هو الثورة الصناعية في أوروبا في القرن الماضى . فهذه الثورة أكدت احتياج الآلات إلى رجال ونساء . وجعلت العمل ضرورة للحياة الإنسانية . ولما جاءت الحروب وهى قمة السباق في تطوير صناعات الدمار . قام الرجال بخاربون وتركوا المصانع والمدارس والمكاتب والحقول . فكان لابد أن تذهب المرأة تملأ الفراغ . ولما انتهت الحرب وجد الرجال أن المرأة هى

التي أنقذت النباتات والحيوانات . وأن المرأة أثبتت قدرتها على أن تعمل وأن تقف
وأن تسد المكان الذي خلا باختفاء الرجل . وأخذت حقها في أن تتعادل وتتساوى
مع الرجل ..

وجاء الطب الحديث يعطى للمرأة المزيد من الحرية في أن تكون أما عندما
تريد . . . ففي استطاعتها أن تنظم الولادة . . . وأن تتخلص من الجنين . . . فبدلاً من
أن تظل المرأة طول عمرها تحمل وتلد وترضع وتلد حتى الموت . فمن حقها الآن أن
تكون إنساناً حراً من أوجاع الحمل والولادة . . . فالمرأة لم تولد لكي تلد . . . وإنما
ولدت لكي تعيش وتختار أن تلد أو لا تلد . . . فالطب الحديث أيضاً قد حررها من
الإطارات الحديدية . التي عاشت وماتت فيها ولبستها ملايين الأمهات قبلها . .
فمن حقها أن تكسر الجرة وتخرج بره . أو أنها ليست مضطرة لأن تكسر الجرة مادام
دخول الجرة والخروج منها بالاتفاق مع الرجل : أبيها وزوجها وأخيها .

وفي كل مرة تتحرر المرأة تجد رجلاً حراً . . . أو أننا نجد في تحرير المرأة دليلاً على
تحرر الرجل . . . فالرجل الذي يؤمن بالحرية لا يؤمن بها لنفسه فقط . . . أو حيث
توجد امرأة حرة يوجد رجل حر . . . أو من المرأة الحرة يولد رجل حر .

والأمم المتحدة قد أعلنت أن سنة ١٩٧٥ هي عام المرأة . ومن حق المرأة أن
تطلب العدل . وواجب على الرجل أن يقف إلى جوارها . . . وأن يعطيها ماأخذ وأن
يعطيها ما سوف تعطيه المرأة لأجيال قادمة : مزيداً من الحرية لمزيد من الملايين من
أجل حضارة أصح وأقدر على العطاء . فما أحوح الإنسانية إلى العقول الصحيحة
ولانصح العقول إلا إذا كانت حرة .

عندما يرفض الرجل أن يتساوى مع المرأة

في أى عام جديد سوف تطالب المرأة بمساواتها بالرجل . مزيد من المساواة في الحقوق مع استبعادها لأن تعمل أكثر . ولم يكن كثيرون يتصورون أن المرأة الفرنسية - مثلاً - في حاجة إلى مساواة بالرجل . وكنا نتصور أن الرجل هو الذى يجب أن يطالب بمساواته بالمرأة . وإذا كانت الثورة الفرنسية قد نادت بالحرية والعدالة والمساواة والإخاء منذ سنة ١٧٨٩ وقبل ذلك ، فإن الفرنسيين قد نسوا أن يعطوا المرأة الكثير مما تستحق - كنا قد نسينا ذلك . وعرفنا فيما بعد أن المرأة دخلت الحياة السياسية بعد الحرب العالمية الأولى .. وجلست إلى جوار الرجل تماماً بعد الحرب الثانية . أى بعد أن زرعت الأرض وهو يقاتل وأدارت المصانع عندما كان في الجبهة . فلما خمدت الحرب وعاد الرجال إلى العمل وجدوا المرأة قد أبقت كل شئ على ما هو عليه من الحركة المنظمة والإنتاج فكان لا بد لها من نصيب وحق في إدارة البلاد .. وكان لها ذلك . وماتزال هناك مشاكل كثيرة لاتعرف المرأة كيف تحلها . فلا يزال القانون من صنع الرجل . ولا يزال الرجل هو رئيس الدولة وواضع الدستور وحاميه ومؤلف الكتاب والأب والزوج . فالجتمع كله من صنع الرجل . والرجل قد وضع المرأة في

إطارات من صنعه . بل إن صورة المرأة ومعانيها وأحلامها وخيالها كلها من صنع الرجل . فكأن الرجل هو الذى صنع المرأة على صورته . وطلب إليها أن ترى نفسها كما يراها هو . وكأن المرأة قد عادت إلى ما كانت عليه من ألوف السنين : إنها خرجت من صدر آدم . وأنها خرجت من صدره وهو نائم ، كأنه لو كان يقظان ماسمح لها بالخروج . والمرأة خرجت ولن تعود . وتريد اليوم أن يكون خروجها من صدر آدم ومن دماغه ومن عينه وهو يقظان تماما . وأن تكون مساواتها له فى وضوح النهار !

وعندما اختار الرئيس الفرنسى ديستان وزيرة لشتون المرأة ، صحفية معروفة هى فرنسواز جيرو . أعلنت الوزيرة أنها تريد أن تحرر المرأة من قيود الرجل . وأنها سوف تبدأ بنفسها . فهى لاتفضل أن تكون سيدة مجلس الوزراء تعد لهم الشاى والقهوة وتضع الورود .

وإنما ككل الوزراء . وكانت ككل الوزراء . وجاءت وزيرة أخرى للصحة وقدمت مشروع حق الإجهاض استكمالاً لحرية المرأة فى أن يكون أو لا يكون لها طفل ، وأن يكون ذلك عن زواج أو بغير زواج . ووافق البرلمان على ذلك ! فالمرأة فى فرنسا ليست لها مشكلة . . وإنما الرجل هو الذى له مشكلة . ومشكلة الرجل أنه لا يريد المساواة مع المرأة !

وأنا لأفهم لماذا يريد الرجل ألا يتساوى معها . لماذا لايدعها تعمل كما يعمل وتدرخ كما يدوخ وتطلع عينها فى الحصول على القرش لتعرف قيمته . أما إذا كانت تفعل ذلك . وهى حامل أو هى أم ترضع أطفالها . فهذا شأنها أيضا . إنها أنثى ، وهذه نتائج أنوثتها . إن شاءت كانت لعشرين طفلا وإن شاءت كانت بلا أطفال . ثم إنى لأرى سببا وجيبا فى الخوف على المرأة من مشقة العمل . فالمرأة أكثر احتمالا

للألم . وهي أقل إصابة بكل الأمراض المميتة . . فلا تموت بالسكتة ولا بالجلطة
ولا بالذبح ، ولا تموت في الحروب ولا في المناجم ، ثم إن المرأة أطول عمرا من
الرجل . . وإذا انتهى العالم كله فلن يبقى فيه إلا النساء يرثن الأرض وما عليها . . إنه
شئ عجيب أن يتردد الرجال لحظة واحدة في إعطاء المرأة كل هموم الدنيا !

من أجل البقاء !

دماء ودموع وصرخات وأعراض أريقت قبل أن يقف فلسطيني واحد في الأمم المتحدة . ويكون وقوفه تحقيقا لرغبة الأغلبية الساحقة في الأمم المتحدة وفي العالم . وهو اعتراف بالشعب الفلسطيني وحقه في الحياة الكريمة وفي إزالة الظلم الواقع على شعبه وعلى أرضه ..

ولم يكن الطريق من الشرق إلى الأمم المتحدة قصيرا ولا سهلا . . فعمر هذا الطريق نصف قرن قطعه الفلسطينيون شبرا شبرا ورصاصة رصاصة . . ولم يكن أبناء فلسطين وحدهم وإنما كانت معهم ووراءهم قوى عربية أخرى كثيرة . ساعدت بالكلمة وبالدم والمال .

لقد تغيرت الدنيا وسوف تتغير . . فلم يعد الفلسطيني قاطع طريق . ولا إرهابيا ولا سفاحا . ولا معتديا غاشما . . إنه يريد أن يسترد أرضا سرقوها . ويريد أن يخرج شعبا حبسوه وأذلوه . . إن الشعب الفلسطيني لم يعد ضعيفا فليس القوى هو الذي يتمدد على صدر أمريكا وحدها . إن الشعب الفلسطيني يقف على قاعدة صلبة هي العدالة وضمير الإنسان . . وهو يقف على أكتاف القوى العربية والقوى الاشتراكية

والشعوب الأخرى التى تحررت بقوة السلاح وقوة التضامن والإيمان بعدالة الأرض والسماء ..

ولم يكن فى مقدور الشعب الفلسطينى أن يحقق شيئا لو انكفأ على جراحه يبكيها وينديها .. إن اليهود أنفسهم لم يفعلوا ذلك .. إنهم ظلوا مطرودين من كل بلد ألوف السنين .. ولكنهم لم يياسوا .. إنهم استعانوا بالمال والحيلة واستغلوا ضعف الإنسان .. إنهم اشتروا الذم واشتروا المنابر وتعاونوا ضد الناس فى كل مكان .. وفى الظلام تسللوا ، وبالمال احتالوا . والعلم اتخذوه ذريعة إلى السياسة . إن حايم وايزمان مؤسس الدولة اليهودية الذى ولد من مائة عام يروى فى مذكراته المعروفة باسم « المحاولة والخطأ » أن روزفلت استدعاه إلى أمريكا أثناء الحرب العالمية الثانية . وكان يريد منه أن يعاونه فى تطوير صناعة الكاوتش الصناعى . يقول وايزمان : ولكنى أريد أن أحدثه عن قضية الصهيونية ووطن اليهود .. ونصحه أصدقاؤه من اليهود أن يقوم بأعماله العلمية على خير وجه . وهذا هو وحده الذى يجعل له كلمة مسموعة .. العلم وحده يجعله إنسانا محترما ، ويجعل قضيته عادلة .. ثم يعاونه على حلها !

وعشرات من المعادلات الكيماوية قد ساعد بها الإنجليز والأمريكان ، وكان هذا العلم الغزير إحدى وسائله المحترمة من أجل إقامة وطن لليهود - فهو العلم والاستمرار والصبر والتضحية !

والشعب الفلسطينى والشعوب العربية قد استخدمت كل مالهيا وسوف تفعل ذلك دائما ، من أجل أن تقف دولة فلسطين فى الأمم المتحدة وفى كل منبر عالمى ، منيعة كريمة ورمزا باقيا لشعب رفض أن يتسول حقه فى الحياة ، وأن يكون مواطنا من الدرجة الثالثة ، وأن يقوم بدور الهنود الحمر فى الشرق الأوسط ، وتقوم

إسرائيل بدور أمريكا - ولن يكون ذلك مادامت هناك إرادة حياة . ونبض
كرامة . . وشعوب من كل لون ودين ماتت وعاشت وسوف تموت من أجل القيم
الإنسانية الرفيعة !

الدين والسياسة ..

أصغر دولة في العالم وأقواها وأكثرها استقرارا وأكثرها مالا وأقلها جيوشا وأخطرها : هي دولة الفاتيكان . فهي تكسب في الطالع والنازل . وتتسول الملايين من كل الدنيا ومعفاة من الجمارك والضرائب ولا جيوش لها . . . ولها ألوف الملايين من الجنبيات الذهبية في كل بنوك العالم . . . وهذه الدولة لا حدود لها ، ولكنها تدخل كل الحدود بلا قيود . وأنت لا تعرف . ولا أحد . ما الذي يحمله رجالها ونساؤها داخلين خارجين في كل الدنيا . في زمن الحرب والسلام .

ودولة الفاتيكان ليست دولة دينية مشغولة في الدرجة الأولى بالكتاب المقدس ، وطبعاته الجديدة ، وتفسيراته القديمة البالية ، والحديث الجريئة . ولكنها دولة حياة وسياسة . أى تدخل في حياة مئات الملايين ، وتنشغل بكل الصيغ السياسية في كل العالم . ثم إنها تودع أموالها في كل البنوك في العالم . . . ولذلك فهي على صلة بكل أصحاب الملايين من اليهود . والمال لا دين له ولا وطن . والمليونير اليهودي ابن عم المليونير الكاثوليكي . المال دين ودولة وأم ولغة وقضاء وقدر مشترك . والفاتيكان يستفيد من البنوك في كل مكان وهذا طبيعي .

ولذلك من المستحيل أن يتورط الفاتيكان في قضية سياسية . إن هذه الدولة

شديدة الدهاء والخبث . . إنها عاشت مئات السنين تفكر وتدبر وتحايل وتتآمر في
براءة وطهارة . ولم تسلم من التهم من اليمين واليسار . . فبعد الحرب العالمية الثانية
اتهمت بأنها كانت مع هتلر ضد اليهود . . أو مع هتلر ضد الأمريكان والروس .
وتساقطت الكتب والمسرحيات فوق رأس بيوس الحادى عشر . . ولكن جاء يوحنا
الثالث والعشرون ومد يديه لأصحاب الملايين اليهود . . وجاء الكاردينال سبلان
الأمريكى . عميد وعميل البنوك اليهودية يطالب برفع الغضب عن اليهود في
الصلوات . . وإلا ! أى وإلا ضاعت عليهم الملايين في البنوك اليهودية الأمريكية .
وصدرت وثيقة الكاردينال بيا ، اليهودى الأصل . يطلب العفو عن اليهود ويطلب
تبرئتهم من دم المسيح في الصلوات والدعوات . . وصدرت ألوف الكتب تبين
عبقرية البابا الطيب القلب . ورفعت اللعنات عن اليهود في الصلوات . . ولا تزال
الفلوس تروح ونحى . . ولا يزال اليهود يطمعون فيها هو أكثر . وأصدر الكاثوليك
الفرنسيون بياناً آخر يكملون به رسالة يوحنا الثالث والعشرين ومن قبله المرحوم
الكاردينال بيا . .

وجاءت بعد ذلك محاكمة « وارن » في أمريكا التى استغرقت ألف صفحة عن
قضية اغتيال الكاثوليكي كيندى . وقاتله يهودى ، وقاتل قاتله يهودى أيضاً .
وبرأت الاثنين وانتهت إلى أن الرئيس الكاثوليكي كيندى انتحر أو يبدو أنه فعل
ذلك ويقال إن القاضى وارن قد قبض في ذلك ملايين الدولارات . فمن دفعها ؟
طبعاً معروف من يدفع في واشنطن ومن يدفع في روما ومن يدفع في باريس .
فالدين سياسة . والسياسة مصالح . والمصالح فلوس رأسمالية أو شيوعية
والأيدي الممتدة واحدة سواء خرجت من تحت مسوح الرهبان . . أو جواناتيات
المخابرات . إنها مسألة حسابية عقلية . . لا عواطف فيها . . ولكننا نحن العرب

غارقون في انفعالاتنا واندفاعاتنا ، ولا نحسبها بالعقل - ولكننا نفكر على شكل
تشنجات معوية أو عاطفية . ونحن في حاجة إلى من يدقنا على الرأس لنفكر كثير
ببرودة وحساب !

مأساة الدكتور ران

هذا الرجل السويسرى كان اسمه د . ران . وهو أستاذ اللغة الألمانية لعدد كبير من خريجي قسم الفلسفة بآداب القاهرة ولا يمكن إلا أن يكون سويسرياً . فهو طراز عجيب من الناس . كل شيء عنده بحساب . الكلام . السلام . الخطوة لها هدف . الكلام على قدر المعنى . الإجابة على مقاس السؤال . ولكنه كان يبذل مجهوداً كبيراً جداً لكى يكون مضبوطاً ولذلك كان مشدوداً . وكان عنيفاً فى حركته . . أو لكى أكون مثله أقول : كان مضبوطاً على توقيت سويسرا . . وكان من الممكن أن يضبط حركاته على عقرب الثوانى فى أية ساعة !

ولابد أن يكون الهدف عنده فى هذه الحياة شيئاً غير الذى نعرفه . مثلاً : كأى يكون من أهدافه أنه يمشى مليون خطوة . فلم أجده واقفاً قط ولا جالساً ولا ماشياً مثل خلق الله . . إنه متحرك بسرعة جداً . فهو فى حالة بين المشى السريع والجرى .

ولو كان الرجل حياً أيام الرسول عليه السلام لنزلت فيه الآية الكريمة التى تقول (إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) ولو كان حياً أيام أبى العلاء المعرى لقال عنه :

مشيئتها خطي كتبت علينا ومن كتبت عليه خطي مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

ولا بد أن يكون من أحلام د. ران أن يمشي على خط عرض الكرة
الأرضية . . . وهى مساحة طويلة ولذلك كانت خطوته الواسعة السريعة .

ويوم علمت من السفير السويسرى أنه مات سألته : وكيف كان كذلك - قلتها
وكأننى أستبعد أن يموت د. ران . أو يموت أى إنسان سويسرى فالسويسريون
لا يموتون مثلنا . وإنما هم كالساعات تتوقف وكل أجهزتها سليمة . .

ولو سألتنى أحد عن السن التى سوف يتوقف عندها دكتور ران لقلت فى
المائة . . أوفى التسعين . . ولكن الرجل - وهذا شئ غريب - قد مات فى
السابعة والستين . . ويقال إنه كالساعة التى انكسرت عقاربها . . كانت تدق ولكن
أحدا لا يعرف كم الساعة . . فقد سكت د. ران عن الكلام ستين !

شئ غريب يتتاب الإنسان وهو يتحدث عن الموت . إنه لا يستطيع أن يكون
حادا معه . لأن الموت قاهر ولأن السخرية من الموت محاولة للوقوف أمامه والمقاومة
كأن ذلك شئ ممكن . ومحاولة الحديث عن د. ران لا تخلو من خيبة أمل . كأننى
كنت أحلم بأن يتغلب إنسان على الموت . ولو لحظة . ولذلك فقد نسيت أن أحزن
عليه ، وإنما غمرنى شعور باليأس والفشل . كأن د. ران حصان كنت أراه
عليه . دفعت فيه كل تعبى وفلوسى . . فسقط ولم ينجح الحصان . . كأنما أراد
الموت أن يسخر منى ليؤكد للناس جميعا أنه هو الذى يختار ما يعجبه . . ويضع
النهاية لكل إنسان مهما كانت مشيئته وخطوته فى مصر أو فى سويسرا . . إذن لقد
توقف الرجل ، وغداً يتلاشى - كأي إنسان وأى حيوان آخر . آمنت بالله صانع
الموت قاهر كل حي !

ومع هذا .. فنحن نحتمل الحياة !

قليلون جدا الذين يرفعون رؤوسهم عن الورق وينظرون إلى السماء وإلى النجوم والشمس ، والقمر .. أو قبل أن يرفعوا رؤوسهم إلى شيء أعلى منهم . يشمون الهواء . أو يميزون بين الهواء الذى مر على أشجارها رائحة . أو على أرض خراب ولا يحمل غير الهباب والذباب - وأقول قليلون جدا فأمامك الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون ، وفى استطاعتك أن تقول لى من الذى يفتح عينه على أى شيء فى هذه الدنيا . إننا جميعا علينا عفريت . وكل عفريت له اسم . وهذا العفريت يلمسنا فإذا بنا نقفز من الفراش إلى الشارع .. أو نعود من الشارع إلى البيت . ونجلس فى حالة تشبه النوم أمام التليفزيون ..

وتمضى الأيام والسنون ولا نعرف كيف بدأت ولا كيف تنتهى . فالأيام تتوالى .. والعمر يذهب . والهموم تتزايد وطعم الحياة يصبح مرا . وأكثر الناس فهما للدنيا يقول : هذه هى الحياة .. وليس أمامك اختيار . إما أن تعيش على مزاجك أو تعيش على مزاجها . فأنت سوف تعيش والسلام . وإذا حاولت أن تفهم حكمة هذه الدنيا فسوف تكون الدنيا أطفه مما يتصور الآخرون ، وإذا حاولت أن تعيش والسلام فالحياة لحظات عابرة . وبعدها يصبح كل شيء مثل أى شيء : الغنى

كالفقير . والجاهل كالمتعلم والحاكم كالمحكوم . والظالم كالمظلوم . . . الجميع تراب
وانتهى كل شيء . ولا أهمية ولا معنى لأحد أو لشيء !

ولكن هناك بعض الناس الذين فيهم هذه الطفولة المثيية البريئة . أو هذه
الحوية المتدفقة الساذجة هؤلاء الناس يجدون للدنيا طعما . ويجدون في العلاقات
الإنسانية منفعة ولذة . ويرون أن الدنيا لا تطاق إذا واجهتها وحده . وتكون أرق
وأجمل إذا احتملتها مع الآخرين سواء كان الآخرون أصدقاء أو أعداء . . فلا فرق
كبيرا بين الصديق والعدو . فالصديق كان عدوا أو سيكون . والعدو كان صديقا
أو سيكون . . هؤلاء الطيبون يجدون لكل شيء لونا جديدا . وطعما مبتكرا ولذة
وليدة . وعمقا هائلا . وسما شائعا . ويجنون الحياة ويجنون الأحياء .

وكما أن الطفولة سنوات أو ساعات . . فهي فترات قصيرة . ولكن هذه الفترات
القصيرة هي التي خلدها الشعروالفرن . وهي التي جعلناها مرادفا للجمال والجلال .
ويمكنك بعد ذلك أن تقول : حتى هذا كله لا معنى له . أو لا فائدة منه .
وكل الذين قالوا أجمل الكلام كيف عاشوا وكيف ماتوا . وكل الذين لم يقولوا ولم
يشعروا كانت حياتهم أجمل وأعمارهم أطول ، وأيامهم بلا عذاب ، ولياليهم
بلا دموع !

وعندما قرأت ما كتبه الأديب الكبير زكي مبارك عن أديب آخر قديم قال :
كان رقيق الحس في اختيار أطايب الحياة . قال ذلك تعليقا على هذه العبارة
« نشرت الأرض ملاءها ، وسحبت رداءها ، وليست جلبابها ، وتقلدت
سحابها ، وبرز الورد من أكمامه ، واهتر الروض لتفريد حمامه ، والأشجار نشرت
شعورها ، وهزت رعوسها ، والدنيا أبدت شمسها وأماطت عبوسها » .
بذمتك كم مرة في حياتك كلها لاحظت أن شيئا من ذلك قد ظهر على سطح
الأرض أوفى السماء - ولا مرة ! !

الهروب بشجاعة

الحياة نوع من الشجاعة . والهروب منها شجاعة أيضا . أنا أقول معنى هذا : فأنت في كل يوم تخرج من البيت إلى العمل . كما فعلت ذلك ألوف المرات . والطريق إلى العمل ليس قصيرا كهذه العبارة ولا هو سهل مثل قراءتها . ولكنه صعب . وفي كثير من الأحيان تلعن الدنيا ومن فيها . والأيام التي جعلتك تمشي إلى العمل ، لتعمل بينما يذهب أناس راكبين دون أن يعملوا - أعرف هذا المعنى . وتذهب إلى عملك وتعمل . ولا يعمل غيرك . ولا عقوبة لأحد . ولا لوم عليه . ويتساوى الناس في النهاية : من عنده ضمير ومن ليس عنده ضمير . وإن كان الذين لا ضمير لهم يختلفون عنك قليلا . . فهم إلى جانب أنهم لا يعملون لا يشعرون بالضيق الذى تشعر به . وفي نفس الوقت يجدون من يقول عنهم : صحيح لا يعمل ولكن دمه خفيف . ثم إنه لن يأخذ أحد من هذه الدنيا شيئا . فهون عليك ولا تعذب نفسك !

ولكنك لا تهون عليك . وتستمر في تعذيب نفسك . ولا أعرف ما الذى يدفعك إلى ذلك . . ولا ما الذى تنتظره أن يحدث لك أو يحدث للناس فتتغير الدنيا إلى أحسن . . والأحسن هو الذى يكون فى صالح الذين يعملون والذين

يخاسبهم ضميرهم طول الوقت . .

وتعود في اليوم التالي إلى عملك دون أن يتغير شيء في الدنيا . . وإن كنت تسمع أن فلانا يتأفق فلانا . . وأن فلانا يرتشى وفلانا يسرق . وتتوقع أن تنطبق السماء على الأرض . . ولكن شيئاً من ذلك لا يحدث . فالسماء فوق والأرض تحت قدميك . . ويريحك طبعاً أن تقول إن الله سوف يتقمم من الظالم ومن اللص ومن الغشاش ومن المؤذى . . وكثيراً ما فعل الله ذلك . ولكن عينك لا ترتفع عن اللصوص والكذابين والمناققين الذين حولك . . ولا شيء يصيبهم . وتبقى أنت وحدك تتوقع المعجزة . . ثم لا تجيء المعجزة .

ورغم ذلك تعود إلى البيت فتأكل وتشرب وتنام وتصحو لتأكل وتشرب وتنزل وتطلع وتجلس وتعمل والناس من حولك يتنقلون إلى ما هو أحسن منك . . ولا تزال أنت تعمل وحدك . . ألا ترى أن حالتك هذه تدل على منتهى الشجاعة منك أن تعيش دون يأس . . ولو ترى أنك دليل على أن هناك من لديهم المبادئ والقيم وأنهم حراسها ، رغم أنهم لا يتقاضون ملياً على حراسة هذه الآثار القديمة ! إننى أرى أنك إنسان شجاع . . إذا كان هذا هو رأيك في الناس - وهو بالفعل رأيك - ثم لا تفكر في التخلص من حياتك . ولو فعلت فإننى أجذك شجاعاً مرة أخرى . ولكن ما فائدة تقديرى الرفيع لك ! لا فائدة !

قالوا :

- أقل الناس يقرءون ليفكروا أكثرهم أنهم يقرءون ليقولوا إنهم فعلوا ذلك !
- نصف حياتنا أفسده آباؤنا ، ونصفها الآخر أفسده أبنائنا !
- المعابد تجعل الناس أقرب ، والجنائز أيضاً !

أداء واجب

وهل يتضابق أحد من الأصول ؟ . عبارة مشهورة نقولها . ونتوقع الجواب عادة : لأحد !

ومعنى ذلك أننا يجب أن نحترم الأصول . وأن نحترم الرجل الأصولى . وليس الرجل الوصولى .

ولكن هناك أنواعا من الأصول تضابق لأنها بلانتيجة . أو ليست لها فائدة مؤكدة . أو فائدة على الإطلاق .

مثلا : عندما تركب الطائرة وتعبر بها البحر أو المحيط . نجىء المضيفة وتعرض للناس كيف ينفخون طوق النجاة . وكيف يتعلقون به فوق سطح الماء إلى أن نجىء الطائرات أو البواخر لإنقاذهم . وتقول لنا . إن طوق النجاة تحت المقعد ! وقد ركبت الطائرة عشرات المرات ورأيت المضيفات ينفخن أطواق النجاة . ولم يحدث أن مددت يدي تحت المقعد . ولارأيت أحدا يفعل ذلك .

وعلى الرغم من أن صوت المضيفة لا يكون واضحا عادة . وعلى الرغم من أن المضيفة نفسها تفقد هذه الأمور بصورة آلية ، فإن أحدا لم يستوضحها شيئا مما تقول . وسبب ذلك أنه لا يريد أن يتخيل أن شيئا من ذلك سوف يحدث . كما أن

نضيفه لا تريد أن تعطى هذا الانطباع . . وإنما تستمد من هذه الحركات الآلية شعورنا بأنها مجرد « سد خانة » أو أن الأصول تحتم ذلك ، حتى لو لم يكن هناك أى احتمال لسقوط الطائرة . .

ولكن شركات الطيران ترى أن هذا هو الواجب حتى لو أدى إلى نجاة راكب واحد !

وبعض السفن تفعل ذلك . وقد ركبت البحر عدة مرات . . ولكن سفينة فرنسية اسمها « الماريشال جوفر » فقط هى التى عرضت على الركاب كيف تكون النجاة إذا غرقت السفينة . وكان من بين ركاب السفينة عدد من الراهبات . وكان منظر الراهبات رهيبا . فلم تكن راهبات ، وإنما كن « مرهبات » مرعبات . فقد انتبهن هذه الفرصة ورحن يصلين ويقرآن فى الكتاب المقدس كأن السفينة قد غرقت بالفعل أو أن لديهن معلومات بأنها سوف تغرق . ولا بد أن انشغال الراهبات بالقراءة المكثفة مع التوسلات والدموع أكبر دليل على أنهن يصلين من أجل كل المسافرين . ولم يحدث شئ من حسن الحظ !

ولكن لا أستطيع أن أصف لك هذا الشعور بالخوف والصمت الرهيب كلما اهتزت السفينة يمينا أو شمالا .

والإنسان لا يسأل نفسه عادة قبل أن يركب الطائرة أو الباخرة : هل لو حدث شئ يستطيع أى إنسان أن يطير فى الهواء فلا يسقط فى الماء ؟ هل لو سقط فى الماء يستطيع أن يعوم إلى أن تعثر عليه إحدى السفن القريبة ، ولا أحد يفكر فى السمك والحيتان !

ولكن الطائرات إذا مرت فوق الصحارى أو الجبال فإنها لا تنطق بشئ . . مع أن الموقف أصعب جدا إذا سقطت الطائرة فوق الصحارى أو فوق الغابات أو

الجبال الجليدية . . فلا أحد في الطائرة يعلمنا كيف تكون النجاة من الوحوش .
ولا كيف ننزل على الجليد . .
ولكن شركات الطائرات تقوم باتباع الأصول ، رغم أن هذه الأصول لا تنفع
ولا تنفع عند الضرورة المؤلمة ولكنها الأصول .

اعترافات .. ولكن

- قل لي ماآخرة كل هذا ؟
- الموت .
- إذا كان الموت هو النهاية فلماذا هذا الزحام على الحياة .. إن الذى يجرى كالذى لايجرى سوف يموت .
- مضبوط .. ولكن إذا قلت إن فلانا سوف يقطعون رقبتة .. فلماذا يتصرف كأنه مقطوع الرقبة ! إذا كان كل إنسان سيموت فلماذا يتمدد على فراشه و ينتظر الموت .. لماذا لايموت وهو يجرى وهو يطير .. لماذا يضيق وقته فى الانتظار .. إننا نعيش فى « الانتراكت » .. فى الاستراحة بين الفصل الأول وهو الميلاد والفصل الثانى وهو الاستعداد للموت .. أهم من ذلك أننا نعمل ليلا ونهارا لننسى هذه الحقيقة : وهى أننا ولدنا لكي نموت .
- لأستريح إلى هذا الكلام .. ولكنى أتساءل : ماهى آخرة الجزى ؟
- ألا يكون جرى بعد ذلك
- ماآخرة الجوع ؟
- الشبع !

- ما آخرة الشبع ؟

- أن يشبع منك الدود !

- وما آخرة شبع الدود !

- مثل آخرة شبع الإنسان : أن يموت أيضا : هل تعلم أن الدود يخرج من الإنسان . . أى أن الإنسان إذا مات ولد فيه الدود الذى يأكله ثم يموت هو أيضا . . إنها الحياة تعيش على الحياة . . الإنسان يأكل الحيوان الذى يأكل الأعشاب الذى يأكل الأرض . ثم يموت الإنسان الذى يأكله الدود ثم يصعب الإنسان والدود ترابا يعيش عليه النبات الذى هو طعام الحيوان الذى هو غذاء للإنسان . إنها دورة الحياة . . وحكمة الله أن تكون ترابا لغيرك . . أو نباتا لغيرك . . أو حيوانا لغيرك . . وأن تكون كرتنا الأرضية هذه ، مثل نقطة على حرف فى حكمة عرضها وطولها السماوات . . أو هذا الكون لانعرف منه إلا نقطة على حرف فى كتاب لأول له ولا آخر .

- يعنى إيه ؟

- يعنى أنت ولا حاجة : حياتك أو موتك . . نملة داستها قدم . . أو ظلطة داسها وابور زلط . . أو كرة أرضية ارتطم بها نجم فأصبح الاثنان رمادا فى الكون !

- ولكن الذى نقوله هذا لا شىء ؟ هل هذا التفكير لا قيمة له ؟ هل هذا التساؤل تافه إلى هذه الدرجة ! - بل هذا هو الكلام الذى يجعل الإنسان يستحق الاحترام .

- احترام من ؟

- احترام الإنسان نفسه . . لأنه ليس حيوانا . . لأنه ليس راضيا عن سجنه . . أو عن فنائه . . أو تفاهته . . هذا السخط . . هذا الغضب هو الذى

يرفع الإنسان عن مستواه .. فالفكر هو الأبقى من الإنسان .. فالإنسان المحدود يفكر في اللامحدود .. الإنسان الفاني يفكر فيما هو أبقي .. فهو يجسمه محدود ، وهو يفكره غير محدود .. فالإنسان يذهب والإنسانية تبقى .. وكل إنسان له شهادة ميلاد وترخيص بالدفن .. إلا الإنسانية تولد ولا تموت ..

- كل ما يولد يموت ..

- صحيح .. ولكن الإنسانية لا تولد وهي لذلك لا تموت .. ككل فكرة .. ولكننا نستخدم الولادة والموت على سبيل المجاز فقط ..

- هل أهني نفسي على أنني الميت الباقي .. الميت جسمًا والباقي اسمًا .. هل تمد يدك أهنتك أنت أيضًا على حياتنا بعد موتنا ؟

- تستطيع أن تفعل ذلك ؟

- أنت مغالط !

- وأنت يائس ؟

- صحيح .. أننا نحاول أن نجعل لوجودنا معنى ..

- ولكنه بلا معنى ..

- إذن نحن متفقان ..

- نعم ..

- فلماذا لم تعترف من البداية ؟

- لو اعترفت ما كان بيننا هذا الحوار .. هذا الكلام .. ألم أقل لك أننا نعيش

في الانترأكت .. في فترة « الاستراحة » بين يأسك وغروري !

مع الله .. فوق عرفات ..

ساعة من يوم من سنة من العمر كله . وبالعمر كله ، يقف كل المسلمين في عرفات .. عراة .. مجردين من كل صلة أخرى .. من أنهم آباء أو أبناء أو أزواج .. أغنياء أو فقراء .. بيض أو سود .. مرضى أو أصحاء .. جاءوا في طائفة أو على الأقدام .. كلهم في مكان واحد .. كلهم قلوب .. أو كلهم قلب واحد .. لا شيء يشغلهم غير هذه اللحظة .. إنهم هنا في عرفات .. إنهم وحدهم مع الله وحده .. لا مسافة بين السماء والأرض .. بين العبد والرب ولا حاجة لأن يفتح الإنسان فيه ويقول . لأنه لمن يقول ؟ يقول لربه فلا حاجة به إلى أن يقول .. يكفيه أن يفكر .. يكفيه أن يدبر الأفكار في رأسه .. لكي يصل إلى ما يريد .

فما الذي يقوله الإنسان في هذه الساعة من عمره .. لا شيء غير أنه في حاجة إلى أن يعينه الله على دنياه .. على خطاياها .. على ما كان وما هو كائن وما سوف يكون .. أن يعينه الله على نفسه . ففي نفسه كل مصائب الدنيا .. ومن نفسه يبدأ كل الطرق إلى الجنة وإلى النار .. إلى الشقاء والنعيم .. من هنا يبدأ وعند هنا ينتهى كل شيء ..

لا أعرف دعاء يريح رأسي وقلبي سوى هذا الدعاء . . وأعرف أن هذا الدعاء كان يقوله الرسول عليه السلام يوم خرج من الطائف حزينا لأن أحدا لم يستمع إلى دعواه . . فعندما خرج من الطائف . . جلس الكفار صفين متواجهين . . وسار هو بينهما . . وكان كلما قدم رجلا انهاروا عليها بالحجارة فإذا قدم رجله الأخرى رموها بالحجارة حتى سال الدم منها في كل مرة . .

ما الذى يقوله إنسان ضعيف . قلبه كبير ولا حول ولا قوة له إلا بالله . . ثم إنه مثل أعلى في الصبر وفي الجهاد . . وأنه صاحب دعوة وأنه لا بد أن يبلغها مهما فعلوا به . لا شيء سوى الصبر على هذا العناء والعذاب . .
يومها قال : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي . وقلة حيلتي . وهواني على الناس . . يا أرحم الراحمين »

في هذه الساعة من هذا اليوم من العمر كله يشعر الإنسان أنه وحده مع الله وحده . . وأن الملايين حوله لا يدري بهم . ولا يدرون به فكل واحد قد اتجه بكل جسمه وعقله . وأصبح غائبا عن الناس . أو الناس كلهم غائبين عنه . فهو حاضر مع الله . أو هو والله حضور واحد . ولا حاجة به إلى أن يقول . . ولكن الإنسان حيوان ناطق . يجب أن يقول لنفسه ولغيره . . وأن يقول لله كأن الله لا يدري به - أستغفر الله - ولكن الإنسان قد اعتاد على أن يقول . وعلى أن يرفع صوته إذا كان المستمع بعيدا . . ولذلك يصرخ : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي . وقلة حيلتي وهواني على الناس . .

إنها أقسى درجات الهوان أن يهون الإنسان على الناس . وأن يهون على نفسه . . وأن يكون مع الناس كأنه لا شيء . . ينظرون إليه ولا يرونه . أو يرونه ولا ينظرون إليه .

في هذا اليوم يطلب المسلمون من الله أن يعطيهم وأن يساعدهم وأن يحدد
قدراتهم على الحياة وعلى كفاح الشر في نفوسهم . لينتصروا على عدوهم وعلى
أعدى أعدائهم : على أنفسهم !

روشته نجاح ..

مع شيء من الاهتمام القليل . نكسب الكثير جدا . وهي عبارة عادية . ولكن إذا قالها رجل كسب الملايين لأنه طبق هذه العبارة طول عمره ، تصبح هذه العبارة من أعظم الحكم التجارية في العالم .

صاحب هذه الحكمة البسيطة الصعبة مليونير ياباني اسمه يوجو تاريكا . . أما كيف ربح هذه الملايين فهي قصة طويلة . ولكن من أهم الأعمال التي اشتغل بها واشتهر : الطيران ، فالرجل له عشرات المكاتب في مدن كثيرة في اليابان وفي دول آسيوية مختلفة وله مكاتب سياحية أيضا .

وقد حاول الرجل أن يعرف بالضبط كيف يستقبل الموظفون زبائنه . فأرسل منشورا يسأل : كم عدد أعقاب السجائر التي يتركها الزوار كل يوم ؟ ولم يفهم الموظفون بالضبط ما معنى هذا السؤال . ولكنهم أرسلوا أرقاما متفاوتة ، وعاد الرجل يسأل كم عدد الزوار الذين يشعلون سجائرهم في مكاتبنا ولا يلقونها في طفايات المكتب ؟ وجاءت أرقام مختلفة . ولكنه استطاع أن يصل إلى المعنى الذي يريد وهو أن الزبون إذا كان مستريحا فإنه غالبا لا يدخن . وإذا كان قلقا فإنه يشعل سيجارة وإذا كان قلقا جدا فإنه يترك المكتب وفي الشارع يرمى ما تبقى من السيجارة

ولذلك قام بتوسيع المكاتب وتشغيل فتيات جميلات بدلا من الرجال . ومن الغريب أن نسبة السجائر قد نقصت إلى حد كبير . . ويقول إنه كسب بسبب هذه الملحوظة وغيرها ملايين الجنيهات !

ويقول المليونير الياباني : خذها منى قاعدة الإنسان حيوان كسول . وهذه فرصتنا لكي نجعله أكثر كسلا ونكسب من ورائه . . إذا كان لا ينهض جعلنا له المقعد مرتحا . . إذا كان لا يمد يده امتدت أيدينا إليه . . إذا كان يجد صعوبة في أن يخرج السيارة من جيب والولاعة من الجيب الآخر صنعنا له سيجارة تشتعل بمجرد أن يضعها في فمه . . وسوف نخترع له ذلك .

وفي العام الماضي أرسلت إحدى شركات الطيران إلى مكتبها في القاهرة تطلب من جميع الموظفين أن يسجلوا بالضبط عدد المكالمات التي يتلقونها وعدد المكالمات التي يتحدثون فيها الزبائن ثم عدد الزوار وبمتهى الدقة .

وأدرك الموظفون أن الشركة تريد أن تعرف سير العمل في القاهرة وفي العواصم الأخرى . وانتقلت هذه المعلومات إلى العقول الإلكترونية وعادت الشركة تطلب من مكتب القاهرة أن يراعى الدقة أكثر فلا يترك حركة لا يسجلها لأن المكتب الرئيسى يريد أن يعرف ماذا يجرى في جميع ساعات الليل والنهار في كل مكاتبه على الأرض ، تماما كما يعرف كل ما يجرى في طائراته في السماء !

وجاء خطاب من الشركة اهتز له مكتب القاهرة . يقول : نريد أن نعرف لماذا يتكلم الناس كثيرا في التليفون ولماذا يزوركم كل هذا العدد الكبير من الناس . ثم لا يشتركون إلا عددا قليلا من التذاكر . ما هو السبب الذى يجعل الناس يترددون على المكتب كثيرا جدا ثم لا يشتركون ما هو هذا الشيء الذى يطفش الزبائن ! والذى حدث هو أن موظفى المكتب قد بالغوا في الأرقام التى سجلوها محاولين

أن يؤكدوا للشركة أنهم يعملون كثيرا . ولكن الكذبة انكشفت وبعدها هبطت
الأرقام إلى عددها الحقيقي .
إنه الاهتمام والمتابعة التي تجعلهم يكسبون الملايين التي نخسرها !

أحلام × أحلام

لو أمسكت ورقة وقلمًا وأحصيت عدد آبار البترول وبراميل البترول التي فاضت على أرض مصر في العشرين عاما الماضية لوجدت أنها تعادل بترول السعودية وأبوظبي معا . فكل يوم تظهر بئر عميقة . لا بد أن تكون عميقة جدا . لأن هذا يدل على أننا وجدناها بصعوبة . وأنا وجدناها خلافا للقواعد المعروفة في البحث عن البترول . لأنه لا يستبعد أن يكون الأجانب قد تجاهلوا أو قدموا لنا خرائط كاذبة .. أو أننا فضحنا طبيعة الأرض التي لا يوجد بها بترول بينما كل البلاد المجاورة غرقانة في البترول ..

وقد نشرت الصحف المصرية صوراً مضحكة لعينات البترول النادرة . في إحدى المرات نشرت صورة لمسول وهو يحتضن زجاجتين كأنه يرضع توأمين كانت ولادتهما صعبة .. ولابد أن تكون هناك أكثر من زجاجة . لأن زجاجة من عينة واحدة معناها أن البترول شيء عادي . وأن العثور عليه كالعثور على حجر رشيد صدفة .. ولكن إذا ظهرت زجاجتان كان ذلك دليلا على العناء . وفي نفس الوقت على الثقة بالنفس وعلى الخير المضاعف لمصر كلها ..

أما بحيرات البترول التي نمشى عليها فلا حدود لها .. !!

ومن الغريب أن كل هذه الآبار قد تلاشت بقدره قادر .. أو أنها ذرفت دموعا من البترول ثم سككت أو أسككت !

وهي أنواع من الهلوسة القومية فنحن نريد أن يكون عندنا بترول . ولأننا نريد ، فإننا نحاول أن نجعل أحلامنا أقرب إلى الواقع . أو هي الواقع نفسه . ولأن هناك اعتقادا عاما بأن أرضنا خضراء تجري من تحتها الأنهار ، فإذا ظهر بترول فإننا نجعل ظهوره عسيرا عنيقا .. تماما كما يقال عن سيدة عاقر لا تلد ، فإذا حملت فهي تشيع عن نفسها أن الجنين كبير أكثر من اللازم ، وأن الولادة يجب أن تكون قصيرة .. يعنى أنها لا تتقنع بأنها ولدت ككل الناس . لا .. وإنما ولادتها مختلفة ، من نوع خاص .. وأنها غير خلق الله جميعا !

ونحن معذورون كما أن كل دول الخليج معذورة أيضا : فنحن نضرب الأرض نخرج منها الماء ونحلم بالبترول . وهم يضربون الأرض يتفجر منها البترول ويحلمون بالماء .

وكل الكتب السماوية عندما وصفت الجنة جعلت من أهم معالمها الأنهار والأشجار لأن هذه الكتب السماوية اتجهت أول الأمر إلى شعوب بدوية .. شعوب تفتقر إلى الماء والزرع والظل ..

والذى يرى الأشجار فى دول الخليج يحسدها .. فهذه الأشجار مستوردة والتراب الذى تقف عليه مستورد .. والماء الذى تشربه حلو مقطر لا يمشی فى الهواء الطلق . وإنما يمشی فى عروق من البلاستيك .. لأنه ليس كثيرا وإنما يخشى على الأرض أن تمتصه وتبخره الشمس .. ولذلك ضنوا به على الأرض والهواء وحبسوه فى شعيرات من البلاستيك .. فكم تتكلف هذه الأشجار ؟

وفى مصر عندنا مثل شعبي يقول : الغنى يبحث عن الكرش ، فلا يجد إلا « القرش » ، والفقر دايع على القرش فلا يجد إلا الكرش - أى أن الغنى يريد

أن يكون له أولاد فيزداد غنى ، والفقر يريد أن تكون له فلوس فيتضاعف
أطفاله .. ونحن نبحث عن القرش فلا يخرج إلا الماء والطعام ليزداد عددنا - إنها
هلوسات شعبية ويرقص ويطل ويتمر لها أناس أرهقهم الأمل فأصبحوا مجانين !
.. وأملى وأملنا هذه المرة ، أن يكون الحلم حقيقة !

الرغبة في الحياة

أهل البحرين مختلفون كثيرا عن أبناء الإمارات الأخرى. إنهم أرق والطف وأكثر توكلا على الله. وليس عندهم ما يجعلهم يقولون : نحن أحسن .. نحن أفضل .. لولانا ما كان كذا أو كذا. إنهم أناس طيبون بسطاء .. فقراء .. نعم فقراء فلا بحيرات البترول تروى جزيرتهم الخضراء. ولا أمل في أن تجرى أنهار الذهب على الأرض أو تحتها. وإنما هم يعيشون على بعض الغازات الطبيعية. وهي لا تكفي احتياجات الناس. أولن تكفيهم عشرات السنين القادمة.

ولكن عندهم شيء آخر لا يمكن شراؤه بالمال : رغبتهم في الحياة. ودعوتهم لغيرهم من الناس أن يعيشوا عندهم في حرية تامة. فهم لا يقدمون للناس إلا الحرية في أن تكون لهم الحياة التي يحبونها ! وهذا واضح من أول لحظة في شوارعهم. الناس يضحكون .. الفتيات قد ارتدين القصير والعريان. العربيات والأجنبيات. وفي استطاعتك أن تدخن وأنت تمشي في الشارع. وفي استطاعتك أن تجعل لياليك حمراء أو زرقاء. أنت حر. وهذا هو أقصى ما تقدمه لك البلاد.

وهؤلاء الناس الذين يحبون الحياة ، يتغنون بها أيضا. وعندهم من التراث

الفنى والغناء الشعبى ما يقطع قلبك حزنا . ولكن على ماذا ؟ أنت لاشأن لك
ببكاكهم على الماضى . فقد كان لهم ماضى . هذا الماضى هو صيد اللؤلؤ . فقد كان
الناس يغوصون تحت الماء فى الظلام والبرودة بحثا عن اللؤلؤ .. وكانت تجارتهم
الأولى . وكانوا يجدون ما يجعلهم أغنياء . والآن لم يعد اللؤلؤ هو الذى يجعل
الإنسان غنيا . هناك أشياء أخرى كثيرة . قد ذهب اللؤلؤ .. وانقرض رجاله .
واستولت اليابان بصناعة اللؤلؤ المتطورة على كل أسواق الدنيا .. ولم يبق لأهل
البحرين سوى الحزن على الماضى العميق . وأغانيتهم بكاء يذيب العين .. ولذلك
فأجمل أصوات أهل الخليج فى البحرين . إنهم يشبهون أبناء جنوب إيطاليا : أبناء
المرارة والوجدان المشبوب والفقر . وأجمل حناجر إيطاليا . قد ولدت فى نابلى ..
ولا تزال العبارة التى قالها الفيلسوف الفارابى صحيحة . قال إن آلة العود لها
صوت جميل لأن قلبها خال .. لا لأنها خالية ولكن لأنها خاوية من المال
والطعام . إنه الجوع .. إنه الحرمان .. إنه حرية أن يبكى الإنسان ويتباكى ويغنى
ويتغنى .. إن أمريكا أغنى دول العالم تبكى بأصوات الزوج . إنهم أكثر الناس
عذابا وهوانا .. إن حناجرهم بكاء أجش ، وتشنج دموى .. إن هؤلاء الزوج
استطاعوا أن يذيبوا فوارق اللون والطبقة بهذا الامتياز الغنائى العظيم !
وحناجر أبناء أرمينيا هى أروع ما فى الاتحاد السوفيتى .. إن فيها عمقا حزينا .
وحزنا عميقا وفيها إقبال على الحياة ..

إن الحزن قاعدة الجمال . إن السحاب الأسود قاعدة قوس قزح اللامع
الألوان ..

إن شيئا فى البحرين يجعلك تحب أن تجلس وتمتدد وتعطى أذنك وقلبك لأحد
يستترف ماضيه القديم وينسجه عليك من الأسى الذى يشجيك .. ويسعدك فى
النهاية !

عصر الجوعى ..

بعد دراسة أربع سنوات فى ٦٤ دولة اكتشفت الأمم المتحدة هذه الحقائق :
إن هذه الدول بها ألفا مليون نسمة من الجوع . من بينها ٨٠٠ مليون لا يعرفون القراءة والكتابة وأن ٥٠ مليوناً من أطفالها يموتون قبل أن يصلوا إلى الخامسة بسبب الجوع .. وأن متوسط نصيب الفرد من الأمراض أربعة أمراض على الأقل . وأهم من ذلك كله أن متوسط دخل الفرد الواحد فى اليوم يعادل اللبن الذى يدفعه موظف فى الأمم المتحدة إذا ذهب إلى الكافيتريا وشرب فنجان قهوة ولم يدفع بقشيشا .

أكثرهم يفعل ذلك !

وإن هؤلاء الفقراء يعيشون فى ثلاث قارات هى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . وهكذا وبعملية حساية بسيطة نجد أن معظمنا ينتسب إلى هذه الأسرة العظيمة الجائعة التى سوف تحرك التاريخ وتعديل مساره من أجل إنصاف الأغلبية المسحوقة بالجوع والمرض والجهل - آمين .

هناك جوع آخرون : المرضى وهؤلاء جوعى على الرغم منهم .. أى بقوة الطبيب أو بقوة الميكروبات . وهم ليسوا قليلاً فى العالم . فأكثر الناس مرضى

بشكل ما . ولا يوجد إنسان لا يشكو من مرض . والأرقام تدل على أن الأصحاء
في عدد السعداء . والسعداء نادرون . وأكثر هؤلاء السعداء من سكان الجبال .
والجبال قليلة وسكانها عشرات الألوف !

وهناك الجياع بحكم « الرحيم » أى من أجل اعتدال القوام . وطول العمر بعد
ذلك . هؤلاء الجياع يأكلون البسكوت لأن الخبز ضار ، ويأكلون اللحم لأن
الأرز ضار ويحرصون على الأرق ، لأن النوم ضار . وعلى الاضطرابات العصبية
لأن راحة البال تزيد الجسم شحاً ولحماً .. فهم - إذن - قد اختاروا الجوع
والعطش والأرق من أجل الرشاقة !

فإذا أضفنا الجوعى بالإكراه ، إلى الجوعى بالاختيار لوجدنا أن العالم يكاد
يموت من الجوع . أما الذين يأكلون فهم الذين يمرضون . لأن المعدة إذا امتلأت
فهذه مقدمة لأن تفرغ تماماً - أى مقدمة لكى يمرض الإنسان من الأكل وبعد
ذلك تخلو معدته لأن الطبيب قد أمر بذلك !

إذن من هو السليم المعافى في هذه الدنيا .. لا أريد أن أفرض عليك جواباً
ولا أن أدفع أمامى إحصائيات العلماء والخبراء والأمم المتحدة .. انظر حولك
وتساءل من هو مريض ؟ ومن هو سليم .. فإن لم تجد أحداً حولك فانظر إلى نفسك
في المرآة .. وإذا وجدت ما يسرك فاحمد الله على ذلك ، وإذا لم تجد فلا تحزن
فلست إلا واحداً من ألوف الملايين !

القاهرة والمشاة

لا أزال أتذكر لوحة للرسام الروسى الأبيض كاسيسينوف وكان من أصدقاء الملك فاروق . هذه اللوحة يصور فيها وجهتى نظر : المشاة فى القاهرة وأصحاب السيارات .. فى لوحة ترى المشاة ينظرون إلى السيارات على أنها صواريخ سريعة .. بينما قادة السيارات يرون المشاة يركبون السلاحف وفى غاية الكسل . ويبدو أن وجهة نظر أصحاب السيارات وركاب السيارات وسائقى السيارات هى الغالبة على تنظيم المرور فى القاهرة . فلا مكان للمشاة عادة . فنحن كل يوم نوسع الشوارع للسيارات . ونضيق الأرصفة على المشاة .. كأن من المفروض أن يركب الناس . أما الذين لا يجدون ما يركبون فلا مكان لهم . أو كأن الذى لا يركب يجب أن يبقى فى بيته ، ويقضى مشاويره كلها بالتليفون . أو لا يقضى أمرا من الأمور .

ولذلك نجد الأرصفة قد اختنقت بالناس تماما كالشوارع .. ووقفنا عند هذا الاختناق ، المزدوج . أو الاختناق العام ..

ومن قبل كبت عن الذى يحدث فى شارع أكسفورد فى لندن . وقد اخترت هذا الشارع لأنه حى الحسين فى لندن .. فكل السياح الأجانب من المصريين

يترددون على هذا الشارع ذهاباً وإياباً وصلكمة . ولا بد أن البضائع المعروضة في جميع المحلات اليهودية التي قررنا مقاطعتها قد شغلت المصريين عن النظر إلى الأرض .. عن النظر تحت أقدامهم . ولو فعلوا فما الذي يجدونه ؟ سيجدون أن الأرصفة تزحف على الشارع .. وبذلك يتسع المجال أمام أقدام المشاة وتضيق الأرض تحت عجلات السيارات وفي ذلك راحة للمشاة ، وفي ذلك تحديد لحركة السيارات في هذا الحى التجارى السياحى الهائل . ومعنى ذلك أن أصحاب السيارات يترددون كثيراً في اختراق هذا الشارع لأنه يعطلهم تماماً . ولكن هذا الشارع يصبح متعة للملايين السياح . وجحيماً لركاب السيارات وأصحابها - إن هذا التفكير يأخذ جانب المشاة في الدرجة الأولى !

وقد اقترحت من قبل أن نجرب شيئاً جديداً علينا . وإن لم يكن كذلك على معظم العواصم الأوروبية .. أن نجعل شوارع وسط المدينة للمشاة فقط . وأن نمنع السيارات تماماً . طول اليوم . أو ساعات من كل يوم . أو يوماً من كل أسبوع . وبذلك يتحول وسط المدينة إلى أماكن يمشى فيها الناس على حريتهم في البيع والشراء والتزمة بلا خوف ولا مزاحمة ولا إزعاج من السيارات .

وأعتقد أن الوقت قد حان لذلك ، فالقاهرة مدينة كبرى أو مجموعة مدن كبرى أو في عدد سكان عدد من الدول العربية الشقيقة . ولذلك يجب أن نخفف عن أنفسنا عذاب الزحام واختناق واحتقان المرور ..

أى يجب أن نأخذ وجهة نظر الأغلبية الساحقة من المشاة .. وأن نريح الجميع بأبعاد هذا الإرهاب الذى يمشى على عجلات بلا قواعد للحركة ولا مراعاة للأصول - اليوم وليس بعد غد !

الحيوان الحقيقى

إحدى حداثق الحيوانات فى أمريكا أحصت عدد الوفيات فى داخل الحديقة بسبب عبث الزائرين .. فلاحظت أن أحد صغار الكانجارو قد هرب من الكيس الذى تحمله أمه بسبب الطوب الذى يلقيه الزائرون . ومات من شدة البرد .. وأن بطة برية قد أصابها سهم فى بطنها . فماتت .. وأن غزالة أجهضت بسبب « البومب » الذى ألقاه الأطفال بالقرب منها .. كما أن عددًا من الزائرين قد ألقوا « أعقاب » السجائر على أحد الزواحف فكان يتقلب عندما تقترب النار من جلده .. وأن السيد قشطة قد ظل يسعل حتى الموت ، لأن أحد المتفرجين قد ألقى فى فمه كرة تنس ..

ليس هذا فى أمريكا وحدها . ولكن فى كثير من عواصم العالم . وفى القاهرة أيضا !

وحاول أحد مراكز الإحصاء أن يعرف أى نوع من الناس هؤلاء .. ليسوا من أبناء الريف . ولا من رعاة البقر . ولكن من أبناء المدن . ليسوا من الفقراء فقط ولا من أصحاب الملايين .. وإنما من جميع الفئات والطبقات . وهذا معناه أن حب الاستطلاع غريزة عند الجميع . وأن الشر مثل حب الاستطلاع عام . وأن

الإنسان صياد بطبعه . فعلى الرغم من أن هذه الحيوانات لم تعد في غابة ، وإنما في أقفاص ، وهى لم تعد في حاجة إلى من يصيدها مرة أخرى فإن الإنسان مصمم بعد أن حبسها على أن يقتلها ؟

وعلينا أن نتساءل حقيقة : من هو الحيوان ! هل هو الذى فى القفص أو هو الذى صنع القفص ووقف يتفرج عليه ..

إننى أتذكر نهاية مسرحية « القرد الكثيف الشعر » للكاتب الأمريكى أونيل ففيها نجد أن واحدا من أبطال المسرحية يدخل قفص القرد ، ويتساءل : من هو الحيوان ؟ والسؤال وجيه فعلا .. لأن هناك أكثر من حيوان : هو وبقية الحيوانات الأخرى !

فالحيوان ليس مؤذيا بطبعه ، وإنما إذا اضطر إلى ذلك دفاعا عن النفس ولكن الإنسان شرير دون حاجة إلى أن يستفيد من هذا الشر - إتنا بذلك أكثر حيوانية من الحيوان !

قالوا :

- المرأة كالكتاب الجيد : مفيد وممتع . ولكن كلامه كثير ! .
- المناقشة هى أطول مسافة بين وجهتى نظر !
- المواصلات أصبحت كالقهوة مثيرة ، ولكنها تبعث على الأرق !

القهوة والمرور

لا أقول في « يدك » حل أزمة المرور في القاهرة ، ولكن في « فك » ! .. إنها نظرية جديدة !

فقد لاحظ أحد علماء النفس في فرنسا أن اضطرابات المرور تشتد ساعتين من كل يوم في الصباح وفي آخر الليل .

أما في الصباح فسبب ذلك طبعا أن الناس جميعا وفي وقت واحد يذهبون إلى أعمالهم . زحام وسرعة . وهذا يحدث في كل الدنيا .. وفي آخر الليل يعود الناس إلى بيوتهم . فهم أيضا يتحركون في وقت واحد وبأعداد كبيرة . وليس في هذا كله أى معنى جديد . لا تفسير ولا تبرير ولا نظرية !

ولكن الجديد عند هذا العالم النفسى أن في هذه الساعات المبكرة من كل يوم يكون الناس قد شربوا الكثير من القهوة . وقد لاحظ أيضا أن المواطن الفرنسى يستهلك سنويا ما يعادل كيلو جرامين من البن .. وأن سكان المدن يستهلكون أكثر من ذلك .. وأن أصحاب السيارات أو سائقها هم أكثر الناس استهلاكاً للبن في فرنسا ، وفي العالم كله .. ومن المعروف أن الإنتاج العالمى للبن يعادل خمسة ملايين طن .. وأن فرنسا وحدها تستهلك ثلث مليون طن . وبعبارة أخرى : أن المواطن

الفرنسى يستهلك ما تنتجه عشر شجرات بن فى السنة ..

ولاحظ هذا الدكتور ايف شاربانتييه أن نسبة تعاطى البن بين الذين ارتكبو حوادث المرور عالية جدا - سواء الذين يقودون السيارات أو حتى المشاة الذين يضطربون فى مشيتهم أو يتعجلون إشارات المرور ..

ويروى د . شاربانتييه أنه استدعى فى إحدى الليالى لدراسة حالة شاب صدم سيدة عجوز . والغريب أن السيدة هى التى اعترفت بأنها على خطأ . ولكن الشاب يؤكد أنه هو الذى على خطأ واستنتج الطبيب أن هذا التسابق فى الاعتراف بالخطأ هو مثل التسابق من أجل الوقوف عند العلامات الحمراء . ويكون من نتيجة هذا السباق المجنون أن يضطدم الواحد بالآخر !

ولاحظ هذا العالم النفسى أيضا أن نسبة الحوادث من الذين يشربون القهوة بالسكر أكثر من الذين يشربونها « سادة » . ويفسر ذلك بأن القهوة بالسكر إلى جانب أنها تنبه شاربها فإن السكر يضاعف هذا التنبيه !

ويرى أيضا أن هناك سببا مؤكدا للتسابق على علامات المرور هو : الإسراف فى شرب القهوة . وأنتا لو أفلحنا فى ذلك فإن الكثير من الأعمال العصبية التى نأتينا كل يوم فى الصباح سوف تتناقص .. وفى مقدمتها أن نتعجل المرور أو العبور .. إن هذا العالم الفرنسى يرى أن حل مشاكل المرور فى الفنتجان الذى تشربه .. إنها أزمة حلها فى فلك !

حلول جزئية لمشكلة كبيرة

الذين يمشون فى شوارع القاهرة : يتزاحمون ويتضاربون ويتخططون ولا يعتذر أحدهم لأحد . إذا فعل ذلك . لأنه لا غلطة قد ارتكبها أحد . وإنما التصادم صفة من صفات المشى . وليس هناك أى علاج . والناس مرغمون على المشى . ومدفوعون إلى الارتطام معظم الوقت .

السبب : الناس كثيرون . وحركتهم بطيئة . وبعضهم لا يشعر بذلك فتجدهم يتوقفون فجأة . أو يمشون متشابكين اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة . وكأن الأرصفة خالية من الناس .. ثم إن الأرصفة ضيقة . والشوارع أيضا ضيقة ولكن كثرة السيارات جعلت السير فى الشارع صعبا وخطيرا .. كما أن الشوارع التى يتدفق عليها الناس محدودة ومعروفة . وهى لا تزيد عن أربعة شوارع فى قلب المدينة .. أو فى أحياء مختلفة . وحتى أكون دقيقا فإن كل شوارع القاهرة مزدحمة بدرجات مختلفة !

الحل : لا يوجد حل عاجل لزيادة عدد السكان . ووقف الهجرة من المدن الأخرى . أو من الصعيد على القاهرة .. ولكن توجد حلول طويلة الأجل مثل نقل الكثير من المؤسسات خارج القاهرة .. أو عمل عاصمة أخرى لمصر غير القاهرة ..

بمعنى أن القاهرة هي المدينة الكبرى . ولكن هناك عاصمة حكومية بعيدا عن القاهرة تتجمع فيها الوزارات والهيئات .. أو بناء الأنفاق تحت الأرض .. أو بناء السكك الحديدية على سطح الأرض .. وكل ذلك يحتاج إلى وقت طويل . ولكن لابد أن يحدث ذلك .. ولا معنى لأن يقال إن القاهرة شوارعها ضيقة من البداية . وأن واحدا لم يراع مستقبلها . إلا إذا كان الغرض من ذلك أن نتفادى ما حدث عندما نبدأ في بناء المدن الجديدة في الصحراء - ولابد أن يكون ذلك في الصحراء - وإن كان من الواضح في مدينة نصر وهي جديدة . أن الشوارع ضيقة !

ولكن هناك بعض الحلول السريعة . وهي حلول جزئية . مثلا : كما يحدث في لندن الآن . يجب توسيع الأرصفة وليس توسيع الشوارع على حساب الأرصفة . وهذا التوسيع يجعل الناس أقل تزاخا عند السير . وفي نفس الوقت يجعل حركة مرور السيارات أكثر اعتدالا أو أبطأ . المهم هو أن المشاة يجب أن يكونوا قادرين على المشي .. لأننا لو أخذنا شارعاً واحداً وقفنا بإحصاء المواطنين الذين يمشون لوجدناهم أضعاف الذين يركبون السيارات . فمن الأولى بالعناية والرعاية ؟ طبعاً هذا العدد الكبير من المواطنين .. وحل آخر أقترحه ، وسبق أن كتبت عنه أكثر من مرة : منع مرور السيارات نهائياً في وسط المدينة . في شوارع سليمان باشا وقصر النيل . والشوارع الأخرى المتفرعة منها . أو في شارع واحد في قلب المدينة . إن هذا سوف يخفف على الناس . أما السيارات ففي استطاعتها أن تدور أو تتوقف في مكان ما .. وعشرات من العواصم الكبرى فعلت ذلك ! .

من أجل أرض المعاد

من أهم أهداف الصهيونية إبادة النصارى والأتوان واللغات والطبقات بين الشعوب اليهودية المختلفة . فلا يوجد « شعب يهودى » . وإنما توجد شعوب تعتنق الديانة اليهودية ! ويوم أعلن كرايسكى مستشار النمسا أنه لا يوجد « شعب يهودى » هاجمه اليهود فى كل مكان . « فالشعب اليهودى » أكذوبة .. وإنما يقال « الطائفة » اليهودية .. لأنه لا يمكن أن يقال إن هناك شعبا مسيحيا أو شعبا إسلاميا - وإنما هناك عشرات الشعوب اعتنقت ديننا من الأديان . والصهيونية تريد أن تؤكد أن اليهود شعب واحد .. أو ينبغي أن يكونوا شعبا واحدا فى إسرائيل . ولذلك عملت على تلقين اليهود اللغة العبرية حتى يمكن التفاهم بين أبناء السبعين لغة والمائة جنسية . وقد نجحت فى تعليم الناس هذه اللغة الواحدة . ولكن ما تزال هناك فوارق اللون : الأبيض والأسمر والأصفر والأسود .. وما تزال الطبقة البيضاء هى الحاكمة . أو ما يزال اليهود الروس والبولنديون هم الذين يحكمون البيض والمولودين . ولا تزال هذه الفوارق اللونية عنيفة وحادة فى المعاملات وعند الترقية للمناصب .. وكذلك عند التجنيد .

وهناك الفوارق المذهبية السياسية والدينية .. عشرات المذاهب السياسية

والدينية والاجتماعية . والمحاكم في إسرائيل أحسن صورة لمعضلات الزواج والطلاق والتركات واختلاط الأديان . والصحف الإسرائيلية مليئة بالعجائب . ولا تكاد بعض الأوضاع تهدأ . وبعض قوانين الأحوال الشخصية تصد لصالح الزوج أو الزوجة حتى تقع زلازل المعارك على الحدود ولكن الزلزال الأكبر هو الذى وقع في ٦ أكتوبر والأيام التى جاءت بعد ذلك . والذى يتابع ما يجرى في المستعمرات الإسرائيلية يعرف بالقبض ما الذى أصاب الشباب اليهودى الذى ولد في إسرائيل .. إن الدعوة إلى الحياة في المستعمرات هي دعوة لتحقيق الشيوعية المطلقة النموذجية - حيث لا يملك أحد أى شيء . ولا حق له في ذلك . وحيث يتشابه الناس في كل شيء : ملابس الرجال وملابس النساء . وحيث يتوارد الأب والأم تماما . حتى لا يرتبط الطفل بالديه وإنما بالجماعة . بالمستعمرة - فلا فارق بين الأبيض والأسود وابن الغنى وابن الفقير - وإن كانت الحقيقة هي أن أولاد الفقراء والمولودين واللقطاء هم الذين يعيشون في المستعمرات . أما أولاد الذوات فبعض الوقت وعلى سبيل التفتيش .

ولكن هذه المستعمرات التى تشبه الشكنات العسكرية الزراعية هي التى تمد الجيش بجنوده الذين عرفوا الفزع واليأس في حرب أكتوبر . وأهم ما أصاب المستعمرات : أن الكثير من آباء وأمهات الأطفال والشبان طلبوا سحبهم . فهم لم يهربوا من أوروبا ليموتوا . ولم يهربوا من الحواري الضيقة ليدفنوا في الخنادق .. إن إسرائيل تدفع الملايين من أجل الإبقاء على هذه المستعمرات العسكرية واسترداد الثقة في أرض المعاد . أرض العسل واللبن والسلام رغم أنف الشعوب جميعا !!

ويعبد التاريخ نفسه

في سنة ١٢٢٣ قبل الميلاد خرج اليهود من مصر. أخرجهم رمسيس الثاني الذى له تمثال فى ميدان محطة القاهرة. وعندما خرج اليهود أخذوا معهم كل شىء.. ويقال إنهم سرقوا كل شىء: الذهب والفضة.. ويقال إن المصريين أعطوهم الذهب والفضة لعلهم يخرجون من مصر. وخرج معهم عدد من الآسيويين. وكان يتزعم اليهود النبي موسى عليه السلام وأخوه هارون وأختهما مريم..

ويقال إن الرب طلب من اليهود أن يذبحوا أغناما صغيرة وأن يلطخوا أبواب البيوت بالدم. حتى إذا مر ملك الموت على البيوت أدرك الفرق بين المصرى واليهودى. أما المصرى فلا بد أن يموت له كل طفل مولود.. أو كل مولود لإنسان أو حيوان..

وقال لهم الرب إن الموت سوف «يمتاز» بيوت اليهود.. أو يمر فوقها دون أن يصيب أحدا بسوء. واليهود يسمون هذا اليوم بيوم «الفصح» أو «البصح» أى النجاة من الموت.. أو النجاة من الأسر المصرى - عيد الحرية. والأقباط فى مصر يسمون هذه الأيام بأيام «البسخة» أو «البسخة» فهى كلمة عبرية الأصل.. وفى

اللغة العربية نجد أن « الفصح » من معانيها التحرر أو الحرية أيضا . ففي السعودية مثلا عندهم لجنة اسمها « لجنة الفصح » أى الإفراج عن الكتب التى لدى الرقابة .. أى تحرير الكتب من قيود الرقابة . ولا أحد يعرف بالضبط كيف ارتبط الفصح أو الفسخ بالفسخ فى هذا اليوم ؟ !

ربما كان هذا اليوم هو أيضا بداية أيام الربيع .. وربما كان ذلك تقليدا فرعونيا . بل إن اليهود أنفسهم قد حولوا عيد الخروج من مصر أو النجاة من مصر إلى عيد من أعياد الحصاد .. ثم بعد ذلك جعلوه عيدا دينيا له طقوس دقيقة وصلوات معروفة .. ثم عدلوا عن هذا العيد مئات السنين . ولكن الصهيونية أعادتهم مرة أخرى إلى الاحتفال لا بالخروج من مصر ولكن بدخول أرض المعاد التى قادهم إليها موسى ومات وهو يراها ، ودون أن يدخلها !

وقد حدث بعد الخروج من مصر - من نفس مكان الدفرسوار الحالى تماما - أن ثار اليهود على موسى .. بل كفروا به وبربه . وتساءلوا : هل صحيح أن موسى نبي ؟ هل صحيح أن له ربا ؟ وإذا كان هناك رب فكيف يرضى بموت اليهود وعطشهم وجوعهم .. ثم هل هو أقوى وأعظم من عجل الذهب ؟

ولم يكذب يرى موسى قومه يعبدون العجل الذهبى ، حتى حطم الوصايا العشر .. ويهود إسرائيل يفعلون نفس الشيء هذه الأيام . والسبب هو أنهم دخلوا مصر وخرجوا منها فأت منهم الألوف .. ولذلك يلعنون موسى ويكفرون به وبحكومته ..

من أجل .. مصر

لى أصدقاء كثيرون بين المقاتلين .

أى بين الذين يدافعون عنا فى أصعب الظروف ولكن بنفس راضية وروح عالية . واحد منهم جاء فى منذ أيام يقول : كنا ونحن صغار يقولون لنا إن الدفاع عن الوطن واجب . وأن الإنسان يجب أن يحب وطنه . ولكن لم أكن أعرف معنى ذلك . فحب الوطن مثل حب الله وحب الأم والأب .. ولم أكن أعرف معنى هذه الكلمات التى أقدمها . والتى استقرت فى نفسى ولم أناقشها . كما أننا لا تناقش أن $2 + 2 = 4$. إنها إحدى البديهيات الحسابية .. وهذه البديهيات الأخرى حقائق قومية أخلاقية . حتى أصبحت مقاتلا ! ..

أما ما الذى حدث بعد ذلك فأشياء لا يمكن إحصاؤها . فهو يجلس فى الخندق . وهو يصير على الأرض الحشنة . وعلى الشمس وعلى البرد . وعلى الانفجارات . وهو إذا مد يده إلى كوب من الماء ووجد يد زميل له قد سبقته إليه سحب يده .. أو انسحبت اليدان فى وقت واحد . إن كلا منهما يفضل الآخر على نفسه .. ثم إنه ينسى أنه لم يأكل ولم يشرب . وأنه لم ينام . وينسى أن له أباً وأماً وأختاً وأحفاداً وأولاداً . وليس أمامه إلا شيء واحد هو أن يموت فداء لهذه

الأرض التي يقف عليها . وليس له بعد ذلك إلا رحمة الله ورضوانه .
ويقول أيضا : إن أمي تقول لى ذلك . إن أمه تدعوه بالسلامة . وتدعوه
بالقدرة على أن يموت شريفا لتعود هى مرفوعة الرأس . فقد عاش ابنها رجلا
ومات بطلا ..

ويقول : إنه يندهش كيف أن هذه المعاني قد صدرت عن أمه .. ولكن
الموقف العام والحب العام والشرف العام والكرامة لكل الناس والعداوة الغامرة -
لإسرائيل ولكل غاصب هى التى تجعل المعاني الواحدة على كل لسان .. كأن الناس
جميعا تستمع إلى إذاعة واحدة من السماء !

قال لى صديق مقاتل أصيب فى ساقه : الآن فقط شعرت بالاعتزاز . لقد
ضحيت من أجل بلدى . لقد كنت أحس دائما أنني لم أفعل شيئا . وأن عناية الله
ترعانى . ولكن كم تمنيت أن أكون واحدا من هؤلاء الأبطال الذين تقدموا قدموا
أرواحهم من أجل أن نعيش من بعدهم .. حتى انكسرت ساقى ! هنا فقط
أحسست أن شيئا قد أضيف إلى جسمى إلى روحى إلى كرامتى .. إننى لم أفقد
قدمين .. إننى علوت عن الأرض عشرات الأقدام !

إن مصر لن تهون ولن تهان . ما دام فيها هؤلاء الشجعان الذين يرون أنه أسهل
لنا أن نفنى ولكن لا نهون ! ..

خسائر .. وجرحى أقوياء

أطباء الجيش الإسرائيلي نشروا تقريرا خطيرا عن جرحى حرب عيد الغفران . وقد جاء هذا التقرير في « صحيفة اتحاد الأطباء » وهذا التقرير هو خلاصة الأبحاث الميدانية عن جرحى حرب أكتوبر . ومن الملاحظات الهامة في هذا التقرير أن كل إصابات الجنود لم تكن بسبب الرصاص أو القذائف المباشرة . وإنما بسبب الشظايا . فحرب أكتوبر هذه هي أول حرب في التاريخ استخدمت فيها أسلحة عالية التطور - هذا نص التقرير . ولذلك اقترح الأطباء أن يضع الجنود أقنعة من البلاستيك الشفاف .. ورأوا ضرورة أن يضع الجنود جميعا نظارات من البلاستيك . ومن الملاحظ أن ٣٠ ٪ من الجيش الإسرائيلي يضع نظارات من البلاستيك لهذا السبب ..

ويقول التقرير إن أكبر نسبة من الجروح كانت بين قوات المدرعات وبسبب القذائف المضادة للدبابات . ومن المعروف أن هذه القذائف تتحول إلى ملايين الشظايا ..

ولاحظ أطباء إسرائيل أن نسبة الإصابة في العين عالية جدا . ونسبة فقدان البصر عالية أيضا . والسبب هو الشظايا أيضا . وأكثر الذين أصيبوا في عيونهم كانوا

عند قناة السويس وفي الجولان ..

ولاحظ الأطباء أيضا أن ١٣ ٪ جرحوا في رؤوسهم وأعناقهم .

٤,٥ ٪ أصيبوا في الصدور .

٧ ٪ أصيبوا في البطن .

٤٠ ٪ أصيبوا في الأطراف ، في الساقين والذراعين .

١٠ ٪ أصيبوا بجروح متنوعة .

٩ ٪ أصيبوا باضطرابات نفسية

٦ ٪ إصابات مختلفة .

١٠ ٪ جروح سطحية ..

أما الذين أصيبوا باضطرابات عصبية فنسبتهم عالية جدا .

وأهم ما أوصى به التقرير هو أنه من الضروري أن تكون المستشفيات الميدانية في خطوط متقدمة . لأنه ثبت من حرب أكتوبر أن كل الجرحى الذين كتبت لهم الحياة قد أسعفوا في هذه المستشفيات الميدانية . ولذلك - أوصى التقرير - بأن يكون أحسن الأطباء وأقدرهم هم الذين في مستشفيات الميدان - على عكس ما هو متبع .

وقد أمكن إسعاف الجرحى في الجولان في مستشفيات مدنية ، لأنه من السهل نقل الجنود من الجولان إلى إسرائيل .

ولاحظ أطباء الجيش الإسرائيلي أن الجرحى المصريين أقل تعرضا للإصابة من اليهود .. ثم إن جروحهم تلتئم بسرعة . وقد أجرى الأطباء تجاربهم وسجلوا ملاحظاتهم بدقة وراجعوها . وتناقشوا فيها . واهتدى أطباء الجيش الإسرائيلي إلى أن الجندي المصري ، عنده مناعة ضد كثير من الأمراض (؟ !) وأبدى أطباء إسرائيل ملحوظة أغرب من ذلك على الجريح المصري .. فهم يقولون إن الجرحى

الأسرى المصريين لم يغالبوا الموت إلا لأنهم أقوى من غيرهم . فهذا هو قانون الانتخاب الطبيعي - أى البقاء لأقوى الجرحى وأقدرهم على مقاومة المرض ؟ !
وسوف تظهر أبحاث أخرى فى إسرائيل عن حرب أكتوبر . قبل أن نفكر نحن فى « تقويم » ودراسة كل ما حدث !

كنانة الله في أرضه !!

القرآن الكريم يقول لليهود عندما ثاروا على موسى عليه السلام : (اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم) أى ما طلبوا من الطعام والأمان من نبيهم موسى . ولكنهم ثاروا وتمردوا وطمعوا وعضّوا اليد التى أطعمتهم فاستحقوا الضياع ..

ومنذ دخل اليهود مصر وأخرجوا منها . وهم سيكون على تلك الأيام الرضية الرخية الآمنة التى عاشوها فى مصر . وفى التوراة سفر كامل اسمه سفر الخروج - أى الخروج من مصر والحلم المخنون بالعودة إليها ..

وكانت ولا تزال وسوف تبقى مصر حلما وأملا ومأوى للطامعين فى خيرها وفى صداقتها . ولذلك فستبقى مصر ، ويجب أن تظل - قوية توقف الذين يريدون غزوها والاستيلاء على خيراتها . وهذا هو قدر مصر العظيم الأليم . ولكنها فى نفس الوقت ستبقى مقبرة للغزاة ..

ومنذ ١٩٧٥ سنة هاجرت إليها العائلة المقدسة . وكان المسيح طفلا .. ولجأ مع والدته مريم إلى مصر خوفا من الرومان .. وجاء إلى مصر يعقوب وأولاده . وجاء يوسف وتولى خزان مصر . ومات يوسف فى مصر وعندما خرج موسى واليهود حملوا رفات يوسف إلى سيناء ..

ومصر أوت وحمت ألوف الهارين من الظلم ، والحافظين على معتقداتهم ..
وقد توقف في مصر ، ولم يعد مئات الألوف من المسافرين والحجاج الذاهبين
والعائدين . وما من أحد قال : خذوني بينكم ، إلا وجد ألف واحد يقول له :
وجدت أهلا ونزلت سهلا .. ويا دار ما دخلك شر .. وعلى الرحب والسعة ..
البح ..

والذين يتوهمون أن الدول العربية من غير مصر من الممكن أن تكون شيئا
خطيرا . هؤلاء ينسون شيئا خطيرا جدا : مصر ..
ونحن في مصر نعرف أن مصر من غير الأمم العربية تفقد شيئا خطيرا أيضا ،
ولذلك يجب أن نحرص على هذه العلاقة المصرية . علاقة الأخوة والضرورة ..
وحاجة الزرع إلى الجذور ، وحاجة الجذور إلى الفروع ذات الأوراق والزهور
والثمار .. وليست الأوراق إلا أكفأ تتلقى الشمس والهواء وتوزعها بالعدل على بقية
الشجرة .. ونحت الشجر ينال أناس في أمان . وعلى غصونها وأوراقها يعيش أناس
في أمان .. إن هذا الأمان هو الذي يستدرج الناس إليها ، ويعرهم بالبقاء عليها ..
والإبقاء عليها أيضا .

وليس هذا تعصبا لمصر ، ولا حتى للعرب . ولكن التاريخ يؤكد لنا ذلك كل
يوم .. وهو يدعونا إلى فهم هذه الحقيقة . وإلى توضيحها لأنفسنا وغيرنا .. وفي
ذلك كل مشاكل مصر أمس واليوم وغدا .. ولكننا سعداء بأن تعود إلينا كل أرض
مصر ، لتكون أوسع صدرا بنا وبقينا من العرب .. وتعود مصر « بيت العائلة »
العربية السعيدة .

قالوا :

- المرأة قادرة على فهم ما هو لغز ، عاجزة عن فهم ما هو واضح !
- إذا أراد الله أن يعاقبنا استجاب لدعائنا !
- وأنا صغير اعتقدت أن المال هو كل شيء ، ولما كبرت تأكدت من ذلك !

الرؤية الصحيحة تؤدي إلى الفهم الصحيح

منذ ٢٥ قرنا قال الفيلسوف العظيم أرسطو : إن الدهشة هى بداية العلم ..
أى أن الإنسان يندهش مما يراه فيسأل عن معناه . وبالسؤال والتفكير ومحاولة
البحث عن الإجابة . هذا هو العلم كله ..

ولكن دهشتنا من كل ما يجرى وما لا يجرى فى مصر لا تنتهى . فتحن دائما فى
حالة دهشة من حالنا . وكل ما نقرأ وما نكتب هو شىء عجيب . فتحن ننظر إلى
أنفسنا على أننا كائنات غريبة متخلفة أو شاذة . وإذا رحنا نقارن بيننا وبين الشعوب
الأخرى فالنتيجة معروفة : صفر لنا وعشرة لأى شعب آخر . لماذا ؟ لنفس السبب
وهو أننا طراز آخر من البشر . فهل صحيح أننا كذلك ؟ وهل صحيح أن كل
الشعوب الأخرى قادرة على كل شىء ، ونحن عاجزون عن كل شىء ؟ .

فن أين جاءت إلينا هذه الأفكار السامة المميتة ؟
لابد أنها جاءت من التسليم بهذه القضية : إننا من طينة أخرى غير الطينية التى
صنعت منها بقية الكائنات .

ومن قضية أخرى : أنه لا أمل فى أى شىء !
ومن قضية ثالثة : أن العصر الذهبى لمصر وراءها وليس أمامها !

ومن نكتة رابعة : أن سعد زغلول عندما مات قال : لا فائدة . وأن هذه العبارة قضاء على مصر . وقدر على شعبها !

ومن أننا أولاد نكتة وأن كل شيء عندنا يتحول إلى نكتة . وأننا معجبون بقدرتنا على الضحك في أشد الأزمات . وبسعدنا كثيرا أن العالم كله يعرف ذلك . وأن النكتة بهذا الشكل هي سلاح نستعمله للعلو على الأزمة . والارتفاع بالمأساة إلى حد السخرية منها . وأن كل مصيبة انفجرت بنكتة . وأن كل كارثة غيرناها بقفزة . وأنه لولا النكتة والقول المدمس والتوكل على الله . وعلى الناس الطيبين الصالحين في بلادنا وبين أوليائنا . لراحت مصر تحت أقدام الأمم . ولكن مصر « كنانة » الله .. وأن المصريين لا يستحقون هذه النعمة التي هم فيها .. النيل الذي يفيض بالخير . والجو المعتدل . والبحر في الشمال والبحر في الشرق والشلالات في الجنوب والصحراء في الغرب ومليون طفل كل سنة وتاريخها العريق وأنها أم الشعوب العربية وصاحبة الفضل الأدبي والفكري والديني عليها جميعا !

وكل هذا يؤكد أن « تركيبة » الفكر المصرى خاطئة . وأنها قائمة على مجموعة من القضايا ليست صحيحة . بل من الواجب أن نناقشها وأن نرفض الفاسد منها . فالمشكلة في مصر هي مشكلة عقلية أولا .. هي مشكلة العين التي ترى والأذن التي نسمع بها .. ثم مشكلة هذا العقل الذي اعتاد أن يطعن الكذب . والمعدة التي اعتادت أن تهضم الغرور القومي والمغالطات التاريخية .

فليس صحيحا أولا أننا طراز آخر من الشعوب . وليس صحيحا أن هناك شيئا اسمه « الإنسان المصرى » .. فالإنسان هو الإنسان . واحد في كل بلد .. ولا يوجد إنسان وإنسان مصرى ..

والبدائيات التي انطلقت منها الشعوب كلها نحو تحرير نفسها من الخداع والكذب والكسل والغرور هي هي . فهناك شعوب أكثر تعاسة منا . أكثر فقرا

منا . أقسى محنا منا .. ومع ذلك تقدمتنا وبلا معجزات وبلا كرامات من أولياء
الأمور أو أولياء الله .. وإنما بالرؤية الصحيحة والصبر والاستمرار والإيمان بأن
العصر الذهبي أمامها .. وأنها تقترب منه بالعمل والعمل والعمل القائم على حسن
الفهم وصلابة التصميم !

قالوا :

- أروني رجلا واحد لا يحسد امرأة تحبه !
- الزواج : مثال أعجبك في الفترة فعدت به إلى البيت فوجدته لا يتناسب
مع أى شيء آخر
- لم أسمع عن فتاة وقعت في غرام شاب فقير .

موسيقى العصر .. والعذاب اليومى

من ضمن أسباب الدفاع عن « موسيقى » الزار - إن كانت موسيقى - أنها تؤدى إلى نوع من « التفرغ » العصبى أو « التفرغ » النفسى أيضا . فهناك رغبات مكبوتة .. أو هناك صرخات مكتومة .. ويمنعنا الحياء أن نطلقها . حتى نجد لها مناسبة عامة . والمناسبة العامة هى عندما تدق الطبول ويولول الناس . وتمزق الآلات الوترية - هنا وفى هذا الزحام ينطلق الإنسان صارخا : آه .. يا الله .. ونفس الشيء يحدث مع موسيقى الجاز والرقصات « السيكودليك » - أى التى توسع مجالات الثورة والغضب والانفراج .. ولذلك كان نشيد كثر قدرة على مسامرة ومراقبة هذه الموسيقى العنيفة .. إنهم أقدر على احتياها ثم إنها تنطلق بلسانهم الصارخ الصاحب الغاضب ..

ولكن أحد العلماء الألمان اهتدى إلى أن هذا ليس صحيحا . ولديه الأدلة الكثيرة على ذلك . فقد لاحظ أن عددا كبيرا من الشبان ترهقهم الموسيقى الصاخبة .. وأنها تصيبهم بالتوتر العصبى الشديد والأرق والإمساك .. بل إن إفراز الأدرنالين - أى إفراز الغدة فوق الكلية كثير جدا . وهذا من شأنه أن يرهقهم وأن يثيرهم وأن يهدم بدلا من أن يريحهم ويرخى أعصابهم وينفض عنهم متاعب

الأيام .. فكأن هذه الموسيقى إنما هي تقوم « بتلحين » السخط وتوزيع الغضب توزيعاً أوركسترالياً .. مع أنهم يتصورون ويتوقعون عكس ذلك .

واهتدى الطبيب الألماني إلى أن عدداً من الشبان يصاب بالصمم بالصمم الجزئى . وتمزيق طبلة الأذن .. والسبب هو هذه الموسيقى . وقد ابتدع العالم الألماني تعبيراً جديداً . فقال : إن هذه الموسيقى هي « نوع من الاغتصاب الصوتى » للأذن .. وقد ظهر كتاب بعنوان « الموسيقى الهادئة » وكتب مقدمة هذا الكتاب المايسترو الألماني الشهير فون كاريان . يقول كاريان : ليس تعصبا للموسيقى الكلاسيكية أن أدعو إليها . ولكن علينا أن ننظر إلى ما الذى قدمته هذه الموسيقى العظيمة للحضارة الإنسانية .. وما قدمته موسيقى الجاز . إنها لم تقدم إلا مزيداً من البيرة والسجائر والتهتك العصبى والمجانين !

من المؤكد أنه متعصب للموسيقى الكلاسيكية . ولكن أجمل وأمتع أن يستريح الإنسان إذا أراد . على محذات من ريش النعام تحت شعاعات القمر إذا اختار وحدة من ملايين المقطوعات التى لها اسم واحد هو : التانجو !

التأمل .. علاج !

ملايين من الناس قد آمن بهذه النظرية البسيطة لعلهم يستريحون من عذابهم اليومي . فكل واحد منهم يجلس على مقعد مريح ويغمض عينيه لمدة ربع ساعة قبل الإفطار ومثلها قبل العشاء .. وفي أى وقت من أوقات النهار - انتهت النظرية !

أما الذى يفعله كل واحد من هؤلاء الناس فهو أن ينزل الواحد منهم عن العالم الذى حوله . ويتأمل ما فى داخله .

وليس من الضرورى أن يكون الذى فى داخله شىء هام .. وإنما المهم جدا أن ينصرف تماما عن كل شىء حوله .. كأنه لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم وهذه الفترة القصيرة .. لماذا ؟

قبل أن نجد جوابا انظر إلى حياتك فى أى يوم وأى وقت .. فأنت تجيب وتستجيب لكل شىء حولك .. كل صوت وكل حركة .. أى أنك مثل أى عامل تليفون مطلوب منه أن يسمع ألوف الأصوات وأن يرد عليها وأن يعلق على هذا المنظر وعلى هذا الصوت وهذه الرائحة وأن يأكل وأن يشرب وأن يقول لا ونعم وربما وأنا مالى . أى أنك فى حالة انفعال وتوتر واحتراق عصبي مستمر .. وكل

أمراض وأوجاع الحياة الحديثة نجىء من هذا الينبوع الذى لا يجف إلا بالجنون والوفاة .

فما العلاج !

العلاج عند رجل هندى جاء إلى أمريكا سنة ١٩٥٩ واسمه مهاريش مهاشا يوجى وهو الذى قدم للعالم طريقة بسيطة للخلاص من التوتر والإرهاق والإحراق العصبى .

الطريقة اسمها « ت : م » أى التأمل المتعالى .. أو التأمل المتسامى . فأنت تتأمل أى معنى أو أية صورة وتبعد بها عاليا عن حدود الإحساس العادى . وفى القاهرة رجل أمريكى اسمه د . دافيد هو بر يدعو إلى التأمل المتعالى . وهذا التأمل لا هو دين ولا فلسفة ولا مذهب سياسى . وإنما هو أسلوب للراحة من حياتك اليومية .

الملايين جربت ذلك واستراحت فلا يبقى إلا أنت وأنا .. فلنجرب أن نستريح معا من بعضنا البعض !

حاولت ذلك . دقيقة واحدة . وصحوت على كوب وقع من يدى الساعى فقد ظننى ميتا - آه لقد نسيت أن أقفل الباب بالمفتاح سأحاول غدا !

ضرب الودع

لا أعرف كيف بدأت هذه « اللعبة » ولكن أذكر أنني عندما كنت في جزر هاواي ، إحدى الولايات الأمريكية ، رأيت عددا كبيرا من أصحاب الملايين الأمريكان ، وكلهم تجاوزوا الستين والسبعين ، ولا أدرى من الذى أدخل في رؤوسنا أن الأمريكان بلهاء ! على أى أساس أقيمت هذه الفكرة ؟ من أى كتاب ؟ من أى حادث تاريخي ؟ من أى فيلم ؟ لا أعرف بالضبط .. ولكن لا بد أنه يرضى غرور العالم كله أن يكون هؤلاء الأمريكان الأغنياء بلهاء . أى أن الله أعطاهم الفلوس وحرّمهم العقل وأعطى الشعوب الأخرى كلها العقل وحرّمهم الفلوس . وبذلك يستريح الفقراء إلى فقرهم ويرضون بما قسمه الله لهم !

وبهذه الفكرة البلهاء في رأسي جلست إلى عدد من الأمريكان وقلت إنني مصري فرعونى وأننى أفهم في ضرب الودع وتفسير الأحلام . والحقيقة أنني لا أفهم شيئا من ذلك . ولكنها التسلية والمرح والجو الجميل في جزر هاواي . وبسرعة امتدت يدي إلى الودع على شاطئ وكيكي في مدينة هونولولو وقلت لإحدى السيدات : وشوشى الودع يا نانت !

وامتدت يد السيدة التى ليس فيها خاتم واحد ذهبى ولا غويشة من الماس

وترتدى جلبابا ريفيا حقيرا ومفروض أنها من أصحاب الملايين وأنها سوف تفك
الضائقة المالية التي أعانيها أنا والصديق أحمد يوسف كبير مصورى أخبار اليوم ..
وشوش الودع وقالت : حدثنى عن حظى ؟ ووضعت الودع على أذنى وقلت :
إنها مشكلة جواز السفر يا نانت !

ورفعت بالصوت . ووقف زوجها يعانقها ويقبلها . ويمضيان فى كلام طويل ..
والناس من حولهما يستوضحون هذا الذى حدث . ولم أعرف بالضبط ما هذا الذى
حدث .. وفهمت منها أن جواز سفرها قد ضاع فى طوكيو قبل مجيئها إلى الجزيرة
وأنها تضايقت لذلك . وأنها سافرت بتصريح مؤقت . وأنها قد تشاءمت كثيرا . فلم
يتحدث أن ضاع منها شئ فى الخمسين عاما الماضية .. ومن الغريب أن جواز السفر
قد ضاع يوم عيد ميلادها !

وصافحنى الجميع ودعوفى للشاى فى المزرعة عندما نصل إلى أمريكا ..
وعندما وصلت إلى أمريكا وجدت أن المزرعة تحتاج إلى طائرة لمدة ساعتين
ذهابا وإيابا من أجل فنجان شاى ؟ !

وبسرعة قفز من بين الأمريكان شاب صغير فى غاية الرشاقة والرجولة . وقال :
أنا أعرف الودع . فقلت متحمدا : إليك الودع . وطلب منى أن أوشوش الودع ..
ووضعت على فى .. وهنا جاءت سيدة أخرى جلست وراءه إنها أمه .. سعيدة به
وتبارك هذا اللعب والشقاوة . وأمسك هو الودع ووضع على أذنه وقال لى :
ملكة .. جلالة الملكة هذا ما تفكر فيه فى هذه اللحظة !

وانتفضت واقفا أقول : مضبوط !

وكننت قد تلقيت برقية من أخبار اليوم فى نوفمبر ١٩٥٩ تطلب منى مقابلة الملكة
السابقة نازلى .. والذى جعلنى أتذكر الملكة نازلى تلك اللحظة أن أمه شبيهة جدا

بها .. قوامها وبشرتها المشدودة وعيناها اللامعتان وشفاتها المزمومتان في إصرار
ومرارة وجلالة سابقة ..

وضحك الشاب ومن ورائه أمه .. وضحكت أنا أيضا . وهززت كتفي لأقول
لنفسى : مش فاهم ! .

وعلى الشاطئ جاءت ضاربة الودع .. وأخذت منها الودع ووضعت على فمى ..
ووضعت على أذنها لتقول : عندك حفلة عيد ميلاد قل إن شاء الله !
وقلت لنفسى أيضا : لا أفهم ..
فقد كان يومها عيد ميلادى !

كن لبقاً .. تكسب أصدقاء أكثر !

الممثل حسين فهمي لا يعرف عبارة قديمة تقول : إن كلمة الحق لم تترك لي صديقاً !

فقد سألت السيدة أماني ناشد في برنامجها عن موقفه من النقد السينمائي . وكان موقفه أنه لا يوجد موقف لأنه لا نقد ولا نقاد . وضرب لذلك أمثلة مضحكة من العبارات التي يمكن أن نجدها على قلم أى واحد . ومن المفروض أن يكون الناقد عارفاً أو عالماً . وبعد ذلك إذا قال أضاء للناس وللممثلين . ولكن الذى يحدث - ويراه هو - أنه لا شئ يفيد أحداً .

وكان السلف « الصالح » من أمثال المرحوم فريد الأطرش له عبارات مباشرة . لولا أن فريد الأطرش كان ينتج الأفلام لحسابه ويشتم فيها النقد والصحافة وكانت كل أفلام فريد الأطرش تدور حول موضوع واحد هو أنه فريد بين الناس . مظلوم عند المتفرجين ، وعند النقاد أكثر .

ولكنه كسب عطف الناس وليس غضبهم كما سوف يكسب حسين فهمي . وأنا لا ألوم حسين فهمي على موقفه الصلب الجاف . . ولكن لا بد أن أحيله إلى ما يفعله ممثل ممتاز آخر هو محمود يس . إنه أكثر مجاملة وأشد لبقاً . ولا أظن أنه

يغضب أو سوف يغضب أحدا . لأنه على قدر كبير من اللباقة والتسامح .
ولا بد أنها لا يعرفان ما يفعله فنان أكبر هو محمد عبد الوهاب . فعبد الوهاب
من الممكن أن يلتقى فى يوم واحد بعشرة من النقاد هاجموه بكل ما يقال وما
لا يقال . ولكنه لا يناقش واحدا منهم فيما قال . وإنما يتمنى أن يقرأ لهم مزيدا من
النقد لغيره من الفنانين . .

أذكر من عشرين عاما . هاجمت محمد عبد الوهاب . وكانت هى عادة
الكتاب الشبان أن يجرشوا الكبار . فى نوع من التحدى لتأكيد الذات واللامبالاة
بالكبار . وجاء فى الشاعر الغنائى مأمون الشناوى يقول : إن عبد الوهاب سأله هل
لو أننى كتبت مدحا له هل أكتبه بنفس الحرارة أو أننى لا أعرف إلا حرارة الشتيمة
والتجريح !

وكان ذلك استدراجا إلى مصيدة وقعت فيها بمنتهى الهدوء . وكتبت أمدح
عبد الوهاب لأثبت له أننى أستطيع أن أكتب أفضل لو مدحته أو أعجبت به .
ومن يومها وأنا معجب بمحمد عبد الوهاب . أو معجب بما أكتبه مدحا فى
عبد الوهاب !

وكان كامل الشناوى يصف محمد عبد الوهاب فيقول : إنه لا يكذب
ولا يقول الحق - حتى لا يخسر عدوا سيكون صديقا فيما بعد !

الفنان من يقترب من قلوب الناس

لا يزال الملحن أكثر حرية من المطرب . فالمطرب يواجه الناس ويقنعهم . .
أو يواجه الناس فلا يقتنع به الناس . وهذه المواجهة والإقناع يحتاجان إلى مؤهلات
كثيرة . فإلى جانب جمال الصوت وحسن الأداء . . يجب أن يكون هو أيضاً ظريفاً
لطيفاً أو يكون حضوره خفيفاً ، وليس من الضروري أن يكون المطرب وسماً
ولا المطربة جميلة الوجه ممشوقة القوام . ولو استعرضنا جميع المطربات والمطربين
من أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم وفيروز . فإننا لا نجد هذا الجمال في أكثر
الملاحم . . بل أحياناً نجد القبح والدمامة . ولكن من المؤكد أن هناك « خفة
ظل » . . أو هذا الاستلطاف من الناس .

أما الملحن فبعيد جداً عن ذلك . . إنه يجلس على الأرض في بيته عارياً
أو نصف عريان ويضرب رأسه في الحائط ويتمرغ على الأرض وينكش شعره . إن
كان عنده . ويكتب ألحانه دون أن يراه أحد . . لأنه بعيد عن عيون الناس . .
وبعيد عن أيديهم . ولا يواجههم مباشرة . تماماً كالمؤلف والممثل . . فالمؤلف كتب
في بيته . وأعطى النص للممثل . . وعلى الممثل أن يواجه الناس .
والملاحن سواء كان حياً أو ميتاً . فنن المفروض أنه غائب . . أو بعيد عن أيدي

وعيون الجمهور . أما الذى يواجه الناس ويشدهم إليه . أو يشدونه بعيدا عنهم
وعن المسرح وعن الغناء فهو المطرب . .

ولست هذه مقدمة طويلة للتعليق على ما رأيته فى البرنامج الناجح جدا « اثنين
على الهواء » فقد رأيت محمد نوح وسمير الإسكندرانى . فمحمد نوح يبدو كما لو كان
أجنيبا . وسمير الإسكندرانى أجنبى بالفعل .

فقد أحببت صوت محمد نوح على المسرح وأمتعنى تواشيعه فصوته قوى وفيه
نحة جميلة . وقد استمعت إلى أغانيه الوطنية لسيد درويش فى أحد الأفراح .
وأدهشنى أن يفعل ذلك وأن تشجعه الناس على الغناء وأكثرهم من الشبان . وهو
لا يزال يفعل ذلك فى شارع الهرم ويلقى إقبالا شديدا . وأنا لاحظت على محمد نوح
أنه أصبح مطربا عضليا . . فأنا أجد الصوت الجميل والأداء الصادق قد اتخذ
شكلا مخيفا إذا نظرت إلى ملامح وجهه وعينه . . ولا حيلة له فى ذراعيه الغليظتين
وصدره العريض . ولكن أعتقد أن الذى ينقص محمد نوح الآن هو الكثير من الرقة
وليس هذا العنف فى الأداء والتشنج فى الغناء !

أما سمير الإسكندرانى فواضح أنه رضى بأن يكون أجنيبا . . فى الوقت الذى
أفلحت مطربة أخرى كانت أجنيبة الأداء فأصبحت شرقية مصرية مثل عفاف
راضى ! رغم أن صوت سمير الإسكندرانى قوى مدرب ومعبر غربيا وشرقا . .
ولا أعرف إن كانت هذه خسارة على الغناء العربى . أو كسبا للغناء الأجنبى .
تلك الطريقة التى يمارسها سمير الإسكندرانى . ولكن إذا قارنت بين محمد نوح
وسمير الإسكندرانى فرمما كان محمد نوح أقرب إلى قلوب الناس . . فهم يعوضونه
على انفعاله الشديد وإجهاده واجتهاده بالإقبال عليه . . وربما كانت هذه هى
المكافأة الصادقة السخية التى يرضى بها أى فنان .

قالوا :

- رجال يتزوجون ليسعدوا أنفسهم وآخرون ليسعدوا جيرانهم !
- من السهل أن تقول لا لامرأة لا تقول : لا !
- تتأخر كثيرا من تقدم لك نفسها !

الشباب والفن الأصيل

أعجبتنى هذه الصورة من الاحتجاج : فكثير من الشبان يذهبون إلى مسرح سيد درويش ويستمتعون بالأغنيات القديمة . ويحرصون على ذلك . ولقد ذهب شبان كثيرون إلى حفلات أم كلثوم رحمها الله وجلسوا إليها سعداء بها ساعات طويلة . .

وهذا الموقف من الشبان معناه : أنه ليس صحيحاً أن الأغنيات القديمة طعام خاص بالأكبر سناً . وأن الماضى للشيوخ والحاضر والمستقبل للشبان . ولكن الشبان رفضوا هذا الفصل بين الأجيال . . أو سدوا هذه الهوة بين هذا الجيل وذلك الجيل . فالتاريخ وحدة لا تنقسم . وأن الماضى لهم أيضاً . وأنه ليس بعيداً عنهم . وأن الزمن لا يهيم . . فن الممكن أن يكون الفنان قديماً ، ولكن عباراته وألحانه باقية ، تتحدى الزمن . تماماً كما أن هؤلاء الشبان يتحدون الزمن ويرون أنهم على صلة بالماضى ومحبونه ، وأنهم فى الحاضر من أجل المستقبل . .

وأن أم كلثوم لم تكن للذين ولدوا معها . . وإنما أم كلثوم كانت متعة لكل جيل . وإذا كان الناس قد اعتادوا على أن يروا الشيوخ والعواجيز فى الصفوف الأولى من حفلاتها ، فليكن ذلك . . ولكن بقية الصفوف للمثالث من الشبان . .

أما بقية ملايين الشبان . فإنهم سعداء بأسطوانات وكاسيتات أم كلثوم .
وإذا سمعت شابا يقول لك : إننى أحب محمد عبد الوهاب القديم - أى
أغنياته القديمة - فالمعنى واحد أيضاً . وهو أن القديم من محمد عبد الوهاب ليس
من نصيب القديم والمسن من الرجال .
فهؤلاء الشبان يرفضون هذا القرار الذى صدر عليهم : وهو ألا يستمعوا إلا
للجديد من الغناء والموسيقى .

ولذلك فهم يستمعون ويستمتعون بالقديم وبالجديد أيضاً . .
وفى أكثر من مناسبة استمعت إلى المطرب محمد نوح يردد أغنيات سيد
درويش بتوزيع موسيقى راقص وأعترف بأن أكثر الناس حماساً كان الشبان . وإنهم
سعداء بسيد درويش وبأنه يستطيع أن يكون معاصراً لهم يرقص ويجعلهم
يرقصون . . بل أسعدنى من محمد نوح بصوته الملىء العميق الهامس الأجش أنه
يغنى فى الأفراح : بلادى بلادى لسيد درويش . . ولم يشعر الناس أنه أفسد عليهم
المتعة أو أنه نقلهم من فنادق القاهرة إلى سيناء . . ولكنهم كانوا سعداء بمصر وبكل
من يتغنى بمصر الجميلة العزيزة . . وبأنهم لا ينسون مصر ولا أنهم جنودها فى كل
المناسبات !

أزمة الغناء العربى

الإعلانات الغنائية فى التلفزيون والإذاعة أدت إلى اختراع أنواع من الأغانى القصيرة جدا . وهذه الأغانى لاهى أغنيات ولاهى منولوجات . . وإنما هى نكت إعلانية أو إعلامية مفيدة . ومن المؤكد أن الإسراف فى هذه الأغانى أفقدها أهميتها . ولكن لن نتوقف هذه النكت المفيدة إلا بعد وقت طويل .

وهناك إلى جانب ذلك إفلاس فى الأغانى العادية . أو هناك فقر شديد فى الأصوات الجديدة . بعض هذه الأصوات تتوارى وراء الإعلانات . . وبعضها يشجع بالظهور فى البرامج أملا فى أن يهرب من البرنامج إلى الوقوف وحده أمام الميكروفونات فى المناسبات العامة . . وبعد ذلك وبالإلحاح المستمر . يعتاد الجمهور أن يسمعه ويلعنه وأن يراه ويلعنه . . ثم يراه ويلعن المشرفين على الأغانى والموسيقى فى الإذاعة والتلفزيون . . وكثير من الأصوات قد ظهرت ولا تزال . عن طريق الإلحاح عملا بالحكمة التى تقول : أقرعوا الأبواب تفتح لكم . . أو عملا بقول الشاعر : ومدمن القرع للأبواب أن يلج - فإدما « القرع » هو الذى يصل بالصوت إلى ملايين الآذان فى النهاية !

وقد ثار فى أذن الموسيقى رياض السنباطى . . وهو يقول : يجب ألا

أسكت . . لقد فرفت . . زهقت . . مللت . . نحن أيضًا أصحاب هذا البلد . .
ونحن نحمل أعباء مسئولية الغناء والموسيقى . . وهذا الذى أراه واسمعه مستحيل .
مستحيل أن أسكت عليه !

أما الذى استحال أن يسكت عليه فهو أن الأستاذ السنباطى قد استمع إلى
أصوات جديدة . . ويرجو ألا تكون جديدة بأى معنى لأنها ليست أصواتًا . ويقول
إنها أصوات قبيحة الحجم والطول والأداء . وأنه مندهش جدا كيف أن هذه
الأصوات يشجعها التلفزيون ويفتح لها البرامج والقنوات ويعذب بها الناس الذين
تذوقوا أجمل الأصوات والألحان . .

ويروى الأستاذ السنباطى أنه إلى جانب قبح الأصوات فهناك سخف الكلام .
ويقول إن لجنة النصوص قد حولت إليه أغنية عليها عشرات التوقعات . وعند
قراءة هذه الأغنية وجد أنها نائية الألفاظ منحلة المعنى . فذهب ثائرا إلى الأستاذ
عبد الحليم نورية واعتذر بعنف عن قبولها . وهو فى حيرة شديدة يتساءل عن الذى
سوف يحدث للأغنية والأصوات الجديدة إذا كانت هذه هى الطريقة أو هذه هى
البداية !

إن الأمر خطير . . وخطورته تنبع أيضًا من أن المشرفين على البرامج غير
« واعين وغير فاهمين ولا عندهم ذوق فنى ولا دراية بالغناء والموسيقى . . فكيف
نسلم الذوق العام إلى الذين لا يدرون شيئًا عن ذوق الناس » ولا يمكن أن تكون
مصر قد عقلت وخرست فلم يعد فيها غير هذه الأصوات « المشرخة » « المجرحة »
« الناشزة » . . لقد فزع الأستاذ السنباطى لأنه لا يريد أن يسكت عن هذا الذى
فوجيء به من أيام . . ولولا خوفى عليه لأرسلت إليه بعض الأصوات التى أرهقتنى
بالغناء ودوخينى بالموسيقى والتى أفقدتنى النطق والسمع ساعات كل يوم !

بعيدًا عن التاريخ الإسلامى

سافرت إلى كل البلاد العربية عدة مرات وإلى المملكة السعودية عدة مرات . . ولم أربى الناس من يتكلم مثل الذين تشاهدهم فى المسلسلات التليفزيونية . فلا أحد يتحدث عن تشنج . ولا أحد دمه ثقيل . ولا أحد فى حالة غضب لا تنتهى !

وأمامك الآن تمثيلياتنا وأفلامنا عن السيرة النبوية والفتوحات الإسلامية . فإذا تجد ؟ . إن هناك خليطًا هائلًا من اللهجات الغاضبة دائمًا . . وهناك تشكيلة عجيبة من الملابس الفارسية والتركية والرومانية وفساتين المالك وتسريحات الإغريق - وأحيانًا أحذية لها كعوب عالية . . وأحيانًا أساور وأقراط فرنسية من آخر طراز . .

وتساءل وأنت تتفرج : أين تجرى هذه الأحداث ؟ لا بد أنها على أرض الحجاز فى مكة أو فى المدينة . . ولكن العمارة وشكل البيوت والملابس لا وجود لها فى الحجاز لأنها أندلسية ؟

ثم من الذى يتكلم ؟ إنهم جماعة من المسلمين على أيام الرسول . فما الذى يقولون . لا أعرف بوضوح ولكنى أمام أناس فى حالة صرع وهذيان .

أو على حافة الجنون . وتساءل : هل من الضروري أن يكون الإنسان مجنوناً ليبدع
شديد الإيمان . . . إذن لكان أنسب مكان تعثر فيه على المؤمنين والشهداء والصحابة
والتابعين في مستشفيات الأمراض العقلية . شيء عجيب !
أليس بين الناس جميعاً واحد عاقل . واحد هادئ الصوت . منخفض النبرة .
هل الكفاح هوس ؟ هل الحوار ضرب نار ؟ هل الإيمان فقدان عقل ؟
لم نر أحداً كهؤلاء . ولا سمعنا عنهم . ولا رأيناهم في بلادهم . إذن من أين
جاء كل هؤلاء الناس ؟ ومن الذى لقنهم هذا الكلام ؟
إن هؤلاء الناس جميعاً قد اخترعناهم في ستوديوهاتنا . وحددنا إطارها
وسجلنا حوارهم . . . وكله من اختراعاتنا وصدقنا هؤلاء جميعاً . مع أنه لا وجود
لهم في أى مكان إلا في خيالنا . . . ولابد أنهم في السعودية ينظرون إلى هؤلاء الممثلين
لتاريخهم على أنهم جماعة من المريخ هبطوا على الأرض . وأول ما أعجبهم من
أعمال أبناء الأرض : هذه التمثيليات فراحوا يقلدونها ويكررونها ظناً منهم أن
أسلافنا الطيبين العقلاء الهادئين كانوا هكذا : أجنب غرباء عن السيرة النبوية
والتاريخ الإسلامى !

غياب الغناء في فن الغناء !

مضت ساعتان وأنا لا أشعر بشيء في هذه الدنيا . الكلام سرقني . وأخفاني في دنيا غريبة . لا أعرف كيف تم ذلك . .

إنها مناقشة موضوعها : ما هذا الكلام السخيف جدا الذي انتشر في الأغنيات المصرية . هل هي سخافة مؤلف الأغنية ؟ هل هو استبداد مطرب الأغنية ! أو بعبارة أخرى : عندما تعرض على المطرب أو الملحن أغنية ذات كلمات سخيفة . . وذات معانٍ أسخف ، فلماذا يقبلها ! وإذا قبلها فكيف يرضى بها المطرب ؟ وإذا غناها المطرب فكيف لا يثور عليها المستمعون ؟ وإذا سمعوها مرة ولم تعجبهم فلماذا لا يبعثون بخطابات للمطرب يلعنون هذا الاستبداد الفنى ؟

سؤال آخر قاله محمد عبد الوهاب : إننى أسمع يوميا عشرات الأغاني . . ولكنى لا أجد تعبيرا يبقى في ذهنى . . لا أجد معنى بارزا . . معنى لامعا أو أكثر لمعانا من المعانى الأخرى . . إن المعانى مثل الناس . . الناس ملوك وشعوب . . أو رؤساء ومواطنون عاديون . . ولا أجد فى الأغنيات تعبيرات تقوم بدور الملكة وحولها الحاشية . . هذه الملكات هى التى كان يسميها العرب قديما « بيت القصيد » . . لماذا هذه التفاهة الفنية أو التفاهة بلا فن قد انتشرت هكذا بين مؤلفي

الأغنية ؟ أين كلمات رامي .. أين كلمات أمير الشعراء .. أين الملكات - بكسر
الميم ويفتح الميم أيضاً ؟

وقال رجل مهندس : أنا لا أفهم في الأدب ولا أفهم في الموسيقى .. ولكنى
أندوق .. إننى أرى الأغنيات مثل العمارات التى تنهار بعد أن تصل إلى الدور
العاشر أو العشرين .. لماذا ؟ لأنها على غير أساس .. أولأن أساس الأغنية
لا يقوى على احتمال هذه الأبيات الكثيرة .. إن أساس الأغنية لا يحتمل أكثر من
بيتين أو ثلاثة .. ولذلك فالأغنيات متساقطة أو ساقطة ؟

وقال مدير أحد الفنادق : إننى أرى مؤلف الأغنية رجلاً غشاشاً إنه يضع قطعة
سكر واحدة فى طشت ماء .. فإذا ذقت الماء بعد ذلك لم تجد فيه طعم السكر ..
وسبب ذلك ليس لأنه لا يوجد سكر .. ولكن لأنه يوجد سكر قليل جداً وماء كثير
جداً ..

وقال دبلوماسى : هل هذه التفاهة أو هذا الغش أو انعدام الملكة مقصور على
مؤلفي الأغنية ؟ . ألا يمكن أن يقال هذا أيضاً عن الملحنين وموسيقيهم وعن
المطربين وأدائهم وعن النقد الفنى وعن المسرح وعن الأفلام ؟ هل من العدل أن
ننهم الأغنية بكل عناصرها دون بقية مظاهر الفن والثقافة ؟

وقال واحد سياسى : بصراحة ياسادة لو كنت من حزب البعث لأطلقت
عليكم الرصاص جميعاً .. فإن هذه التفاهة والهيافة لا تنطبق على أحد قدر
انطباقها على الأغنيات الركيكة التى يتظاهرون بها ضد مصر .. ضد كل ما هو
مصرى !

هذا القرار السياسى جعلنا نفق من هذه الغفوة الفنية : فقد انطلق الرصاص
على أفكار الحاضرين !

تمنيات العام الجديد

مع بداية عام جديد لهجرة الرسول وبداية عام جديد لميلاد المسيح : كل سنة وأنت طيب الطعام والشراب والفراش والراحة والسيرة .

وإذا كان العام الماضي قد وعدك بشيء ولم يتحقق منه إلا القليل ، فأرجو أن يحقق لك هذا العام شيئاً أكثر وأفضل لك ولأهلك وللذين يحبونك .

وإن كانت السنوات ليست إلا حركة الأرض حول الشمس .. وليست السنة الواحدة إلا ٣٦٥ شروقاً ومثلها غروباً للشمس .. ولكن الذى فى رأسك وفى قلبك وفى يدك وفى جيبك لا علاقة له بحركة الأرض حول نفسها . حول الشمس .. فالأعوام تبدأ وتنتهى . ولا شيء ينتهى فى حياة أى إنسان .. وإنما كل المتاعب تتجدد كأظافرك ومشاعرك وأوراق الشجر .. وساعات الراحة مثل الظلال تحت الشجر ومثل الليل لمتاعب النهار .. ومثل المساحات البيضاء بين سطور توجع القلب ..

وكل ما يتمناه الإنسان لنفسه أو لغيره هو أن يكون قادراً على أن يعمل . ليصبح قادراً على أن يستريح .. قادراً على أن يعطى السعادة للناس وأن يكون الناس قادرين على أن يردوا ما أعطى لهم . بصورة أفضل .

إن في الدنيا ظلمًا واضحًا .. هناك أثرياء جدا ، وهناك ضعاف جدًا وفقراء
جداً وبين الناس من يملك أكثر مما يجب .. ومن يملك أقل مما يجب ..
من يملك ألف رغيف وليست عنده معدة تهضم اللقمة .. ومن يملك المعدة
التي تهضم الزلط ولا يجد اللقمة .

وفي الدنيا من يطلب القرش فلا يجد إلا كرش زوجه قد انتفخ منذرا بميلاد
طفل .. ومن يطلب الكرش فلا يجد إلا خزانن الأرض والسماء قد انفتحت عليه
ذهبا وفضة .

وفي الدنيا أناس يتعبون ولا يكسبون وأناس يكسبون ولا يتعبون ..
وفي الدنيا من يظل يهر رأسه وقلمه حتى الموت . ولا يجد .. وفيها من تهر
وسطها فتجد وتجد حتى تمل ما تجد ..

ولكن الفقير غير راض ، والغنى غير راض ..
وذلك لأن الفقير لا يرفع عينه على الأغنياء وهذا يضاعف تعاسته والأغنياء
عيونهم على صحة الفقراء وراحة باهم ، فتضاعف تعاستهم أيضا ..
ولكن المظلة الوافية من السقوط في هاوية اليأس هي : الرضا ..
فالغنى إذا لم يضع عينه على الذين هم أكثر غنى منه ، فإنه قد يرضى .
والفقير الذي يرضى بما عنده هو الذي يستريح .. والرسول قال : إنما الغنى
غنى النفس ..

والشاعر قال : لا يغلب الأيام إلا من رضى ..
والرضا ليس استسلاما بقضاء الأيام .. ولكنه حالة هدوء حتى تعرف كيف
تمضغ . ومعدتك كيف تهضم .. وبغير هذا الهدوء النفسى والنسبى لن يستريح
الطعام في أمعائك . والدماء في عروقك . ورأسك على المخذة ، وأنت بين
الناس ..

إننى لا أطلب لك ولنفسى إلا هذه النظرة العاقلة الهادئة : أن الذى معك
لا يهمنى ، والذى معى لا يهمنى أيضا .. وإنما الذى يشغلنى ويربحنى هو أن أراجع
فى مقعدى وأمدد ساقى وبدى وأغمض عيني مستسلما إلى الراحة حول وفى نفسى ..
إننى أتمنى لك مع كل عام جديد : أن تكون أكثر رضا عن نفسك وتسامحا مع
الآخرين !

نريد كثيراً من العمل .. وقليلاً من اللعب ..

ابتداء من الخمسينات ظهرت موجات من الانحلال أو الانحراف أو التحلل من القيود الاجتماعية . وأغرقت أوروبا وأمريكا في أشكال وألوان من العصيان الاجتماعي والتمرد السياسي . لماذا ؟

والجواب : إن المجتمعات قد أرهقتها قيود الحرب أو الخوف من الحرب .. فكان التخفف من هذه القيود أهم ظواهر العصر الحديث : في الأدب والفن والسياسة والعلاقات الاجتماعية ..

وأصبحت المجتمعات الأوروبية توصف بأنها (مجتمعات متساهلة) أو (مجتمعات مترخصة) - أى أنها تترخص للناس في أن يفعلوا كذا وكذا .. أى أن هذه المجتمعات تعطي الناس (ترخصة) للخروج عليها . والمجتمعات راضية تماماً ..

وأصبح هذا (السماح) أو (الترخيص) للناس بأن يفعلوا ما يحلو لهم . سبباً معقولاً في اضطراب الحياة العامة . ونقص الإنتاج وزيادة الاستهلاك .. وعدم وجود ضبط وربط في كل مكان ..

ولكن هذه المجتمعات الأوروبية ما تزال تعمل وتنتج في كل الميادين ، فكان

هذه الحريات الممنوحة للجميع لم تعطل مسار الحضارة الإنسانية . ولكن الذى أفرع هذه المجتمعات هو خوفها من أن تتفشى هذه الحرية الضارة ، فيتوقف كل شىء عن التقدم ..

ولكن هذه (العدوى) لم تنتقل إلى كل العواصم فى العالم .. وإنما انتقلت بصورة مختلفة وبدرجات متفاوتة . واطمأنت شعوب كثيرة إلى أن هذا المرض الوبائى لم يصيبها بدرجة خطيرة ..

فى استفتاء أجرى أخيرا فى ألمانيا الغربية لاحظوا أن ٧٥ ٪ من الرجال و ٨٠ ٪ من النساء يفضلون العمل على اللهو .. بل إن عددا كبيرا قد أعلن أن العودة إلى العمل بعد الإجازة مرهق نفسيا .. فكأن الإجازة والاسترخاء والبعد عن العمل تجعل العودة إليه شاقا على النفس . ولذلك فهم يفضلون أن تكون الإجازات قصيرة أو من خلال الأسبوع ..

ويمكن أن يقال إن هناك نوعين من العاملين : أناس يعملون بلا مرح ، ولذلك فهم فى حاجة إلى إجازة .. وأناس يمرحون بلا عمل .. ولذلك فهم ليسوا فى حاجة إلى إجازة .. وأعتقد أننا فى الشرق أو فى مصر أقرب إلى هذا الطراز الأخير من الناس .. وهذا الطراز من الناس لم يكن فى حاجة إلى أن يحصل على (رخصة) أو (إذن) من المجتمع لكى يتحلل من القيود والأصول والمسئولية ، لأنه يفعل ذلك من تلقاء نفسه .. ومن المؤكد أن مجتمعاتنا الشرقية تحتاج إلى كثير من العمل والقليل من اللعب .. لأن حاجتنا إلى الإنتاج أكبر وأكثر وأخطر من هذا العبث الذى نسميه عملا وأملا فى مزيد من العمل !

إنهم يناضلون من أجل العلم

أصعب مهنة في العالم أن يكون الإنسان : مدرسا .. معلما .. مربيا .. أستاذا .. إنها مهنة الأنبياء . الذين حملتهم السماء رسالة شاقة : أن يقولوا للناس : لا تفعلوا هذا . واتركوا ذاك . أحبوا بعضكم البعض . أعط ما في يدك . اعرف الجوع لكي تعطف على الجائعين . ابعد عن الظلم حتى لا يظلمك أحد .

وفي تاريخ الأديان كلها قصص العذاب والهوان الذي لقيه الأنبياء . فبعضهم قتل وبعضهم صلب . وبعضهم استعدى السماء على الأرض . وبعضهم نجا في سفينة وترك الأرض تموت في بحار من الخطيئة ..

وبيننا عشرات الألوف لهم رسالة الأنبياء . ولكنهم لا يلقون من الناس ما يستحقه الأنبياء . إنهم بشر يتعبون ويعرقون ويكون ولكنهم يمضون في تعليم الصغير حتى يكبر . وليس أصعب من تعليم طفل صغير . إنها محاولة مستمرة لتحويله من حيوان إلى إنسان بدائي . ومن بدائي إلى متحضر . فالمدارس هي مصانع الوطنية . ومعابد الحضارة العلمية . وحضارة القيم الأخلاقية ..

وأصعب ما في مهمة التدريس أن المدرس يقول ويقول نفس الشيء كل عام . منتهى العذاب أن تتغير الدنيا ولا يتغير . أن تتغير الوجود ولا يتغير صوته

ولا معناه . إن البطل اليونانى سيزيف لابد أنه مدرس أحيلى إلى المعاش . فقد حكمت عليه الآلهة أن يصعد جبلا ويهبط منه إلى الأبد .. فى صمت يعلو فى يأس يهبط . ويتجدد أمله فى مزيد من اليأس إلى الأبد . ويفعل نفس الشئ فى صمت . ويصمت نفس الوقت فى حركة . إنه كلمة خرساء تتدحرج من تحت إلى فوق - منتهى الملل . إنه نفس الشخص ونفس الطريق ونفس اليأس ونفس الأمل . كل شئ واحد : هو والطريق والجبل والشقاء والصمت !

ولكن مئات الألوف من الذين علمونا . وسوف يعلمون الأجيال القادمة من بعدنا . هؤلاء المحاربون للجهل . هؤلاء المجندون من أجل العلم . هؤلاء الرسل من أجل القيم الأخلاقية والدينية والوطنية .. يستحقون من كل الشعب عظيم الامتنان وعميق الاحترام !

قالوا ..

- السفراء رجال أرسلتهم بلادهم ليكذبوا بإخلاص - أكثرهم لا يفعل ذلك !
- أستطيع أن أقاوم أى شئ : إلا الإغراء !
- يجب أباه أولا ، وينقده ثانيا . ويكرهه ثالثا ، ولا يسامحه رابعا : كل طفل !

الأشياء الصغيرة ليست نافهة

قرأت هذا الإعلان الذى نشرته إدارة الشؤون العامة بوزارة الداخلية الأمريكية . الإعلان منشور فى مجلة « أتلانتيك » . يقول : السمكة ماتت لأنها عجزت عن التنفس .. وهى عجزت عن التنفس لأن الماء قد تحول إلى طين .. والماء تحول إلى طين لأن المطر عندما نزل لم يجد أشجارا توقفه . والأشجار لم توقف ماء المطر لأنها احترقت .. وأشجار الغابة احترقت لأن مواطنا قد ألقى عود كبريت عليها ، وهو ألقى عود الكبريت قبل أن يخمدته لأنه مواطن كسول . وهو كسول لأن .. إلخ » .

ومعنى الإعلان أن كل شىء فى هذه الدنيا متأسك بصورة منطقية ، وأن الأشياء الصغيرة تؤدي إلى الأحداث الجسيمة . ولذلك يجب ألا نهمل شيئا . وألا نستخف بشىء . فالذى أعمله يبدو قليلا أو صغيرا أو نافها . ولكن إذا فعلت الملايين مثلى ، فلن يكون نافها ولا صغيرا . مثلا : لو ألقى كل مواطن كوب ماء من النافذة .. أو ألقى الزبالة من البلكونة .. أو صحا الناس فى الخامسة صباحا وراحوا ينفضون السجاجيد .. أو امتدت كل يد إلى الراديو وفتحته على الآخر فى وقت واحد أو طول النهار .. أو أمسك كل مواطن مسمارا وراح يمر به على الأبواب

والجدران والسيارات ومقاعد الأنوبيس والمترو ودور السينما - لو حدث ذلك فلن يكون شيئا تافها . وإنما هو الخراب والدمار لكل شيء !
وإذا امتنع كل مواطن عن أكل نصف رغيف أو أنقص سبجارة أو اثنتين أو مرة أو مرتين لحما في الأسبوع أو شهر .
فلا شيء يستهان به . ولا شيء يمكن تجاهله . ولا شيء تافها إذا فعله كل الناس ..

فالقليل إذا أضيف إلى القليل كان كثيرا . والكثير إذا وضعناه مع الكثير كان شيئا رائعا ومروعا أيضا .
والمثل القديم الذى يقول : إن النواة تسد الزير . معناه أيضا : أن النواة إذا نزعنا من تحت الزير سقط الزير وانكسر .. فكل شيء له أهمية مهما كان صغيرا .. ومهما كنت أنت صغيرا !

قالوا :

- الصبر هو اليأس وقد تنكر في ملابس الفضيلة !
- التصفيق : هو صدى الامتنان !
- الحب : حمى تنتهى بهلوسة !

القانون هو أنا .. وأنت كل الناس

كل واحد يسألك: الضوضاء ما تزال موجودة فأين القانون ؟
والجواب : أن القانون موجود لكي نستعين به ضد الضوضاء . لأن القانون ليس شخصا ولا ألف شخص يرتادون الشوارع كالعقارب لتخويف الأطفال وتأمين الحائفين . القانون هو أنت .. اذهب واطلب القانون لمساعدتك .
ولذلك بدهشني أن ألقى خطابا بإمضاء « عنهم محمد كامل البهنساوي المحامي » ويقول إنه وهم في حالة يرثى لها ويطلب مني أن أذهب معه إلى بولاق الدكرور بجوار الكوبري الجديد يوجد مقهى « للإذاعة المحلية » بها تليفزيون وبيك آب وراديو كهربائي وراديو بالبطارية وكل هذه الأجهزة موجودة في الشارع . ويبدأ إرسالها من الخامسة صباحا حتى الثانية صباحا ولا أحد يتدخل في هذه الضوضاء التي أطارت النوم والأمل في النوم عند عشرات الناس - رغم الشكاوى الكثيرة إلى محافظة الجيزة ومديرية الأمن بها !

ولا يتسع هذا المكان ، ولا أى مكان ، لما يمكن أن يقوله المواطنون .. ولكن الموقف واحد . هناك قانون وهناك أناس في حاجة إلى الاستعانة بالقانون . فإما أن يتحرك القانون على رجله يثق أبواب الناس . ويرد الناس أولا يردون عليه .

أو يذهب الناس الذين لهم أرجل فعلا . ويستعينون بالقانون الذى له وجود حقيقى .. وأن يتمسك الناس بذلك . تمسكهم بحياتهم وحريتهم وكرامتهم ، وحرصهم على الأمن والسكينة والصحة .. هذا هو المفروض .. والواجب . والحق . وإلا فلا أمل فى شىء فى هذا البلد . لا أمل مطلقا فى أن يكون لأى قانون أى معنى وأى هدف . مادام الذين أصدروا القانون والذين صدر لصالحهم . لا يرون له أى مبرر : قولاً وفعلاً !

وليس من المعقول أنه فى كل مرة يصدر قانون يقسم الذين أصدروه بالله العظيم ثلاثا . أنهم جادون . إن كل قانون مفروض فيه هذا المعنى وموجود به هذا القسم .. إلا إذا ذهب الناس فى السخرية بأنفسهم إلى درجة أن يؤمنوا بأن هناك تسلية اسمها « اللعب على القانون » لكى ينال الظالم والمظلوم ولاعب الكرة وفتاح الراديو ومربو الدجاج تحت السلم ، وفوق الأسطح .

الذى أفهمه أن يذهب كل إنسان يشكو ويتمسك بشكواه وأن يجمع معه عددا من الشاكين وأن يتمسك الجميع بموقفهم .. هنا فقط يعيش القانون ويحيا العدل !

ست سنية

مثل أشياء كثيرة جدا ، جعلنا هذا الإعلان أو الإعلام أو التحذير على أنه نكتة . وتوارى المعنى وراء النكتة . كأن يظهر فى التلفزيون إعلان عن ست سنية التى تقفل الحنفية بعد أن تركتها تغرق الحمام والبيت وتهدم العمارة وتؤدى إلى نقص الماء فى كل البيوت . ولكن صورة ست سنية وهى تروح وتجيء ويهتز لحملها والكلام الذى يعالج هذا الإعلان الغنائى . كل هذا جعلنا نضحك على ست سنية وعلى عبطها !

أما المعنى فهو : لو ترك كل إنسان حنفية المياه دون أن يحكم إغلاقها لاختفت كميات كبيرة من المياه النقية . فالماء الذى نراه قليلا وهو يسقط من الحنفية إذا ضربناه فى عدد الحنفيات فى القاهرة ، لكان كثيرا جدا . وهذا الماء ينزل فى المجارى ، والمجارى قديمة عمرها سبعون عاما . والمواسير لا تقوى على حمل هذا الماء الزائد . ولذلك تنفجر مواسير المجارى فى كل مكان . ولو تركت هذه المواسير تنفجر فى كل حى ، لتحولت الشوارع إلى مستنقعات تعطل الحركة وتفسد الصحة . ولو تركت هذه المستنقعات لأفسدت السيارات . ولاحتاجت هذه السيارات إلى قطع غيار ، وقطع الغيار احتاجت إلى فلوس صعبة . وهذه الفلوس

نأخذها من رصيد المشاريع الهامة والحيوية لمصر . وإذا نحن سمحنا لكل مشروع خطير أن يتناقص رصيده لمثل هذه الأسباب تعطلت كل مشاريع الدولة . ولا ترتبكت السياسة العامة . ولفشلت كل خطة خمسية أو عشرية لإصلاح وتعمير وإنتاج مصر الصناعى والزراعى ، ولساءت الخدمات العامة أيضا !

وليس فى هذا التسلسل أية مبالغة . وإنما شئ من ذلك يحدث كل يوم وكل عام . وسبب ذلك نوع من « التسبب » - تسبب الحنفية أو الكهرباء .

فكل شئ مهما كان صغيرا لا يستهان به . لأن الصغير إلى الصغير كثير جدا . فإذا كانت هناك ثقب أو فتحات فى كل بيت وكل مصنع وكل مكتب وكل حفل وكل جبهة ، فإن هذه الثقوب تتسع بمرور الوقت . وتبلغ المال والناس وكل أمل فى مستقبل أفضل !

وتقول الأساطير الهولندية إن هولندا كلها كانت سىغرقها البحر لولا أن طفلا صغيرا قد لاحظ أن فى أحد السدود ثقباً تتسرب منه المياه . وذهب الطفل الصغير ووضع أصبعه فى هذا الثقب ، وأوقف الماء .. ولم تغرق هولندا بفضل طفل صغير وضع أصبعه فى ثقب صغير .

فلا شئ يستهان به .. لا قدرة الطفل ولا ضالة الثقب !

قالوا :

- قاعدة : قديس فى شبابه شيطان فى شيخوخته !

- أفضل أن أكون سيذا فى جهنم على أن أكون خادما فى الجنة !

- أبقي من الطموح : الحب . أروع من الحب : الحنان . أبقي من الحنان :

الصدق !

برامج عمل للشباب

امش في شارع سليمان باشا وقصر النيل في أى يوم جمعة ، تجد عددا من الشبان في حجم الجيش الإسرائيلى . ولكنهم غير مسلحين . ولا حملوا السلاح . وإنما يطوحون أيديهم وأرجلهم وتدور رؤوسهم يمينا وشمالا حسب الفساتين . فما معنى ذلك ؟ لا اعتراض على أن يمشى الناس في الشوارع ، فنحن قد شرعناها لذلك . ثم إنهم كثيرون لأن القاهرة تسعة ملايين ، ولأن نصف سكان مصر دون العشرين من أعمارهم ..

ولكن الاعتراض الذى أجده كل عام منذ عشرين عاما هو أن يكون هذا العدد الكبير من الشبان بلا حركة مقيدة . إنهم يتحركون في أقفاص طويلة عريضة اسمها شوارع المدن . فما الذى استفادوه ؟ لا شىء .. ما الذى استفدناه منهم ؟ لا شىء .

وعندما تتاح لهم فرصة السفر إلى الخارج فإنهم لا يمشون في الشوارع وإنما يخفون في الفنادق والمطاعم يغسلون ويكنسون ويمسحون ولا يرون جمال الدنيا إلا قبل عودتهم إلى مصر . فلماذا ؟ لأنهم هناك يتقاضون أجرا ولأنهم بهذا الأجر يشترون ما يحتاجون إليه .. ثم إننا نحبيهم دائما على أنهم شبان مكافحون لا يترفعون

عن أى عمل يدوى ما دام شريفا .

وما دام هذا رأيهم واقتناعنا ، فلماذا لا يعملون فى أشرف مكان . فى مصر .
لماذا لا يبنون ما انهدم منها . ويزرعون أرضها البور . ويرصفون شوارعها المحترقة ..
ولماذا لا نعطيهم مكافأة على ذلك ؟ إن مصر أحق بشبابها ..

إن كل دول أوروبا فعلت ذلك بعد الحرب . لقد أقيمت البيوت والجامعات
والمستشفيات بأيدي الشباب . واشترطت جامعات كثيرة على طلابها أن يقدموا
ما يثبت أن الواحد منهم عمل ألف ساعة فى البناء والرصف فلم يتقدم أحد بذلك .
وإنما قدم كل منهم أنه عمل آلاف الساعات مجانا ! وفى الانتخابات الألمانية هذه
الأيام تقدم أحد الأحزاب ببرنامج يلغى فيه الخدمة العسكرية التى مدتها
١٥ شهرا . لأن ألمانيا ليست فى حاجة إلى جيش . ولكنه تقدم بمشروع بديل هو
العمل ١٨ شهرا فى المستشفيات وفى الإطفاء وفى البناء وفى الحقول مع أن ألمانيا
اليوم أقوى وأغنى دولة . اقتصاديا وصناعيا فى العالم كله . وليست فى مثل حاجتنا
إلى كل شئ .. ولكن العمل حياة . والذى لا يعمل ليس إنسانا والذى لا يعمل
من أجل وطنه ، ليس مواطنا شريفا ! .

نعمة النسيان . !

عندنا شعور بضرورة العفو العام عن كل الناس . أى أننا جميعا ميالون إلى أن يسامح بعضنا البعض .. ولم يكن هذا هو شعورنا بعد النكسة . فبعد النكسة كنا نقول ما قاله الكاتب الأمريكى آرثر ميللر فى مسرحيته «بعد السقوط» : إن الجرائم التى ارتكبت فى القرن العشرين فى عنق كل الناس . فلا أحد برىء . فإدام الناس قد شاهدوا هذه الجرائم بالعين أو بالأذن أو بالرضا أو بالصمت . فكلنا مجرمون !

وقد كان ذلك شعورنا بعد النكسة : كلنا مجرمون . ولم نكن عادلين إلى هذه الدرجة فى تعميم الظلم . وإنما جعلنا الجريمة فى عنق العسكريين وحدهم . وبعد ذلك اتهمنا أنفسنا . لقد اتهمنا العسكريين أول الأمر . مع أن العسكريين ذهبوا ليموتوا . ولم يفعل المدنيون شيئا من ذلك . ولكن نحن ننظر إلى العسكريين على أن من طبائعهم أن يموتوا بأى ثمن . وأن ينتصروا دائما . وخذلونا فى الحالتين فقد عادوا منهزمين - منتهى الظلم !

حتى كانت معارك أكتوبر . وانتصر العسكريون . إنهم نفس العسكريين الذين انهزموا قبل ذلك . إنها نفس القيادات الشابة . إنهم نفس الرجال الذين ذهبوا

يموتوا .. فبدلاً من أن يرجعوا منهزمين ، ماتوا منتصرين !

وإذا كنا بعد النكسة نقول : لا أحد برى ..

فنحن بعد النصر نقول : لا أحد متهم . الكل أبرياء . فتحن جميعاً قد عملنا

وانتصرنا . وصبرنا حتى عبرنا ..

وانتهزنا فرصة المرور على قناة السويس ودعونا بعضنا البعض لنغسل أيدينا التي

تلوثت ونحن نضع أشواك العار في أعناق كل الناس - وبعد أن غسلنا أيدينا ،

غسلنا نفوسنا وقلوبنا .. وشاعت بيننا جميعاً رغبة في العفو العام عن كل الناس ..

ولم يعد شيء يضايقنا قدر الأعواد الحديدية والقضبان والأبواب المغلقة ..

وأصبحت أروع الكلمات على ألسنة الناس : الانفتاح .. أى أن يفتح كل شيء من

تلقاء نفسه .. نحن لا « نفتح » الأبواب « فتحة » ، وإنما نترك الأبواب والنوافذ

والحدود والسدود والقيود والقلوب « تنفتح » .. أى أن العفو والتسامح والرضا

أشياء في أعماقنا تقوم بكل العمل دون أن ندري ، والحقيقة أنها أشياء جديدة

تسللت تحت الجلد عندما اندفعت قواتنا إلى سيناء .. وإذا كنا بالأمس متهمين

بلا قضية ، فنحن اليوم قضية بلا متهمين !

قالوا :

- ميزة واحدة في تعدد الزوجات : أن يتقاتلن معا ، لا مع الزوج !

- الشفقة لا تكلف ولا تساوى شيئاً !

- أروع ما في السجارة أنها تغريك بواحدة أخرى !

نعيش أشقياء .. لكى نموت كرماء !

دون أن تغضب منى أصارك بأنك قطعة غيار .. مثل أى مسمار أو ترس .. أو جلدة أو صمولة . أى أن مثلك فى السوق كثيرون . فإذا كنت طالبا فعندنا مثلك ملايين . وإذا كنت صانعا فعندنا مئات الألوف . وإذا كنت طبيبا فعندنا عشرات الألوف .. أى أنك لست الوحيد الذى يتمدد على صدر أمنا : مصر .

والمقعد الذى تجلس عليه ينظر إليه كثيرون . وإذا نزلت من فوقه أو سقطت أو أنزلت ، صعد بسرعة آخرون . وليس من الضرورى أن يكونوا مثلك : ربما أسوأ أو أحسن .. ولكن بسرعة يقومون بنفس العمل ويمرون بنفس المعوقات .. وتكون أنت أحد المعوقات فى حركة الماكينة الكبيرة التى تعمل فيها وبها وتحاول مدى حياتك ألا تكون ضحيتها . ولكن هذا مستحيل . فكل إنسان هو ضحية العمل الذى يقوم به .. الحداد يحترق بالنار .. والصياد يغرق فى الماء .. والطبيب يموت مريضا .. والجندى يموت قتلا ..

فما الذى يحدث لقطع الغيار !

تضيع قطع الغيار . أو تنكسر .. أو يصيبها المرض العادى جدا وهو النعومة ..

فالمسار الذى أصبح ناعما ، صار قلعا فى موضعه .. لا يمسك الأشياء .. ليس محكما وإنما أصبح « يفوت » .. أى أن النعمة فى قطع الغيار هى « التفويت » ولذلك يجب أن نأتى بقطع غيار أخرى . ومن عيوب قطع الغيار فى مصر أنها ليست متوافرة دائما . ولذلك نضع أى مسار من أى نوع مكان المسار الناعم .. انظر إلى ورش الميكانيكا وقل لى ما الذى يفعله الأسطوانات بالسيارات ؟ إنهم يقومون بتزييف وتزوير قطع الغيار . لأن السيارة يجب أن تمشى . وهم يجب أن يعملوا . وكذلك الماكينة أو الجهاز الذى يعمل به يجب أن يمشى أو يتحرك بأى إنسان !

والإنسان عندما يشعر بأنه هكذا « تافه » وليست له قيمة كبرى يحاول أن يجعل نفسه قيمة أكبر . ويحاول أن يجعل نفسه ضروريا وذلك عن طريق الثقافة والتجربة والتفانى فى العمل .. وهذا ينقله من مجرد مسار . إلى جزء حيوى فى الجهاز الكبير الذى يعمل فيه .. وبذلك يكون تعويضه أو استبداله صعبا . وفى استطاعتك أن تتلفت حولك فسوف تجد أناسا يشار إليهم ويقال: هذا هو الرجل الذى تقوم عليه الحركة .. هذا هو عقل المؤسسة .. هذا هو قلب الشركة - أى أنه الشخص الذى يصعب استبداله .. أو يجب ألا يفرط فيه أحد . حتى لا يختل العمل !

ومع أن عظماء الرجال ماتوا ومات الفلاسفة والأنبياء والمثاليون . فقد عاشت الإنسانية بعدهم وبغيرهم وضدهم .. وظهر آخرون سوف يموتون أيضا .. فلا يوجد إنسان لا يمكن الاستغناء عنه .. لا يوجد أحد ضرورى جدا لكل الناس .. ولا يوجد أحد بغيره لا تكون الحياة - لا أحد !

وشئ عجيب تراه بين الناس .. فأنت ترى الذى يقول : سوف أموت على مكنتى .. أو سوف أموت على المسرح .. أو إذا قامت القيامة فسوف أزرع شجرة ..

ومعنى ذلك أن هناك أناسا يفضلون أن يسقطوا موتى ، على أن يميتهم الناس ..
وأن يخلعوا أنفسهم ، قبل أن يخلعهم الناس ..
والمعنى : صحيح أن الإنسان تافه . ولكنه هو الذى يجعل لنفسه قيمة . وإذا
كان لابد من أن تصيبه « النعمة » فهو يفضل أن ينكسر فيسقط ، بدلا من أن ينعم
فيسقط !

فالإنسان حيوان تافه يعيش شقيا حتى يموت كريما !

اختلاف الأجيال

كنا نجلس فى فندق « والدورف استوريا » الضخم الفخم بمدينة نيويورك . وكأننا لم نعبر البحر أو المحيط إلى العالم الجديد . وإنما نحن فى القاهرة . فقد كان بعض الآباء يتناقشون فى مشاكلهم الخاصة ، وأهم مشاكلهم أنهم لم يعودوا قادرين على فهم أبنائهم . وأن المسافة بين الأب والابن أصبحت طويلة عريضة لدرجة أن الابن يعتبر والده من سكان الغابات . . أو يراه هو وأمه من أهل الكهف الذين ناموا فى كهفهم ٣٠٩ سنوات كما يقول القرآن الكريم . وعلى ذلك فالأب لا يستطيع أن يفهم ابنه . وليس بينهم لغة واحدة .

أما الخلاف بين الأب والابن فهذا شىء ممكن ومعقول . ولكن الذى يضايق الآباء أن الخلاف كبير جدا . بحيث لا يمكن بناء جسور أو لا يمكن أن يكون هناك عبور . فالمسافة واسعة . وعلى الآباء إما أن يستسلموا أو يقاوموا الأبناء . وفى هذه المقاومة تعاسة للجميع .

ولكن الذى يوجع قلب الآباء والأمهات هو أن الأبناء لا يرون أن أحدا قد قدم لهم شيئا يستحق عليه الشكر . فالأبناء يرون أن وجودهم لا دخل لهم فيه . فهم لم يطلبوا من أحد أن يأتى بهم وما دام الأبوان قد أتيا بالأولاد . فهذه مسئولية

والوالدين . وما دام الأبناء قد جاءوا فلهم حقوق كل المواطنين : أن يأكلوا ويشربوا ويتعلموا وينفقوا ويحبوا ويتزوجوا وعلى الأب أن يقبل هذا الوضع أو لا يقبله . وعالبا يقبله ويباركه . فالأبناء لا يشعرون بالامتنان لما فعله الأب أو الأم - لأن هذا واجبه . وأن أحدا لم يرغبهم على ذلك .

وتحسر الآباء على الذى أصابهم وظنوا أن هذا العقوق خاص بالأبناء فى الشرق . ولابد أن الغرب قد اهتدى أبناؤه إلى شىء أفضل . وأن الآباء فى أوروبا وأمريكا أحسن حالا من الآباء فى البلاد التى نزلت فيها الكتب السماوية التى تقول : وبإلوالدين إحسانا . فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . وظهر رجل أمريكى يضرب كفا بكف ويقول : أنا حرت فى هذا الولد . واتجهنا إليه نسمع القصة . لقد طلب إلى ابنه ألا يذهب إلى ملعب الكرة . وأن يذاكر . وإذا بالولد يركب سيارة والده دون إذن وليست معه رخصة . ولما ناقشه الأب كان رد الولد : كيف لا يذهب وفريق الجامعة هو الذى يلعب . وكيف يذهب على قدميه . ثم إنه لم نجد أباه حتى يستأذن منه .

ولما لم يقتنع الأب بوجهة نظر الابن . نهض الولد واقفا وهو يقول : اسمع يا أبى لا تنس أن هذه بلاد حرة . ونحن على قدم المساواة فى تصرفاتنا . وليس من الضروري أن أقنعك !

وسأله الآباء المصريون : هه . وماذا فعلت مع هذا الولد العاق ؟ .

فقال الرجل : اشتريت له سيارة جديدة ؟

وسكت الآباء المصريون . فقد هانت عليهم بلوتهم !

فلسفة الغنى والفقر

لا شيء يدل على أن الرجل الذى جلس إلى جوارى مليونير - آسف مليونير ألف مرة .

ولكن ما الذى يدل على أنه يملك أى شيء أكثر مما أملك أنا .. لا البدلة ولا الساعة ولا الكرافتة ، ولا الولاة ولا السيجارة . بل إن كل شيء يدل على أنه يعمل سائقا عند واحد ليس من الضرورى أن يكون مليونيرا . فالبدلة مكسرة - بدلتى أحسن - والساعة بجلدة سوداء - ساعتي أفضل - والحزمة متآكلة جدا - وحذائى أمتن . ثم إنه كثير الابتسام .. ومجامل .. وهو الذى قام وقدم لى كوبا من الماء .. وهو الذى قدم نفسه لى قائلا : أنا فلان .. والتي تجلس هناك هذه زوجتى .. وقدمت له نفسى .. ونهض الرجل وبمتهى الحفاوة انحنى وصافحنى . مع أن اسمى ومركزى والدار التى أعمل بها لا يمكن أن يكون لها أية دلالة عنده .. ولكنه كرجل أعمال ، مجامل . وكرجل أعمال ناجح جدا ، فهو مجامل جدا .. ولأننى رجل أقوال ، فلست مجاملا .

ولابد أننى تصورت ، كغيرى من الناس ، أن الإنسان الغنى جدا لابد أن يكون مظهره كذلك .. البدلة لا تهم ، فلا أقل من خاتم ثمنه عشرات الألوف ..

حتى لو وضع هذا الخاتم في أصبعه ، فهناك ملايين مثله من الأغنياء قد فعلوا ذلك . ولكن الفقراء أمثالنا هم الذين يشعرون بأنهم فقراء .. فهم يكرهون أن يعرف الناس هذه الحقيقة . ولذلك فإنهم يضعون كل ما يملكون في أصابعهم وفي أعناقهم وفي جيوبهم ، ليتأكد لديهم أولا ، أنهم ليسوا فقراء . وليرى الناس أنهم قادرون على شراء الخاتم الماسي والولاعة الذهبية والكرافطة الديور والحزمة الساكسون والسيارة المرسيدس .. إلخ .

ولكن الأغنياء جدا عندهم قناعة . وعندهم بأس بأنهم لا يستطيعون أن يحملوا كل ثرواتهم في جيوبهم أو في أصابعهم أو على صدورهم . وهذا الأس مع البساطة قد جعلهم هكذا لا شيء يميزهم عن بقية مئات الملايين من الناس الذين لا يملكون الملايين .

وبدلا من أن ينفق أصحاب الملايين جانبا من أموالهم على المظهرية ولفت نظر الناس إلى ثرواتهم ، فإن قناعتهم وبساطتهم قد وفرتا لهم هذه المبالغ .. بينما الفقراء ينفقون المال الذي يحتاجونه على المظهرية . وبذلك تنطبق على الفقراء والأغنياء الحكمة التي جاءت في الكتاب المقدس : إن الذي معه يعطى له ، والذي ليس معه يؤخذ منه !

البحث عن الحقيقة

تعال لى أى يوم وستجدنى سعيدا جدا بلقائك . مع أننى لا أعرفك . وليس هناك مبرر لسعادتى بك !

وهنا أتوقف . ما الذى يجعلنى أبدو هكذا سعيدا ؟ لا سبب . ما الذى يجعلنى أرحب بك مهما كنت مشغولا ؟ لا سبب . ولكنى أقوم بدور الرجل المهذب . أقوم بدور الذى يخفى متاعبه ومشاغله . وإننى أقوم بدور الرجل الذى يرى أن هوممه تخصه هو ، وإنها لا تخص الآخرين .. وفى نفس الوقت أقوم بالمساهمة فى الصورة الجميلة الكاذبة وهى أننا معشر الكتاب من طراز آخر من الناس .. نحن فوق .. بلا متاعب ولا مشاكل ولا هموم ولا قلق .

ولست هذه حقيقتى .. ولا حقيقة أى إنسان تراه أو تقابله فى البيت أو فى الشارع . وإنما هى صورة أنيقة لأعماق . إنها صورتى . وهذه الصورة قد أفرزت ألوانها من داخلى ، وعلقتها على كفتى . وتواريت وراءها . فأنت لا تترانى . وإنما أنت ترى إحدى صورى .. أجمل صورى !

فأنا لست سعيدا .. ولكن ظاهرى السعادة .. أو «متظاهرا» بالسعادة !

وكل إنسان كذلك .. أنت فى أى وقت لست إلا صورة من صورتك . لوحة من لوحاتك .

ونحن نطلب من الناس أن يكونوا صورا لأنفسهم .. وألا يكونوا على حقيقتهم . لأن حقيقتهم تضايقنا ولا تهنا .

مثلا .. الكمسارى .. فى الأوتوبيس أوفى المترو . نحن نطلب منه جميعا أن يكون مبتسما دائما . إذا أخذ ثمن التذكرة يكون رقيقا . ولا بد أن يشكرنا على ذلك . ولا بد أن تكون معه فكة . ولا بد أن يعرف المحطة التى سوف أنزل عندها . مع أننى لست الراكب الوحيد من أول الخط . ولا الراكب الوحيد طول النهار ولا طول الشهر .. ونحن ننسى أن هذا الكمسارى لا يختلف عن الركاب إلا فى شىء واحد هو أن المواصلات ليست مشكلة بالنسبة له . ولكنه أب وزوج . وله هموم ومشاكل أى أب وأى زوج . وله همومه وله متاعبه ومن ضمن آماله فى الحياة أن يتحول من كمسارى إلى راكب .. وأنه هو أيضا يركب صاروخا فى خياله .. وهذا الصاروخ يحلم بأن ينقله فى يوم من الأيام إلى محطة اختيارية اسمها : الستر ! .. وأنت تقوم بدور الأب .. وتقوم بدور الصديق .. وتقوم بدور الموظف المطيع وبدور الرئيس الصبور .. ودور الطبيب الذى يملك المعجزات .

ونحن فى الحقيقة نعرض على الناس « صورنا » .. نعرض على الناس أحسن ما عندنا .. والناس يعرضون علينا صورتهم ولوحاتهم التى رسموها سرا .. فحياتنا على هذا المعرض الحى .. نحن الفنانون واللوحات أيضا .. ونحن المؤلفون والممثلون والمخرجون أيضا ..

ومن المؤكد أن أى إنسان عندما يتهم إنسانا بالكذب أو بالنفاق أو بالشر . فهو لا يتهمه وإنما هو فجأة قد رأى الصورة الحقيقية التى تخفيها وراء هذا العمل الفنى الزائف !

ظاهرة عامة ومؤلة

لا أريد أن أذكر اسم المدرسة التي رأيت أطفالها الصغار يركبون أتوبيسا ويصقون على المارة في الشوارع أو يشتمونهم .. أو يخرجون لهم ألستهم . فالاسم لا يهم . إننى لا أكتب بلاغا ضد المدرسة أو ضد المشرفة التي تتركب الأتوبيس مع التلاميذ الصغار .. ومفروض أن تحرض على أن يكونوا فى غاية الأدب .. ولكن أسجل ظاهرة مؤلة بين الأطفال . فقد رأيت أتوبيسا فى شارع قصر النيل منذ أيام .. ولم يكده الأتوبيس يتوقف عند الإشارة حتى انطلق الأطفال الصغار يشتمون الناس فى السيارات المجاورة .. وظننت أول الأمر أن أحدا قد عاكس الأطفال أو شتمهم . وإن كان هذا شيئا غير محتمل . ولكن حدث عندما اقتربت من أتوبيس الأطفال ، أن وجدتهم أيضا يصقون فى اتجاهى ويشتمون . وتوقفت الإشارة طويلا . ومحاولت أن أنصرف بالعقل مع هؤلاء الصغار .. فساءلت :

ولكن لماذا ؟ لماذا هذه الشتمات !

ولم يكن هناك غير قلة الأدب !

وفى يوم آخر وجدت أتوبيسا آخر .. إنها الصدفة .. وكان الطلبة فيه أكبر فى السن .. وكانت حركات أيديهم وأصابعهم وقحة وهى تشير إلى الفتيات فى

الشارع .. وإلى السيدات في السيارات .. ولاحظت أن عيونهم وأيديهم تشير إلى كل الاتجاهات .. أى أن هؤلاء الطلبة لم يكونوا في حالة « رد فعل » على موقف محدد أو شخص بالذات .. وإنما هم في حالة « استنفار » عام ضد أى أحد .. في حالة ثورة لا مبرر لها على كل الناس الذين ليسوا طلبة أو ليسوا محشورين في أتوبيس .. أو على الذين يمشون وحدهم . وليس على شكل مظاهرة محبوسة في سيارة .. ولم أستطع أن أتبين بوضوح إن كان معهم مشرف أو ملاحظ أو مدرس .. لا بد أن يكون بينهم واحد من المسؤولين . ولابد أنه عاجز عن أن يفعل شيئا . أولا يهيمه أن يحرك يديه أو لسانه ليمنع أحدا من هذا الأسلوب المهين الشائن ..

وسمعت من صديق أنه كان مع زوجته وابنته يعبرون الشارع .. فتعرضت لهم السيارة . وكادت تدوسهم . رغم أن الإشارة خضراء للمشاة .. ومن العجيب أن وجد الطلبة يصرخون بعبارات نابية جدا .. والذي أدهش الأب أكثر أن السائق يشاركهم هذا السلوك الغريب . وقد رأى السائق يضحك ويصفق بيديه .. ولما حاول الأب - وهذا طبعى - أن يلتقط رقم السيارة واسم المدرسة . فوجئ بأن السيارة توقفت فورا ونزل منها ثلاثة من الطلبة وحاولوا خطف الورقة والقلم من هذا الأب . لولا أن تدخل بعض المشاة .. وانطلقت السيارة .. وأصيب الأب بحالة من القرف واليأس أفقده الرغبة في أن يذهب شاكيا لأحد من المسؤولين !

فألى من يعينهم أمر الآداب العامة . والتربية والتعليم والجيل الجديد ومستقبل مصر وسمعة مصر أسوق هذه الشكوى مغفلة من الأسماء ، لأنها - مع الأسف - ظاهرة عامة !

آباء .. وأبناء

إنها قضية نوح عليه السلام وولده : (يا بني اركب معنا) . ولكن الابن لا يريد أن يركب مع أبيه .. لا يريد أن يكون أبوه هو سبب نجاته من الطوفان .. إنه يريد أن يسبح إلى جبل .. ويصعد الجبل . وبذلك ينجو من الطوفان .. دون مساعدة من أبيه .. أو دون أن يجد نفسه ممتنا لأبيه الذى أنجاه من الغرق ! مثل ذلك تجده فى كل أسرة يحاول الأب أن يساعد ابنه .. فإذا كان الأب طبيبا ، فإن الابن لا يريد أن يكون كذلك .. وإذا كان مهندسا أو تاجرا .. فالأب يحاول ولكن الابن يريد أن يقف على رجله وأن يكون شيئا مختلفا . المهم أن يختلف عن أبيه وبذلك يختلف معه .. ويكون له طريق فى الحياة . دون أن يستفيد من تجارب أبيه فى نفس الحياة ..

يحدث كثيرا أن يكون الأب أديبا كبيرا قد درس ورأى الدنيا وتعلم منها .. ويريد أن يقدم لابنه خلاصة تجاربه فى الحياة ، أب يريد أن يوفر على ابنه العذاب والشقاء . ويريد أن يهمس فى أذنه بسر النجاح مع الناس وضد الناس .. لعل ابنه أن يكون مثله . وإن كان كل أب يريد لابنه أن يكون أفضل وأنجح وأبقى منه .. ولكن الابن يرفض هذه اليد الممدودة . لماذا ؟ حتى لا يقال إن هذا الابن قد نجح

بسبب والده . وأنه لا يستحق هذا النجاح . ولكنه ابن فلان .. أليس هذا سببا كافيا ..

وكثير من الآباء يعرف هذه الحقيقة المؤلمة . ولا يفرض على ابنه أن يركب سفينة في فيضان الحياة . كما فعل نوح .. ويفرق الابن . أو لا ينجح . ولكن الأب يخس أنه قد فعل ما هو واجب . ونصحه . ولكن الابن لم يقبل النصيحة . واختار الموت بخيرته . على الحياة مع أبيه ..

إنني أعرف طبيبا كبيرا مشهورا . اختار لابنه الطب . ولكن الابن اختار الهندسة وتخرج . وشاءت المصادفة أن يعرف فتاة وأن يخيا وتردد في أن يتقدم للزواج منها . فأبوها طبيب . وخشى أن يقال إنها أحبتة بضغط من والدها .. أو بضغط من والده . وهو الآن يريد أن يقتلع قلبه بيده أو تقتلع قلبها بيدها . انتهى الحساسية التي تظلم الجميع .

هل هي مشكلة الآباء والأبناء . هل هي مشكلة المسافة التي تفصل بين الأجيال في الفهم وفي التجربة وفي الاستقلال وفي الحرية .. هل هي رغبة الآباء في أن يمدوا أعمارهم في أبنائهم ويوفروا عليهم أن يتعذبوا ويتعلموا ويعيشوا ؟ هل هؤلاء الآباء قد بالغوا في حبهم لأولادهم لدرجة أنهم باسم الحب قد هددوا حرياتهم ؟

قليل جدا من الأبناء الذين يفكرون بالعقل ويرون أنه من الممكن أن يكون الابن ممتازا مثل والده . دون أن يقال إنه ظل أبيه أو صداه .. وهذا العدد القليل من الأبناء هم أكثر حكمة وأقل حساسية وهذا القليل من الأبناء هم القادرون على إسعاد الأب والأم .. فلا يزال الأب يرى السعادة في أن تكون له صورة أخرى في ابنه أكثر شباهيا وأكثر لمعانا .. ولكن أكثر المشاهير أقل سعادة من ذلك .. لأن

أولادهم اختاروا طريقا آخر للحياة أو للنجاة أو للموت ودون امتنان لأحد ..
أو لأنهم بلا أولاد . لأن الموهبة لم يرثوها من أحد ، ولن يرثوها لأحد .. وهذا هو
الغن الذى يدفعه كل موهوب : أن يكون وحيدا وأن يكون بلا أولاد !

محاذير .. محاذير !

المنوعات المكتوبة في أماكن كثيرة لم تمنع الناس من أن يتجاهلوها ويفعلوا ما يحلو لهم . ولذلك نجد عشرات السيارات اصطفت إلى جوار : ممنوع الوقوف .. والناس عاجزون عن رؤية « ممنوع التدخين » بسبب سحب الدخان . والأوراق والأزهار تكدست إلى جوار لافتة مكتوب عليها : ممنوع قطف الزهور .. حتى أصبحت هذه اللافتة مثل شاهد على مقبرة أو على مذبحه !

والمفروض هو أن هذه اللافتات قد كتبت لتذكر الناس بما هو متفق عليه عندما جميعا : أن هناك أشياء كثيرة ممنوعة . وأنها يجب أن نطيع هذا التحذير . فقد تعلمنا في بيوتنا وفي مدارسنا ألا نلقى ورقة على الأرض . وألا نضرب قطا أوكلبا وألا نقضى على حياة وردة أو زهرة وأن نقف عند إشارة المرور .. وأن احترام إشارات المرور هذه فيها : الاحترام والنظام .. واحترام النظام ، والطاعة والصالح العام .. وصالح الإنسان نفسه .. وأنها أمام القانون جميعا سواء ويجب أن نحرص على ذلك .. وأن يكون رجال المرور أكثر الناس حامية لنظام المرور - على عكس ما نرى أحيانا - ويتساءل الناس : إذا كان رجال المرور لا يحترمون القوانين التي يضعونها ، فكيف يحترمها ويحترمهم الناس ؟

ولكن لماذا لا يمتنع الناس عن الشئ الممنوع والعمل الممنوع ؟ لأن الناس ليسوا جميعاً على درجة واحدة من احترام النظام . أو احترام القانون . لأننا لم نغرس في أعماقهم هذا الشعور بالآخرين وبالمجتمع . ولأننا لم نضع في عقولهم عساكر مرور وإشارات حمراء وخضراء . ولم نضع أسواراً شائكة في أعماقهم تمنعهم من ارتكاب ما هو خطأ .. وما هو أناني .

إن الفيلسوف الإغريق سقراط كان يقول : إن تعليم الطفل هو أن نذكره بما يعرفه ..

أى أنه مفروض أن الإنسان يعرف كل شئ . وأن هذه المعرفة في أعماقه . وكل ما يفعله المدرس هو أن يكشف الغطاء عن آبار المعرفة .. فإذا هي تفيض في كل اتجاه .. فهل نحن علمنا الطفل شيئاً ؟ نحن لم نعلمه ، وإنما نحن ذكرناه بما كان يعرفه ..

أو بما هو مفروض أن يعرفه من أبويه ومدرسيه : بأن هذا صح وهذا غلط . هذا حلال وهذا حرام .. هذا صالحك الخاص وهذا هو الصالح العام . هذا نظام ، وهذه فوضى .

وكان الفنان الإيطالي ميكولونجلو يقول عندما يفرغ من صنع تمثال : إنني لم أصنعه .. وإنما هو كان مدفوناً في الصخر . وأنا كشفت عن وجهه وبقية جسمه هذه الطبقات الصماء من مادة الحجر .. كان نائماً وأيقظته .. كان ناسياً أنه حي ، فذكرته بذلك ! .

مفروض أن تكون هذه الممنوعات موجودة عندنا جميعاً . وأن نتعاون على غرسها في عقول الأطفال .. ونتركها هناك عميقة مستقرة . ومن حين إلى حين نقوم بتذكير الجميع بما يعرفونه من أصول وخروج على الأصول .. فإذا خرج واحد منا على الأصول فلا بد أن نعاقبه على ذلك . فالقانون لا يكفي أن نعلمه وأن ندعوله وأن

نبيه الناس إلى صدوره . ولكن يجب أن يكتمل صدور القانون بالدفاع على وجوده واستمراره وبقائه على رقاب العباد ، وبقاء العباد سواسية أمامه .. وبذلك يصبح القانون حقا وقوة . مانعا منيعا .. ولكن إذا صدر القانون وكأنه ما صدر ، وإذا ارتفعت الحواجز وكانت من القش ، ووضعنا علامات المرور فكانت لا تقضى ، وحشدنا حول العلامات رجالا نائمين ، فلا قانون ولا احترام لقانون ولا مجتمع ولا داعى لأن يكون كلام .. لأنه كلام مثل هذه القوانين : لا هى حق للناس ولا هى قوة تحمى الناس من الناس !

موقع الطفل بين والديه .. مشكلة

أنت لا تعرف مدى خطورة هذه المداعبة لطفل صغير : من الذى نجبه أكثر بابا أو ماما ؟

إن هناك مشاكل عائلية عنيفة بين الأب والأم بسبب أن أحدهما يجعل الأطفال الصغار أو الكبار يحبونه هو ويكرهون الآخر .. فالأم تشخط وتخانق وعنق ، والأب يعطى سرا .. ولذلك يتجه الأطفال إلى الأب بعيدا عن الأم ثم إن الأم تعاشر الأطفال معظم الوقت . وهى دائما فى حالة غضب .. وبذلك تلعب الأم دور البعج الذى يخيف ، ويحىء الأب يلعب دور حامية السلام ! ذهبت سيدة ألمانية إلى أحد الأطباء النفسيين ، وقد انهارت أعصابها وشحب وجهها . وسألها الطبيب : ماذا حدث ؟ هل عاد زوجك إلى إدمان الخمر والتهجم عليك ليلا وعلى مسمع من الناس ؟

وكان رد السيدة : لم يعد هذا شيئا هاما . وإنما المهم هو أن طفلنا الوحيد يظل ساهرا فى الفراش حتى يعود أبوه . فإذا جاء أبوه راح يشكونى إليه .. وتبدأ مأساتنا كل ليلة .

وفى جلسة أخرى أمام الطبيب النفسى قالت السيدة : المصيبة أن الطفل

لا يريد أن يذهب إلى زوضة الأطفال .. إنه يكره جميع المدرسات ويرى أنني أسوأ من جميع المدرسات .. أو أن البيت هو المدرسة والمدرسة هي البيت .. وأن هذا هو الجحيم !

وسكنت السيدة . ولكنها لم تدر أنها ساعدت على ميلاد نظرية جديدة في تربية الأطفال ، وعلى تغيير في التعليم في رياض الأطفال في مدينة برلين بألمانيا الغربية .. فقد قام هذا الطبيب بدراسة واسعة على كل رياض الأطفال . ولاحظ أن نسبة الاضطرابات العصبية في الأطفال عالية . وأن عددا من الأطفال يفضل أن ينام في الفصل ولا ينام في البيت .. أو العكس .. أما السبب الذي اهتمدى إليه هذا الطبيب وآخرون معه هو : يجب أن يكون هناك مدرسون ، لا مدرسات فقط ، في رياض الأطفال .

فقد ظل التدريس في رياض الأطفال في العالم كله ومن عشرات السنين . مقصورا على المدرسات . فقد ثبت بالتجربة أنهم أقدر على تعليم الطفل . وأقدر على احتياله . فالأمومة غريزة عند المرأة . والمرأة أم منذ طفولتها . فهي ترضع « لعبتها » الصغيرة . وهي تختار العروسة إذا قدمتها مع حصان أو دبابة أو مدفع - بل إن عزرائيل لو جلس على حجر المرأة لأرضعته ، إنها أم لكل طفل وكل رجل وكل عفريت !

ولاحظ هذا الطبيب أن المدرسات يرددن بأساليب أشد وأعنف كل ما تقوله الأمهات في البيت .. ولذلك أدخلوا عددا من الرجال في رياض الأطفال . ولاحظوا تغييرا في هذه المدارس ، لأن المدرس أسلوبه مختلف ، ولاحظوا أن المدرس ألطف وأرق . ثم إنه ليس قاسيا كالأم أو كالمدرسة . وتقول الأرقام إن عدد الحالات العصبية قد نقصت وأن عدد المقبلين على

المدرسة قد زاد .. وأن مشكلة أخرى لم تكن في الحساب قد انحلت أو في الطريق
إلى الحل : شكوى المدرسات من ثقل دم المدرسات والعمل معهن وضدهن ليلا
ونهارا وحتى الموت ! .

من جديد .. الحياة فى القناة ؟

صبحية مباركة يا أهل القناة !

لقد عاد إليكم كل شىء .. عادت إليكم القناة والبحر الأبيض والأحمر .. وجاءت إليكم سفن من كل أركان الدنيا .. الوجوه ضاحكة .. والأيدى مرفوعة .. والبسمة على كل الوجوه .. والخير يخرج من الماء وينزل من السفن .. وعاد إليكم أصدقاؤكم القدامى .. إنها قطيعة استغرقت ثمانى سنوات طوالا عراضا .. مضت عليكم وعلينا كأنها ثمانية قرون .. فإن أيام التعاسة أطول من سنوات السعادة .. كان الموت يتربص تحت الماء .. وكان الموت فى كل شكل ولون وكان مصنوعا فى أمريكا ومعدلا فى إسرائيل .. وكان الدمار يكن وراء الرمال وكانت له خراطيم من الصلب وأنياب وأظافر وعيون إلكترونية .. وكانت لجهم ملاجئ من الأسمنت المسلح مكيفة الهواء يجلس فيها العدو ويديرها جحما على سكان السويس .. وهدموا السويس .. ولكنهم لم يهدموا أهلها .. كما أنهم لم يحففوا قناة السويس .. ولا ردموها كما كانوا يحملون ..

ولم يشعر الناس فى القناة أنهم كانوا يعيشون على ضفاف الدنيا إلا عندما توقفت الحياة .. هنا فقط تشردوا فى كل المدن .. وتزاحموا فى كل بيت .. وتكوم

أطفالهم على أبواب المدارس . و نساؤهم على المكاتب يطلبن المعونة والإعانة والإعاشة .. وعرف أهل القناة معنى أن يكون الإنسان مهاجرا عن بلده وفي بلده أن يكون غريبا في القاهرة أو يكون أجنبيا منبوذا في كثير من المدن .. وكيف أن الوجوه البرونزية تحولت إلى صفراء شاحبة .. وأن النفس قد انكسرت وأن العقل قد ذبل ، وأن الأمل قد تبخر .. كل ذلك وأقصى قد عرفه مئات الألوف من أهل القناة . وكفروا بالمستقبل وبكل من يقدم لهم الصير طعاما وشرابا وكساء وأسلوبا في الحياة .. وهم معذورون . فالجوع كافر بكل مبدأ وكل قيمة وكل أمل . وقد عرفوا الجوع لأن البحر قد انسد . ولأن القناة قد أصبحت ترعة خالية من السمك - ومن الذى يمرؤ على أن يلقى فيها بسنارة فتخرج بلغم يربحه من الأكل في حياة أفضل !

ولكن البيوت قامت على أنقاض البيوت الأجرى .. ونهضت العمارات في الأرض الخراب .. وسوف تظهر ناطحات سحاب في بورسعيد والسويس .. وليس هذا حلما ولا تحريفا ولا حشيشا .. ولكن البحر إذا انفتح والسفن إذا جاءت والفلوس إذا تكدست ، واشتغلت الأيدي والعقول ، فإن الرخاء على أبواب الجميع .. ومن مظاهر الرخاء أن يعمل الناس ليلا ونهارا سعداء بالمكسب . وأن تكون لهم بيوت أنظف ، وبنوك أكبر ، وأندية أفخم وشوارع ألمع .. وأن يحرص الناس على مدينتهم وأن يعلوا من عماراتها ، وأن يستدرجوا الملايين إليها .. ملايين العملات وملايين الناس ..

لقد ذهبت عنكم يا أهل القناة أيام المر ، وجاءت شهور العسل !

للأسف وقتنا بلا قيمة !

ما الذى لا نحترمه : الناس أو الوقت ؟

فإذا قلت لصديق أنك سوف تلقاه فى الساعة السابعة . فجاءت السابعة ولم يذهب ولم يعتذر . أو أنك ذهبت فى الثامنة واندھشت جدا كيف أنك لم تجده فى انتظارك فما الذى سقط من اعتبارك أو من احترامك ؟ أهو الإنسان أهو الزمن أم هو أنت نفسك الذى سقطت من عيون الآخرين ؟

إننا نقول لبعضنا البعض : انتظرنى فى الساعة وسوف أمر عليك فى الثامنة ، فإذا لم أحضر فى التاسعة كان معنى ذلك أننى لن أحضر !!
هلوسة ؟ نعم هلوسة وقلة ذوق وسوء تقدير وعدم احترام للآخرين . فإذا كانت هذه ظاهرة عامة فما معناها ؟

المعنى سئ جداً وهو أننا أناس لا نحترم أحدا ولا أنفسنا . وأن الذى ينقصنا كثير جدا لنعرف قيم الأشياء والأشخاص والعلاقات العامة والنظام والقواعد والقوانين والأصول .. ثم إننا لا نعرف ما الذى نستطيع أن نصنعه إذا كان عندنا وقت وإذا كانت هناك علاقات إنسانية ؟

وفى حياتنا اليومية عشرات الأمثلة لذلك .. وعشرات الأمثلة من الدهشة إذا

صادفنا واحدا من المصريين عاش في الخارج . ورأينا حرصه على الوقت .. وعلى دقة المواعيد .. وانزعاجه إذا وجد نفسه ملطوعا بالباب دون أن يسأله أحد أو يعتذر له .. ولذلك فدهشة العالم كله لا تنتهى اليوم أو غدا أو بعد ١٥٠ يوما - كما تقول شركة الطيران المصرية - عندما تتأخر الطائرات المصرية بالساعات دون عذر واضح . وأنا أذكر أيضا أن إحدى طائرات مصر المتجهة إلى طوكيو يوم ٢٢ يونيو ظلت واقفة في مطار القاهرة ساعتين ولا أحد يقول لك السبب .. وكل محاولة لإشغال الراكب عن الانتظار الطويل فاشلة .. الموسيقى التى تذيعها الطائرة كلها حشرات .. إلخ .

ولا أريد أن أضرب أمثلة من أوروبا أو من أمريكا لاحترام الناس ووقت الناس ومشاكل الناس وهمومهم وقلقهم .. وإنما أذكر أننى سافرت بالقطار من مدينة سيول عاصمة كوريا الجنوبية إلى مدينة بوزان : المسافة طويلة . ولكن القطارات مريحة .. وأكثر ما يريح الراكب أن المذيع يعلن عن المسافة وعن المحطات .. وأهم من ذلك يعتذر للركاب عن أن القطار سوف يتأخر ست دقائق عن الوصول . وسبب ذلك أن هناك أنفاقا يجرى بناؤها .. وأكثر من ذلك يقول المذيع : إنه عندما تقترب من هذه الأنفاق سوف أنبه السادة الركاب لكي يروها .. كأنه يريد أن يؤكد لهم صدق ما يقول وكأن الدقائق الست ساعات ست أو أيام ستة وأنها غلطة فظيعة لا يمكن أن نمر دون الاعتذار عنها !! أسفى علينا لا ينتهى !

قالوا :

- حياتهم عادية : أطفال وملل !
- لا عمل بلا نحل : لا حب بلا غيرة !
- الفضيلة أرخص من الرذيلة : فلسفة شارع الهرم !

لايكفى أن تحب .. ولكن يجب أن تفعل شيئاً !

العاشق يرى حبيبته فى كل مكان جميل .. ويرى كل شىء جميلاً على كتفيه وعلى صدره . ويتمنى له أجمل ما فى الحياة .

كذلك وقف رفاعة رافع الطهطاوى فى أحد شوارع باريس مذهولاً . لقد رأى شيئاً عجبياً . وتحيل مصر وشوارع مصر وأصل مصر .. لقد رأى رفاعة الطهطاوى « عربة رش » . وهذه العربة تلقى بالماء على الأرض ، فيسكن التراب وتنخفض درجة الحرارة . وهى تؤدى هذا العمل الباهر فى ساعات .. ثم التفت إلى مصر التى يرشون شوارع عاصمتها بالجرادل . ويستغرق هذا العمل يوماً كاملاً مرهقاً لعشرات من الرجال . ويقول رفاعة الطهطاوى إنه توضأً وصلى . وفى صلاته طلب من الله « أن يقيض للكنانة مثل هذا الاختراع اللطيف » . وكان ذلك منذ أكثر من مائة عام !

وتبدلت الشوارع .. فاختنق منها التراب . وظهرت الحجارة والظلط والرمل .. ثم ظهر الأسفلت . وبذلك لم يعد هناك تراب ولم يعد هناك مطبات . ولم يعد أحد إذا مشى انكفاً ، أو إذا جرى انكسر - أو مفروض أن يحدث ذلك كله أو شىء من ذلك !

وظهرت سيارات تحمل فئطاسا من الماء . والماء يتزل كما تنزل الكنافة على الصينية على شكل خيوط قوية متدفقة لتهدئة التراب وتخفيض درجة الحرارة حتى لا يذوب الأسفلت تحت الشمس .

وتذكرت الطالب الطيب رفاة الطهطاوى فى شارع الجيزة .. فقد ظهرت سيارة رش .. ولكن المنظر كان مضحكا ومجزنا حقا . فالماء يتزل من أحد جوانبها . ولكن كيف يتزل وكيف يتحول إلى خيوط الكنافة على الأرض ! . لقد جلس رجل وقد وضع أصابعه على أنبوبة الماء .. ومن بين أصابعه يخرج الماء متدفقا . وأحيانا يضع أصابع يده اليمنى .. وأحيانا اليسرى .. أو يضع أصابع رجله .. فإذا مرت بالقرب منه سيارة هدد برفع يده عن الأنبوبة فيندفع الماء ويفرق السيارة . والعربة تملكها الدولة . وحضرته موظف فى الدولة . ولا يمكن لهذه السيارة أن تخرج من الجراج إلا ومعها هذا الخبير فى رش الماء ، أو تحويل الأنبوبة إلى رشاشة !

والذى يضحكك هو أنه استحال على الجراج الذى خرجت منه السيارة وعلى المهندسين وعلى مؤسسة المياه أن تجد غطاء من الصفيح كالذى تجده فى « دش الحمام » أو فى « كوز الكنافة » ، لترش به شوارع الجيزة أو المحافظات الأخرى - بعد مائة سنة وزيادة لا نستطيع أن نفعل شيئا تافها ابتدعه الفرنسيون ! .

نحن جميعا .. نستحق الرحمة

دمعت عيني على قليل من الناس ولأسباب مختلفة . عندما مات الأستاذ الكبير العقاد بكيت واستدركت ما فاتني من البكاء على والدي .. وأحسست أن والدي كان قد مات ولكنه دفن مع العقاد . بكيت في العقاد الأب والأستاذ والقيمة الإنسانية وكرامة المفكر وعظمة العقل ونفاذه .. وأشياء أخرى لم أجدها في ذلك الوقت وعندما توفي كامل الشناوى لم أبلك على أعز الأصدقاء . وإنما أحسست أن الموت يستحق الامتنان ، فقد أراح كامل الشناوى من أشياء كثيرة وأنه حقق لنا جميعاً أمنية عالية : وهى شفاء كامل الشناوى من أوجاع وهموم كامل الشناوى !

ولا أعرف لماذا بكيت على « ميمى ملكة الغجر » فى إيطاليا .. مع أننى رأيتها مرة واحدة . ولا تربطنى بها أية صلة من أى نوع . ووقفت فى الطابور الطويل ألقى آخر نظرة على جثمانها . والناس ورائى وأمامى كلهم غجر . وكان بينى وبينهم ملامح . فهم بيض الوجوه سود الشعر . وكنت فى ذلك الوقت أومن برأى كتيته كثيرا « إن المفكرين هم مثل الغجر » يعيشون وحدهم على حافة المدن وحافة الحياة الاجتماعية . وأنهم فى عزلة نبيلة كأن المجتمع نبذهم وطردهم وحسبهم فى أبراجهم العاجية العالية .. مع أن أحدا لم يفعل ذلك وإنما هم الذين فعلوا ذلك

بأختيارهم اختاروا العقل ، فأبعدهم العقل عن الناس ..

وكتبت دراسات طويلة وقصصا كلها ذات موضوع واحد : إننا نحن أولاد الفجر .. وإننى عشت طفولة عجزية خائفة ولا ذنب لى فى ذلك ، مرتعدة ولا يد لى فى ذلك .. ولكن شامت الظروف أن أعيش فى خيمة الخوف . وفى مهب القلق طول عمرى فلما ماتت ملكة الفجر ، أحسست أننى واحد من رعاياها . وأن الملكة هى العقدة التى تربط خيوط الفجر فى كل مكان !

ولما ماتت مارلين مونرو حزنت عليها كثيرا ولم أكن قد رأيتها فى حياتى إلا مرة واحدة ولدقيقة واحدة ولم أسمع منها إلا كلمة واحدة أو كلمتين : هالو .. يا أنت ! . والذى أوجعنى بموتها أنها جميلة طيبة . وأن جمالها جنانية عليها . فقد أحاطها بالذئاب والكلاب من أصحاب الأموال والمنتجين والمخرجين والممثلين والسماسرة . وأنها لحم أشقر يباع ويشترى .. لا تأكل إلا بإذن ولا تنام إلا بإذن .. فى ساعات محددة حتى لا يزيد وزنها ولا تتكرمش بشرتها .. حتى إذا أرادت أن تتكلم كتبوا لها الكلام . لأن الكلام ليس صناعتها .. وإنما عرض الكلام هو صنعتها .. وكانوا يوقظونها من أحلى نومة لكى تعمل .. ويسحبونها من أحلى جلسة لكى ترد على التليفون .. وبعد ذلك يعالجونها عند كل الأطباء .. لأن « الفتنة المثيرة الفنية » - أى مارلين مونرو - يجب أن تبقى الينبوع الدائم للإثارة فى كل الدنيا فأمرىكا قد أنجبت شيئين اثنين : مارلين مونرو والكوكاكولا !

ولما انتحرت كتبت عنها كثيرا . وأحسنت أنها مثل النور تموت فوق قمم الجبال .. وأن القمم ضيقة وأن القمم باردة .. وأنها تموت فى برودة وضيق - فن الذى لا يبكى عليها !

ولما قالت لنا نادية لطفى إن يوسف وهبى قد مات فزعت . فزعت لأن هذه القيمة الأدبية الكبرى قد ماتت فجأة . مع أن الموت على رقاب الممثلين

والمتفرجين .. ولكن لأن نادية لطفى ترتبط فى ذهنى بأديبة أخرى كان من الممكن
أن تكون شيئا باهرا. كانت صديقة لنا نحن الاثنين . إنها المرحومة عنايات الزيات
يرحمها الله .. فثأرنى النبأ . ولا أعرف إن كنت قد بكيت على عنايات الزيات
صديقة نادية لطفى أو على يوسف وهبى الذى تعجلت هى نشر نعيه .. كلاهما ..
كلنا .. يستحق الرحمة حيا وميتا !

محمود تيمور .. رائدا !

يرحمه الله الأستاذ الكبير محمود تيمور ، فقد كان يتعجل هذا اليوم الذى توفى فيه . ففي كل عام كان يكتب تاريخ حياته . وأهم أعماله الأدبية . والقضايا الأدبية التى أثارها وموقفه منها . ورأى المؤرخين والنقاد فيه ، ثم يسرد أهم أعماله الأدبية التى ترجمت إلى اللغات العالمية .

وهذا يدل على أنه رجل دقيق . وفى نفس الوقت رجل لا يحسن الظن كثيرا بالنقاد . فهو يعلم أن الكثيرين منهم لا يقرأون ولا يتابعون كل الأعمال الأدبية ، ولا يتابعون نشاطه هو بصفة خاصة . ثم هو فى نفس الوقت لا يأمن أعلامهم ولا يعتمد على ذاكرة أحد .

ومعنى ذلك أيضا أن الموت قد عايشه ، ويستظره بين لحظة وأخرى . ولذلك لم يكن مفاجأة له أنه مات . فقد قاوم الموت بانتظاره ، وقاوم النسيان وسوء التقدير بهذه الترجمة الذاتية التى يوزعها على من يطلبها ومن لا يطلبها من الأدباء والنقاد .. أولعل محمود تيمور أراد أن يكتب نعيه هو أيضا وبذلك يوفر على الناس مجاملتهم له ، حيا وميتا ..

وكان الكاتب الكبير محمود تيمور منظما جدا فى عمله . ودقيقا فى مواعيده .

ومجاملًا . ورقيقًا . وإذا كان جسمه قد ضعف . فإن عقله وذكائه ووجدانه كانت كلها على أشدها . والذي يقرأ مقالاته الأخيرة عن الأدباء والشكل الأدبي لهذه المقالات وهو يقارن بينهم اثنين اثنين . يجد أن الرجل كان في غاية الذكاء والبراعة . وكنت أداعبه وأقول إنه في غاية الخبث أيضا . وكان يضحك رحمه الله ويقول : فعلا أنا رجل خبيث !

وقد حاول محمود تيمور في كل حياته أن يقف إلى جوار اللغة العربية الفصحى . وأن يكون مادة للفكاهة . وأن تنسب إليه تعبيرات لم يقلها . وترجمات لا يعرف عنها شيئا . وقد داعبته مرة ونسبت إليه ترجمة كلمة كافيريا . فقلت إن تيمور قد اختار له كلمة : قهو شيأ أى مكان القهوة والشاي معا . وكان يضحك ويقول : الكلمة لا بأس بها ، ولكنى لم أقلها !

وكنت أداعبه وأقول له : إن التيمورية أشهر منك !

وكان يتساءل في بساطة وصفاء : كيف ؟

فأقول له : لا أقصد عائشة التيمورية .. وإنما المانجو التيمورية !

كان تيمور من رواد القصة والرواية والمسرحية والنقد الأدبي .. وكان أسبقنا جميعا إلى كتابة نعيه وسجل أعماله الأدبية الباقية في لغتنا وفي اللغات الأخرى !

حكمة تنظيم الوقت

يروى طبيب تشرشل د. موران أن الزعيم البريطاني كان عنده وقت لكل شيء . ويشرح ذلك بأن يقول : كان يجد الوقت للقراءة . والكتابة . وإملاء الرسائل والنوم والشرب والضحك والبحث عن النكت . يقول د. موران : إن تشرشل حاول في أحد المؤتمرات العالمية أن يخفف من حدة المناقشات فقال إنه أمضى نصف ساعة يناقش في ضربة الجزاء التي تفوق بها أحد الأندية الرياضية في أسكتلندا !

ويبدو أن ستالين لم يفهم ما قاله تشرشل . وأن روزفلت لم يستطع أن يتبع ما يقوله تشرشل . ولكن تشرشل قال لها : من أجل هذا كان من الواجب أن أجد أحدا يتحدثني عن كرة القدم .. حتى لا أبدو كثيبا حزينا كأنني أمشي في جنازة الإنسانية كلها .. مع أننا هنا نحاول إنقاذ الإنسان من عدوه الإنسان ! وكان تشرشل أيضا يرسم لوحات فنية وقد أهدى هذه اللوحات إلى كثير من قواد الحرب العالمية الثانية مثل أيزنهاور ومونتجمري . وقد أصدر تشرشل كتابا بعنوان « الرسم ملء الفراغ » .

وقال تشرشل إن الإنسان عندما يستبد به التوتر الشديد لا يجد أمامه إلا أن

يلعب بأصابع البيانو . أو يلعب بأصابعه هو على إحدى اللوحات .. أو يمسك قلما ويشعر أن القلم في يده مثل « مانعات الصواعق » التي توضع في أعلى العمارات أو الطائرات .. إن القلم يمتص هذه الشحنة ويفرغها بعيدا عن عقله وقلبه .. وعن الناس الذين حوله ! .

وكل إنسان لا يختلف كثيرا عن تشرشل . فلا أحد بلا هم ولا غم . ولا أحد يتطلع إلى السماء يطلب من الله راحة اليوم والغد . ولذلك عندما تشتد أزمات الإنسان - والشعوب أيضا - يجب أن يفتش عن شيء يريحه .. يريح يده التي التفت حول القلم .. أو التي التفت حول الدركسيون في السيارة أو الطائرة أو الباخرة أو التي التفت حول السلاح .. فإذا كان التعب هو طعام كل يوم .. فالراحة هي الساعة أو الساعات التي نجيء بعد الأكل .. أو عند النوم . وكما أن الإرهاق ينشر السموم في الجسم والفكر فإن الراحة تمتص هذه السموم .

وإذا كنا ننادى كل الناس أن يعملوا وأن يشدوا أعوادهم ويرفعوا رموسهم وسلاحهم وفتوسهم وأقلامهم وأعلامهم ، فمن الواجب أن نشجع الناس على الراحة من التعب . لكي نستأنف التعب من جديد .. والتعب المستمر ، هو تعطيل مستمر .. أو هو إنتاج أقل .. وكما أن العمل واجب . فالراحة من العمل ضرورة .. وإذا كنا في حالة حرب ، فنحن أيضا في حالة عمل . وما دمنا نعمل فلا بد أن نريح وأن نستريح .. ولذلك يجب أن يذهب الناس إلى السينما وإلى المسرح وإلى الأندية وإلى الملاعب .. وإلا استسلمنا للتعب الذي يقعد بنا عن العمل الإيجابي المفيد ..

والذي لا يعرف لعمله إجازة ، لا يعرف العمل .. وإنما يعرف الإرهاق في العمل .. يعرف الملل من العمل والقرف من الحياة .. والذي لا يعرف إلا الإجازة

لا يعرف معنى الحياة .. وإذا كان يقال إن الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في السابع . فليس معنى ذلك أن الله في حاجة إلى راحة - حاشا لله - ولكن هي دعوة لأن نعمل ونستريح من العمل لكي نستأنف العمل حتى نهاية الحياة !

نحن أولاد الفجر

وأنا صغير كنت أرى عددًا من الناس ، نساءً وأطفالاً ورجالاً يعيشون في أطراف مدينة المنصورة . . إنهم أناس مثلنا . ولكن لسبب لأعرفه كان الناس ينظرون إليهم بشيء من الخوف والاحتقار ، ولم أجد سببًا لذلك إلا أنهم يعيشون في خيام . والخيام قد امتلأت بهم وبحيواناتهم وطيورهم . ولم أجد في ذلك شيئًا غريبًا .

وعندما اقتربت من أحد الأطفال وجدته مثلي تمامًا . يريد أن يلعب . وقد لعبنا . وجاءت أمه وطلبت إليه أن يكف عن اللعب وأن يهتم بالماعز والطيور وإلا . . وقبل أن يرد عليها الطفل كانت قد صفعته على وجهه . ونظرت ناحيتي بقسوة شديدة . وكان لابد أن أترك المكان .

ولم أجد في ذلك شيئًا عجيبًا . فقد عرفت الضرب والصفع والركل من والدي ، ولأسباب من هذا النوع وربما لأسباب أضع كثيرًا .

وفي يوم أتيت معي بطعام وظللت واقفًا بالقرب من هذه الخيام وكان في نيتي أن أقدم هذا الطعام إلى صديقي « حسان » . . إنه أحد الأطفال . أجدّه لطيفًا وأجده حريصًا على أن أجلس معه وأن تلعب معًا . وكان يتحدثني عن الذي تفعله

أمه بأبيه .. قال إنها تضربه كثيراً . وقد أدهشني ذلك . فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها أن أمًا تضرب أبًا ..

ولم يظهر « حسان » . وألقيت بالطعام إلى الكلاب . وعدت إلى البيت حزينا . وسمعت والدتي وصديقات لها يتحدثن عن هؤلاء الناس .. هؤلاء الغجر . وكيف أنهم يسرقون الملابس والطعام والطيور وأى شيء . ثم يحملون خيامهم ليلا . ويذهبون إلى مكان آخر .. فهم لصوص متجولون . وسمعت أن أحدا لا يعرف من أين جاءوا أو إلى أين ذهبوا . إنهم هكذا يعيشون على الحدود .. على حدود المدن .. وعلى حافة المجتمع .. وعلى المسافة الضيقة بين القانون والخروج عليه .. هل لأنهم غجر هم لصوص ؟ أو هل لأنهم لصوص قرروا أن يكونوا غجرا .. أى أن يكونوا مجموعة من الناس تعيش معا وتهرب معا ، ولاتبقى في مكان واحد . حتى لا ينكشف أمرها ، ويعاقبها الناس ..

ولم أشعر لحظة واحدة بالضيق من هؤلاء الناس .. أو بهذا الاحتقار لهم . إنني لأوافق على أنهم يسرقون ولكن أجد في أعماقي عذرا جاهزا لهذه السرقات فأقول لا بد أنهم محتاجون إلى الطعام ولو أعطاهم الناس ماسرقوا ، ولو كانت لهم بيوت ماسرقوا .. ثم إنهم ليسوا اللصوص الوحيديين . فالذين لهم بيوت يسرقون والذين يملكون الكثير يسرقون أيضا إنني لأنسى فزعى يوم رأيت البوليس يلقي القبض على أحد أقاربي وكان ابن العمدة . أما تهمة فإنه قد ساعد عددا من الفلاحين على سرقة جواميس وأبقار ! وسمعت وأنا صغير أن العمدة كان غنيا وأن هذا هو ابنه الوحيد !!

وفي أول رحلة لي إلى أوربا سنة ١٩٥٠ قرأت في الصحف الإيطالية أن ملكة الغجر قد ماتت ولم أفكر فيمن تكون . ولا معنى أن للغجر ملكة . ولكن ركبت القطار وذهبت إلى حيث بيتها وجنازتها ووقفت في طابور المعزين . ونزلت الدموع

من عيني . ووجدت من يسألني : من أى البلاد أنت ؟ فقلت : من مصر .
أى من غجر مصر !

ولأعرف إن كان الرجل قد أدهشه ذلك . ولكن كنت قد استسلمت
لإحساس غريب فى أعماق . إنهم غجر . وهم لذلك يثيرون العطف والحزن .
لماذا لم أفكر كثيراً فى ذلك ؟

واتجهت أدرس حياة الغجر . تلك الجماعات الضالة فى أوروبا شرقاً وغرباً .
ووجدت أن الأغلبية العظمى من الغجر يعيشون فى بولندا ورومانيا . . وأن عدداً
كبيراً منهم يعيشون فى أسبانيا .

ولأنسى كيف اهتزت أعماق يوم رأيت فيلم « غراميات كارمن » بطولة
ريتا هيوارث وجلين فورد . والقصة من تأليف الأديب الفرنسى ميرييه .
ولأعرف كم عدد المرات التى رأيت فيها أوبرا « كارمن » ولأعرف لماذا دمعت
عيناي أكثر من مرة . . إن كارمن غجرية جميلة وعندها شجاعة وشخصية وجراة
واعتراز بنفسها . ورغم أنها لاتقف على أرض ولا تربطها أسرة طويلة عريضة
وتشدها حضارة غربية أو شرقية . فإن ينبوع قوتها يتفجر من أعماقها . وهذا ينبوع
يتدفق قوة وجمالاً وجلالاً . . وهى عندما تقف وحدها فإنها مثل مليون امرأة قد
تحولت جميعاً إلى خلايا حية فى جسم امرأة واحدة تكاملت محاسنها ، وتعاضمت
مفاتها - هكذا رأيتها .

وكتبت كثيراً جداً عن هذا الفيلم وكيف أن عبارة واحدة قالها بطل هذا الفيلم
قد غيرت مجرى حياتي . وجعلتني أتحوّل من مدرس فى الجامعة إلى أديب فقط
وحريص على أن أظل كذلك . أما العبارة فهى أن الإنسان ليس دائماً ما يفعله .
أى أن الإنسان لا يمكن أن نحكم عليه بما يفعله لأنه من الممكن أن يكون قاتلاً
وهو مضطر إلى ذلك . ويكون لصاً وهو مرغم على ذلك . وكان البطل يفعل

بالضبط مايفعله الفجر . مع أنه ليس عجريًا . ومن الممكن أن يفعل الإنسان أى شىء ، وهو فى أعماقه شىء آخر . ووجدت هذه العبارة تنطبق على حياتى بعد أن تخرجت فى الجامعة . فقد انجهدت إلى التدريس . ولكننى لأحب ذلك . وانجهدت إلى الطريق الأكاديمى الجاف القاسى . ولكننى لأحب ذلك ولاأقدر على هذا الاختناق المنظم العظيم الاحترام .

ولما رأيت هذا الفيلم للمرة الثانية أى بعد ثلاثين عاما لم أجد هذه العبارة التى زلزلت وجودى . لم أجد المعنى الذى يشير إليها ! إذن فهذه العبارة قد خرجت من أعماق لأنها أعماق . وجاء هذا الفيلم تفسيرًا جميلا أنيقًا لها .. واكتشفت أنى واحد من أبناء الفجر

فقد تنقلت طويلا فى الريف المصرى .. كان والدى يعمل فى أماكن كثيرة . ونحن وراءه نجري ونلاحقه ، وتندحرج على الريف المصرى ولانثبث على أرض . ولانثبث لنا علاقات اجتماعية : الأصدقاء والأقارب والجيران .. فكأننا نقيم فى خيام على أطراف المدن . ولأسباب ليست واضحة نضع خيامنا . ولأسباب ليست واضحة نفك خيامنا ونحملها .. ثم نمضى إلى مكان آخر ..

وعرفت طفولتى الخوف معنى « المسافة » فأنا على مسافة من الناس ، وأنا فى حالة من الخوف . من الذى جعل هذه المسافة بعيدة . لأعرف ، من الذى وماالذى أخافنى ؟ لأعرف ، ولكن لم نشعر بالدفء .. ولم نشعر بالأنس .. لم نجد العشرة .. لم نعرف المودة .. ولاحرارة اللقاء ، ولاثقل الفراق .. لم نر الأيدى تمتد للسلام ، ولاعند الوداع .. فنحن نحىء ولايشعربنا أحد ، ونمشى ولايدرى بنا أحد ..

هل هناك يد تمتد خفية فتزرعنا فى أرض غريبة ثم تمتد مرة أخرى فتنتقلنا إلى أرض غريبة .. لم أشعر لحظة أنى نبات زرعه ثم اقتلموه .. وإنما كنت أشعر أنى

نبات ملقى دائماً بعيداً .. ثم أنقل من مكان وألقى فيه ، ثم إلى مكان آخر وألقى فيه .. وكان انتقالنا ليلاً لماذا ؟ لا أعرف .. وعرفت مع الليل المزيد من الخوف .. وقد كان بيتنا في أطراف القرى .. وقد رأيت الذئاب والثعالب تعتدى على طيورنا ليلاً . وأحياناً سمعت من أمى أن اللصوص أيضاً .. لقد كنت أحس أننى أتعس حلاً من أبناء الغجر .. فهم قادرون على السطو والسرقة والقتل . فالناس يخافونهم ، وهم لا يخافون الناس .. أما نحن فقد كنا وحدنا في أطراف القرى .. وحدنا في بيتنا . هان أمرنا على الناس وعلى الذئاب والكلاب .. ومهما أغلقنا الباب والشباك ، فنحن في خوف من أشياء كثيرة ..

لم نكن جماعة من الناس يشد بعضنا أزر بعض .. وإغما كنا وحدنا .. أسرة صغيرة قلقلة حائرة ، مصيرها ليس بيدها . وحياتها ليست من اختيارها ، بل لا اختيار لها . عذابها في أيدي الآخرين .. وإذا جاءها الليل ، زادها فرعاً .. وإذا انتقلت من الخوف الذى تعرفه ، فإلى الهول الذى لاتعرفه .

وعرفت النظر إلى الأشياء والناس من بعيد .. فكل شىء بعيد .. لأننى أقف وأجلس وأنا م بعيداً عن كل الناس .

وعندما كبرت وعندما استقر رأسى على كتفى ، ووجدت مأملاً به هذا الفراغ ، ووجدت ما يميزنى عن غيرى من الصغار .

عندما تفوقت فى الدراسة . وعندما حفظت القرآن الكريم ونظمت الشعر أحسست أننى أنتسب إلى فصيلة أخرى من الناس .. إلى طراز يعيش بعيداً . ومن الحير أن يكون كذلك لكى نرى أوضح ونسمع أصفى ، ونفكر أعمق وليس ذلك سجنًا انفراديًا ، ولكنها العزلة المقدسة .. عزلة الرهبان فى الأديرة والعلماء فى المعامل والزعامات فى القمم .. عزلة حيوان اللؤلؤ يفرز مادته الفضية وحده بعيداً عن بقية الكائنات البحرية .. وحدة دودة القز تفرز حريرها .. وحدة الجنين فى

بطن أمه .. وحدة يوسف فى البئر .. وحدة يونس فى بطن الحوت .. وحدة روبنسون كروزو فى جزيرته .. وحدة النبى فى الغار .. وحدة علماء المراصد يعلقون عيونهم بين النجوم .. وحدة رواد الفضاء .. وحدة الفنان عندما يبدع وهناك حكمة تقول : « إنه لا يقدر على العزلة الكاملة إلا إله أو حيوان .. ولما قرأها الشاعر الألمانى جيته أكملها هكذا : أوها معاً !

أى الإله الحيوان .. أى الإنسان .. العبقري الذى به قبس من الله .. وبه غرائز الحيوان أيضاً .

ويقول الفيلسوف الألمانى شوبنهاور : قل لى كم ساعة تجلسها مع نفسك ، أقل لك من أنت إن قلت يوماً فى كل يوم ، كنت إلهاً .. وإن قلت نصف يوم من كل يوم كنت عبقرياً .. وإن قلت لا يوم فى أى يوم فأنت حيوان !

قرأتها فقلت ياأنا !

فنحن أولاد العجبر .. نحن الذين تنتسب إلى نوعية أخرى من الناس . نعيش بعيداً لئلا نرى أقرب ونسمع أوضح . نحن سلالة نوح عليه السلام .. إنه بعد (آدم) - أبو البشرية كلها .. وهو الذى حمل فى سفينته بدايات الحياة كلها .. (من كل زوجين) اثنين كما يقول القرآن الكريم .. وكان سفينة نوح وسط الطوفان خلية معزولة عن الحياة .. ولكن من هذه الخلية المنعزلة راحت الدنيا تضح بالحياة .

وأعجبني فى أبناء العجبر أن الناس يبررون سلوكهم وشذوذهم . أليسوا عجراً ؟ أليسوا بلا جذور ؟ .. أليسوا بلا حدود وسدود ؟ . ولعلاقات عائلية أو قومية . كأن الناس يحقدون على حريتهم وتحررهم فراحوا يتهمونهم بكل أنواع العيوب وعرفت أن العجبر ليسوا هكذا أشراراً ، ولا الرهبان ولا العلماء ولا الفنانين ولكنه

حقد الناس على الذين ليسوا مثلهم ، غارقين مثلهم في قيود من صنعهم . . وفي عجزهم عن رفض هذه القيود . . ولذلك كان احتقارهم للعجز ، ليس إلا حقدًا عليهم . . ولكن لأن الناس ينجلون من الحقد على هذه النوعية من الناس فإنهم قد قبلوا الحقد عليهم والغيرة منهم احتقارًا لهم . . فكان هذا التزوير لمشاعرهم الحقيقية تحية عظيمة للعجز . . لأن الناس يخافون أن يصارحوهم بما يشعرون به . . ويوم قال لى أحد الأطفال في مدرسة السنبلالوين الابتدائية بمحاضرة الدقهلية :

ولماذا جئتم إلى بلدنا ؟

كان جوابي : نحن لانحب أن نعيش هنا . وإنما سعادة اليه هو الذى أرغم والدى على المجيء إلى هنا .

ولأعرف كيف جاءت هذه الإجابة على لساني . . ولأظننى فهمت كل ماقاله والدى تصحيحًا لهذا المعنى . فقد كان والدى يعمل مأمورًا في تفتيش زراعة عز الدين بك يكن . ثم إننى من أبناء الدقهلية . فلست غريبًا على الإقليم . وأمى تنتسب إلى عائلة كبيرة من أبناءها وزراء ورؤساء وزارات ورجال دين أشراف . وأسرة والدى من بينها علماء وأساتذة في الجامعات وفي الأزهر الشريف . ولكنه شعورى بالغيرة والغربة . . بغربة كل ماأسمع وأرى . . ولأظن أن هذا الطفل كان يقصد شيئًا غير عادى ، أو كان يعرف مايدور في رأسى .

ثم تعمق هذا الشعور لدى ، حتى أننى اهتديت إلى نظرية فلسفية سجلته لتكون موضوعًا لرسالة دكتوراه في الفلسفة . وادخرتها في كتاب لى بعنوان وداعًا . . أيها الملل . . أما النظرية فهى : المسافات . بيتنا .

وقد فسرت كل العلاقات الإنسانية على أنها مسافات قصيرة أو بعيدة بين الناس . . وإنما نحن الذين نجعلها قريبة ونجعلها بعيدة . . فالزمالة والصدقة والمودة

والحب والعشق والزواج والحرية والسجن والإيمان والكفر .. كلها مسافات صغيرة وكبيرة .

وعاودنى هذا المعنى كثيراً .

ثم اهتديت إلى نظرية فلسفية أخرى هى : اللمس .. والتلامس .. والملازمة والالتماس .. والاتصاق .. والتجمع والتكسد والعشق والاحتشاد والمجتمع .. والتجميع والتسهيل والتعويق .. وكلها تفرعات على معنى واحد هو : إن الإنسان بكره أن يلمسه أحد . ولذلك فهو حريص على أن يبعد عن الناس ويقرب منهم حسب هواه ومصلحته .

ويكون القرب لمساً والبعد تحريماً وفى التاريخ نجد المساس والتلامس . والحلال : هو الذى نلمسه والحرام هو الذى لانلمسه .. والقوة أن يتلامس الناس .. والضعف أن يفرق الناس . والجماعة عشرات تلامسوا . والجاهير ملايين تلامسوا .

والثورة ملايين تلامسوا بالجسد والرأى والهدف .. إلخ . والفجر هم الأقلية التى تلامست بعيداً عن الأغلبية التى تلامست والتصقت .. وحركة الفجر مثل حركة كرة من خارج علامات ملعب كرة القدم . وملعب كرة القدم هو القواعد التى وضعها أناس معاً ، وأقروها معاً . وأعدوها معاً . وأنزلوا فيها فريقاً ، وجلسوا ألوفاً معاً .. لقد تلامسوا وجعلوا لذلك التلامس قواعد وأصولاً .. إلخ .

ولما توفيت أُمى نشرت فى الصحف أنها ماتت وشيعت جنازتها ودفنت ولاعزاء للسيدات . ولم يكن هناك عزاء للرجال . فقد أحسست فعلاً أنى واحد من الذين يعيشون فى خيمة على حافة المجتمع . وأن واحدة من أفراد هذه القبيلة قد ماتت ولأن هذه القبيلة لاتربطها بأحد شىء فوت الأم لايمهم أحداً كما أن حياتها لم تكن

تهم أحدًا . . ولاتلقيت فيها العزاء ، ولاغضبت لأن أحدًا قد فاته أن يقدم العزاء ، وشاءت الصدفة أن ينشر خبر وفاة والدق في الصفحة الأولى من أخبار اليوم ومن كل الصحف ، وفي الصفحة نفسها نشر أنى عينت رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٠ . وتلقيت برقيات العزاء والتهنئة في نفس الوقت .

لقد شارك الناس في إحدى سخریات القدر !
ولأظن أنني اختلفت كثيرًا عن أبناء الغجر . ولو أعطيت حريقى ، لعدت منزويًا بعيدًا عن الدنيا . . فلست اجتماعيًا ولاحريصًا على ذلك . . ولست رجلاً عمليًا ولا أستطيع ذلك - وإذا كنت قد تهجمت على مذاهب الفلسفة والدين في سن مبكرة ، فإننى أقيت في الحياة الاجتماعية متأخرًا . .

ويوم ذهبت إلى دول الخليج وجدت أنواعا من الخيام في أطراف المدن الأنيقة . . وأسعدتنى الحياة هناك أيامًا . . ولكن لم أجد ماكنت أريده . . فالخيام ليست إلا قصورًا صغيرة مصنوعة من أرقى أنواع الجلود ، ثم إنها مكيفة ومضاءة وبها كل أدوات الحضارة . . وفضلت أن أعيش في خيام البدو . . إنها هى الخيام . . إنها هى الحياة . . إنها هى إرادة رفض القيود رفض الأعباء الاجتماعية والأثقال المدنية ، والصراع السياسى .

ولكن هؤلاء البدو ، ليسوا الغجر . . فلديهم شعور بأنهم « الأصل » وأن غيرهم تزييف لحياتهم . . إنهم الأصل والآخرون هم « الغجر » . . أى الذين يعيشون في أغلبية ساحقة على حافة خيامهم . .

وإذا كان الإنسان الغجرى ، هو ذلك الذى يعيش على حافة الحياة المدنية . مفضلًا العزلة والوحدة والهدوء والتأمل على أى شىء آخر ، فأنا واحد من هؤلاء . . كنت ولاأزال . . وأتمنى أن أعيش كذلك .

وكان الفيلسوف أرسطو يصف الله بأنه : هو الذى وحده ، لأنه فى غنى عن غيره . . ويتأمل نفسه ، فلاشئ أعظم منه يصح أن يتأمله . . وهو الذى لا يرى غير نفسه لأنه ليس هناك من هو أعظم منه فيراه .

وكان الفيلسوف الصوفى الألماني إلهارت يقول : إن الله هو السكون الأبدي . . فالذى يتحرك هو الشئ الأصغر الذى يتحرك فى فراغ أكبر منه ولما كان الله يملأ كل شئ فهو لا يتحرك . . إنه الكمال الساكن الساكت .

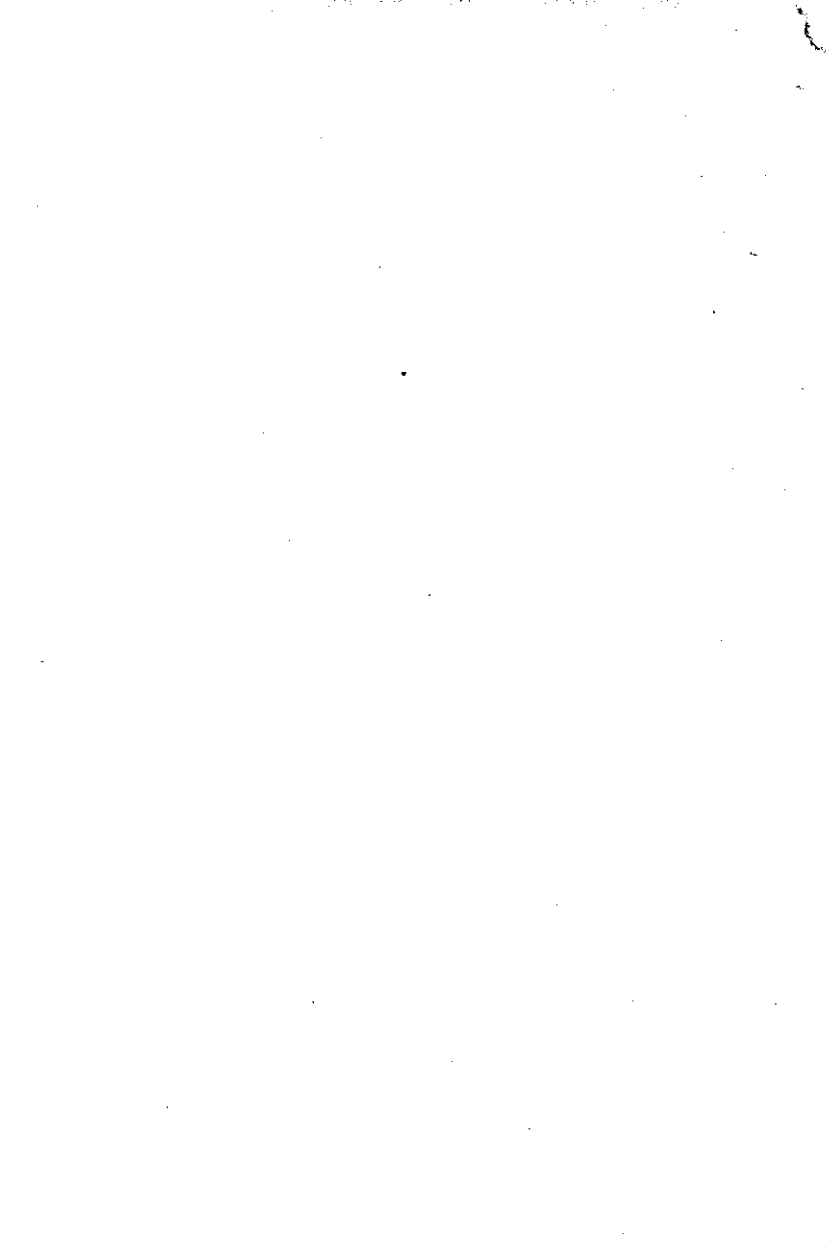
ويقول الفيلسوف الوجودى الأسباني أورتيجا إي جاست : عندما أشعر بالجوع فإننى أمد أطرافى إلى الناس . . إننى أصغر منهم وفى حاجة إليهم . . وعندما أفكر فإننى أطوى نفسى على نفسى . . فأنا أقوى من الناس وأغنى من الناس ولست فى حاجة إلى أحد . . إننى أكبر من كل الناس . ولذلك فعزلتى هى كمالى ووحدةى هى عظيم قدرتى وعندما أكون بعيداً عن الناس أراهم صغاراً ويروننى أصغر إننا نتبادل السخرية . . هم يسخرون من ضعفى وأنا أشك فى قدرتهم . . إنى برغم ضعفى أثيرهم ، ولذلك يحقدون ويسخرون . . وهم برغم قوتهم يكرهون استخفافى بهم . . ألا ترى أننى وحدى الأقوى والأعظم منهم جميعاً إنى أرى ذلك . تعال واجلس على مقعدى ، وخذ عيني وأذنى وقلبي وعقلي وقل لى بعد ذلك : أينما أشجع وأروع !

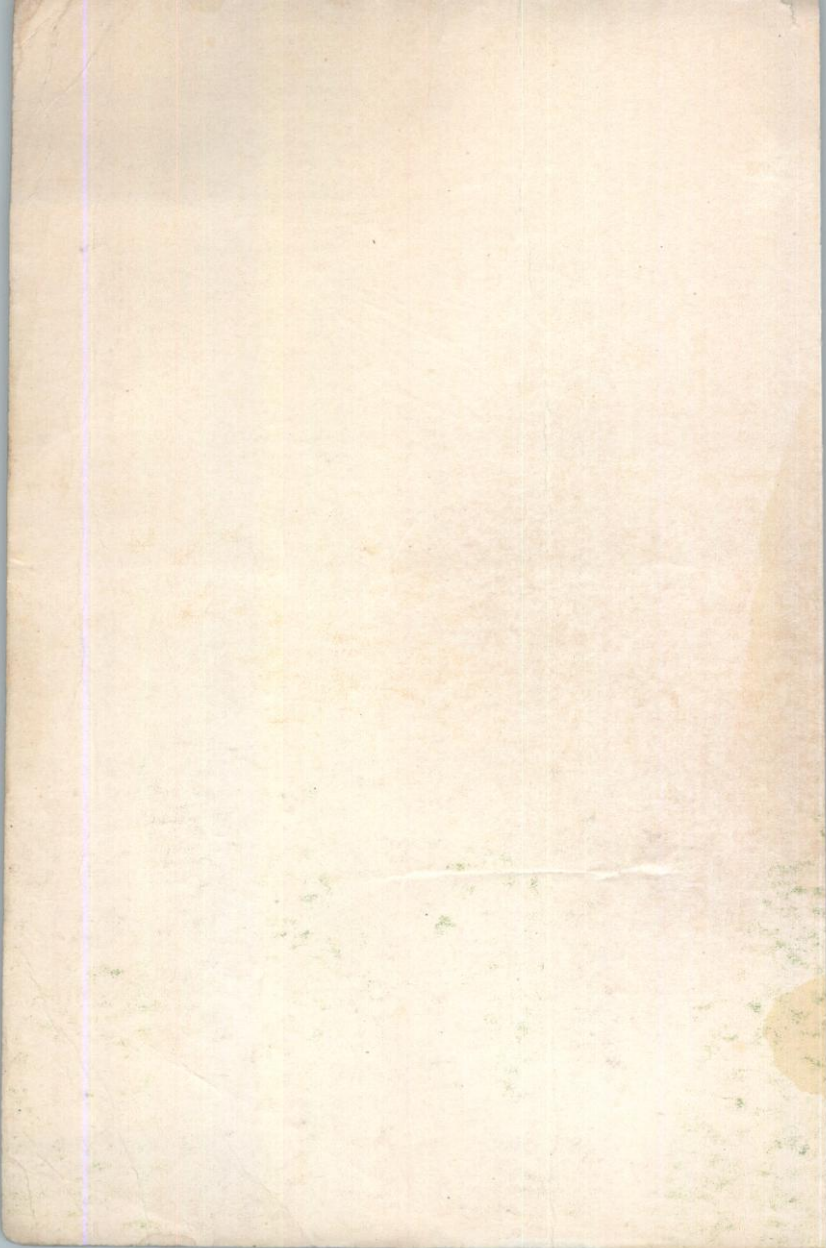
ولذلك فإنى أرى الفيلسوف الأسباني إي جاست زعيم المفكرين العجبر . . شيخ مشايخ قبائل العجبر فى العصر الحديث !
وليس منا من ليس عجبرياً ، إن لم يكن كل الوقت . . فبعض الوقت . . أويتمنى ذلك .

رقم الإيداع	١٩٨٢/٤٧٩٣
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٢١٣-٤

١/٨١/٣٦٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)





10/4310-3

di

